



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

دراسة وتحقيق قطعة من كتاب تاريخ الدول والملوك

صنّفه

ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المصري الحنفي

(ابن الفرات ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)

من سنة ٦١٥ هـ | ١٢١٨ م إلى سنة ٦٢٤ هـ | ١٢٢٧ م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالبة:

ميس إبراهيم مقلد

إشراف الأستاذ الدكتور:

سهيل زكار

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

شكر وتقدير

صدق رسول الله ﷺ في قوله: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

فأتقدم بالشكر الجزيل لكل من وقف بجانبى مؤازرا ومشجعاً.

والشكر... كل الشكر لمن تقصر الكلمات عن تقديره، وتصمت المعاني الجلييلة في حضرته فقد

صبر ووجهه قرأ ولم يتوان في مساندتي وتوجيهي ونصحي

إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.... إلى من علمني العطاء بدون انتظار...

أرجو الله أن يطيل بقاءه وينسأ في أجله ليرى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار، وستبقى

كلماته نجوماً أهتدي بها (الأستاذ الدكتور سهيل زكار)

وأقدم بخالص الشكر إلى جميع الأساتذة الكرام الذين أرشدوني في هذا البحث وأخص بالذكر

والعرفان السادة أعضاء اللجنة الكرام الذين كانوا عوناً في البحث ونورا يضيء الظلمة التي

كانت تقف أحياناً في الطريق:

- الأستاذ الدكتور: سهيل زكار

- الأستاذ الدكتور : عمار النهار

- الأستاذ المساعد: غطاس نعمة

وأقدم بالشكر والعرفان لكل صاحب مساهمة أو جهد في إنجاز هذا العمل الذي أصبو أن يكون

خطوة راسخة على طريق التحصيل العلمي كي يعود بالفائدة على وطني وشعبي.

أشكر الله العليّ القدير الذي منّ عليّ بالصبر والتوفيق لإتمام هذه الدراسة.

الإهداء

إلى دمشق.... مدينة السلام والياسمين

إلى دمشق ... القلعة العربية الصامدة

إلى الغالية الجريحة التي تسكننا ونسكنها

على الرغم من كل الأذى الذي لحق بها وما زالت منبراً للثقافة والفكر

وعلى الرغم من كل السكاكين التي تُحاول تمزيقها مازال سلاحها الأقوى تعليم أبنائها.....

(إلى سوريتنا الحبيبة)

إلى من علمني أن أرتقي سلّم الحياة بحكمة وصبر وشموخ وعزة.

إلى من لا تفيه كلمات الشكر والعرفان بالجميل

إلى رمز الرجولة والتضحية...إلى من دفعني للعلم وبه أزداد افتخاراً

(أبي الغالي)

أهدي هذا العمل محبة ووفاء وعرفانا بالجميل

إلى من أعطتني من عمرها وروحها غدا أجمل...إلى سيدة العطاء

إلى الينبوع الذي لا يملّ الخير والعطاء والحنان...إلى القلب الدافئ

إلى من تحملت كل لحظة في حياتي وحولتها إلى لحظات فرح

إلى من سرنا سويًا ونحن نشقّ الطريق معا نحو النجاح... "إليك أُمّي"

إلى ست الكل ونبع الحنان والحضن الدافئ بعد رحيل جدي الغالي ... "جدتي أطل الله

عمرها"

إلى من كانت ولا تزال الصديقة والأخت والأم "خالتي رنا الحبيبة"

وتبقى عبارات الشكر والامتنان هي أقل ما يمكن أن نقدمه للأشخاص الذين ساعدوني ووقفوا

بجانبي ومدّوا لي يد العون .

إلى من كانوا وما يزالون سنداً وعوناً ومعيناً .. أخوتي وأصدقائي

دراسة وتحقيق مخطوط تاريخ الدول والملوك لابن الفرات

رقم الصفحة	فهرس المحتويات
	القسم الأول:
	- مقدمة.
	- دلائل الرموز المستخدمة في البحث
	التعريف بأهم المصادر والمراجع "الدراسة والتحقيق"
	الفصل الأول : الدراسة
	١ -الحياة السياسية:
١٦	أ- أوضاع بلاد الشام ومصر بعد سقوط بغداد وقبيل قيام دولة المماليك
٢١	ب- المماليك البحرية: نشأتها ونفوذها في مصر وبلاد الشام.
٢٥	ج- تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام.
٢٦	د- تصدي المماليك للمغول في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م
٣٣	٢ - الحياة العلمية.
٢٨	٣ - الحياة الاجتماعية.
٤١	٤ - الحياة الاقتصادية.
	ثانيا: التعريف بالمصنف وأسرته:
٤٤	١ - حياته الشخصية:
٤٥-٤٤	أ- اسمه - كنيته- نسبه.
٥٢-٤٦	ب- أسرته .
٥٣	ج- شيوخه.
٨٧-٨٦	د- وفاته.
	٢ - حياته العلمية:
٦٤-٦١	أ- ثقافته وميوله.
٧١-٦٥	ب- مكانته ومؤلفه التاريخي(تاريخ ابن الفرات).

ج- الحركة العلمية في عصره وموقفه منها.	٧٢- ٨٠
د- المنهج التاريخي المتبع في تحقيق القطعة المدروسة .	٨٠-٨٧
الفصل الثاني: قسم التحقيق	
١- وصف القطعة موضوع التحقيق.	٧٧-٨٠
٢- أهم المصادر التي اعتمد عليها المصنف في القطعة.	٦-١٢
٣- دراسة نسخة المخطوط. -محتوياتها	
٤- وصف المخطوط.	٧٧-٧٩
٥- ما نُشِرَ من هذا المخطوط وأماكن وجود النسخ المحققة من المخطوط	٨٥-٨٦
٦- القيمة العلمية لتاريخ الدول والملوك.	٧٢
القسم الثاني: النص المحقق:	
سقطت أخبار سنة ٦١٥ هـ ، وأول أخبار سنة ٦١٦ هـ ، وسقطت وفيات سنة ٦١٨ هـ ، وسقطت سنة ٦١٩ و ٦٢٠ هـ . وسقطت أول أخبار سنة ٦٢١ هـ .	
ذكر ما وقع من الحوادث في السنة السادسة عشرة بعد الستمئة:	
ذكر استيلاء عماد الدين زنكي الثاني على قلعة كواشي	٨٨
ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم	٨٩
ذكر قتال التتار وأهل قزوین وصلحهم وصاحب أذربيجان.	٩٧
ذكر ما اتفق بين التتر والكُرج من القتال.	٩٨-١٠٨
ذكر ما وقع من الحوادث في السنة السابعة عشرة بعد الستمئة	١٠٩
ذكر استيلاء التتار على همذان وما فعلوه في طريقهم.	١١٥
ذكر لقتال التتر السلطان علاء الدين الخوارزمي وهزيمته منهم، وبعض شؤونهم، ووفاته	١١١
ذكر استيلاء التتار على ما زندران.	١١٤
ذكر استيلاء التتار على الري.	١١٤
ذكر ما آل إليه أمر الأمير عماد الدين بن المشطوب بعد نفيه من الديار المصرية.	١١٦-١٢٣
ذكر استيلاء الملك الأشرف على سنجان.	١٢٤-١٢٥

١٢٧-١٢٥	ذكر وصول الملك الأشرف بن الملك العادل إلى الموصل واستقرار الصلح مع صاحب أربل.
١٣٦-١٢٨	ذكر بعض خبر الملك المنصور صاحب حماه وسيرته ووفاته.
١٤١-١٣٧	ذكر تملك الملك الناصر بن الملك المنصور الأيوبي حماه وبلادها.
١٤٢	ذكر تملك التتار فرغانة والترمذ وكلاية.
١٤٣	ذكر مسير التتار إلى خوارزم وخراسان.
١٤٣	ذكر مسير التتار إلى الطالقان وامتاعها عليهم، ومسير جنكيز خان ملك التتار إليهم.
١٤٤	ذكر مسير التتار إلى مدينة مرو وتملكهم لها.
١٤٥	ذكر مسير التتار إلى نيسابور وتملكهم لها.
١٤٦	ذكر مسير التتار إلى طوس وتملكهم لها.
١٤٧	ذكر مسير التتار إلى هراة وغزته وعودتهم إلى هراة وتملكهم لها.
١٤٨	ذكر مسير التتار إلى خوارزم وتملكهم لها.
١٤٩	ذكر مسير التتار إلى غزته، وانتصار المسلمين عليهم.
١٤٩	ذكر عودة التتار ومسيرهم إلى كابل وانتصار المسلمين عليهم مرة ثانية.
١٥٠	ذكر الفتنة التي وقعت بين المسلمين بسبب قسمة الغنيمة.
١٥١	ذكر اللقاء اللعين جنكيز خان والسلطان جلال الدين وهزيمة جلال الدين ودخوله بلاد الهند وعودة التتار إلى غزته وتملكهم لها.
١٦٦-١٥٢	ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم.
١٦٧	ذكر قتال التتار وأهل قزوین وصلحهم وصاحب أذربيجان.
١٦٨	ذكر ما اتفق بين التتار والكرج من القتال.
ذكر ما وقع من الحوادث في السنة الثامنة عشرة بعد الستمئة.	
١٧١-١٧٠	ذكر قصد التتار توريز وغيرها من بلاد الإسلام.
١٧٢	ذكر قصد التتار همذان واستيلاءهم عليها.
١٧٣	ذكر مسير التتار إلى أذربيجان وتوريز.
١٧٤	ذكر مسير التتار إلى بيلقان وتملكهم لها.
١٧٦-١٧٥	ذكر مسير الملوك الأيوبية والعساكر الإسلامية إلى الديار المصرية نجدة للسلطان الملك الكامل

١٧٨-١٧٧	ذكر قدوم الملوك الأيوبيّة والعساكر الإسلاميّة إلى الديار المصريّة.
١٩٠-١٧٩	ذكر نصرة أهل الإسلام أعزهم الله تعالى على الفرنج لعنهم الله تعالى وفتح دمياط وعودتها
١٩٣-١٩٠	ذكر إعادة الإمام الناصر لدين الله من الله ولده عز الدين أبي نصر إلى ولاية عهده.
٢٠٥-١٩٣	ذكر بعض خبر الشريف قتادة صاحب مكة المشرفة وقتله واستيلاء ولده حسين على سلطنة مكة
٢١٣-٢٠٥	ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم.
ذكر ما وقع من الحوادث في السنة اثنتين وعشرين بعد الستمئة	
٢١٧-٢١٤	ذكر عود السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه من الهند إلى بلاده وقوة أمره.
٢١٧	ذكر خلع رشيد صاحب الدربند وتملك ولده.
٢١٨	ذكر الحرب بين المسلمين والكرج ونصرة المسلمين.
٢٢٢-٢١٩	ذكر استيلاء السلطان جلال الدين على بلاد أذربيجان.
٢٢٣	ذكر إيقاع السلطان جلال الدين بالكرج.
٢٣٠-٢٢٦	ذكر بعض خبر الملك الأفضل صاحب سميساط ووفاته وما انتق لأولاده وعمّهم من الاختلاف
٢٣٩-٢٣١	ذكر بعض خبر الخليفة الناصر لدين الله العباسي وسيرته ووفاته.
٢٤١-٢٤٠	ذكر خلافة الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله العباسي الهاشمي.
٢٥٩-٢٤٢	ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم.
٢٦٢-٢٦٠	ذكر ما وقع من الحوادث في سنة الثالثة والعشرين بعد الستمئة من هذه السنة
٢٦٣	ذكر منازل الملك المعظم صاحب دمشق حمص وقدم الملك الأشرف إلى أخيه المعظم
٢٧٠-٢٦٨	ذكر بعض خبر تغليس ومسير السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه إليها وفتحها.
٢٧٢-٢٧١	ذكر مسير السلطان جلال الدين إلى كرمان لضياف نائبه ورجوعه.
٢٧٣	ذكر منازل السلطان مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل الموصل ورجوعه عنها.
٢٧٤	ذكر حصر السلطان جلال الدين آني وقرس من أعمال الكرج في شهر رمضان في هذه السنة
٢٧٥-٢٧٤	ذكر حصر السلطان جلال الدين خلاط.
٢٨٠-٢٧٦	ذكر بعض خبر أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله محمد العباسي الهاشمي وسيرته ووفاته.
٢٨٦-٢٨١	ذكر خلافة أمير المؤمنين المستنصر بالله بن أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله العباسي الهاشمي.

٢٨٧	ذكر إيقاع السلطان جلال الدين بالإيوانية.
٢٨٩-٢٨٨	ذكر الحرب بين صاحب آمد وسلطان الروم
٣٠٠-٢٩٠	ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم.
٣٠٠	ذكر ما وقع من الحوادث في السنة الرابعة والعشرين بعد الستمئة من هذه السنة.
٣٠٥-٣٠١	ذكر رجوع الملك الأشرف إلى بلاده وتخلصه من الملك المعظم صاحب دمشق.
٣١٣-٣٠٥	ذكر مراسلة الملك الكامل صاحب الديار المصرية الإمبراطور ملك الفرنج واتفاقهما في هذه السنة.
٣٢٥-٣١٤	ذكر بعض خبر الملك المعظم صاحب دمشق وسيرته ووفاته.
٣٢٨-٣٢٦	ذكر سلطنة الملك الناصر داود بدمشق وبلادها.
٣٣٠-٣٢٨	ذكر استيلاء عساكر الملك الأشرف على بعض بلاد السلطان جلال الدين ثم خروجها عنهم.
٣٣٥-٣٣١	ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم.
٣٣٦	خاتمة.
٣٤٥-٣٣٧	ملاحق
٣٦٨-٣٤٦	المصادر والمراجع

.

.

الرموز المستخدمة في البحث

ظ	ظهر الورقة
و	وجه الورقة
[]	لحصر رقم الورقة مع الوجه أو الظهر
ص	صفحة
ج	جزء
ق	قسم
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ت	توفي
م	ميلادي
هـ	هجري
[]	حصرت ضمنها كل إضافة على النص
" "	حصرت ضمنها الأحاديث النبوية
{ }	حصرت ضمنها الآيات القرآنية
ط	طبعة
د. ت	دون تاريخ نشر
د. م	دون مكان نشر
مج	مجلد

المقاييس (المسافات والأطوال)

الفرسخ = ١٢٠٠٠ ذراع مرسله = ٩٠٠٠ ذراع.

الميل = ٤٠٠٠ ذراع مرسله = ٣٠٠ ذراع هاشمية = ١٨٤٨ متر

المرحلة = من ٥ إلى ٦ فراسخ = ٢٨ إلى ٢٣ كم ومتوسطها ٣٠,٥ كم

البريد = ٤ فراسخ = ٢٢,١٧٦ كم

اليوم = ٢ بريد = ٨ فراسخ = ٤٤,٣٥٢ كم

رموز النسخ المخطوط من ديوان ابن عنين

ظ	نسخة دار الكتب الظاهرية
ك	نسخة كمبردج
ف	نسخة الصافي
م	النسخة الموصلية الأولى
مث	النسخة الموصلية الثانية
ب	النسخة الباريسية
ح	النسخة الحجازية
ص	النسخة المصرية

رموز النسخ المخطوط من ديوان الملك الناصر داود

ر	نسخة مانشستر
خ	نسخة القدس
ت	النسخة التيمورية
د	دار الكتب
م	مخطوط الموصل

ملخص الموضوع:

من رحم النهاية التعيسة للدولة الأيوبية وُلدت دولة سلاطين المماليك لكي تحكم المنطقة العربية وتُدافع عنها طوال مدة زادت على مئتين وسبعين عاماً .

كانت دولة المماليك محورا لمنابع حضارية وثقافية عظيمة تستحق الدراسة الموسعة في كل جانب من الجوانب العلمية.

فقد ترك العصر المملوكي حضارة متنوعة في جميع المجالات، وخلف تراثاً ما زالت مكتبات العالم مليئة بإبداعاته ونتاجه، وكان ذلك نتيجة ما أسسه المماليك من نشاط ديني وعلمي وفكري، بذلك استحق أن يكون من العصور الحاسمة، ويمثل منعطفاً مهماً في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

ولاشك أن مخطوط ابن الفرات الحنفي له من الأهمية التاريخية ما يجعله مصدراً أساسياً للمؤرخين الأوروبيين الذين نقلوا عنه كثيراً في كتاباتهم عن الحروب الصليبية، فتضمن هذا المخطوط أحداثاً تاريخية لحقبة من حقبة العصور الإسلامية تمتد ثلاثة قرون (٥١٠-٧٧٩هـ / ١١١٦-١٣٧٧م) .

فمؤلفه مصدر أصيل من مصادر تاريخ الدول الإسلامية في المشرق العربي في العصور الوسطى، لأنه تضمن أحداث الحقبة التي عاشها بعد أن تابع هذه الأحداث بدقة وسجلها بالتفصيل، وهي سمة واضحة في مجلدات المخطوط كلها، واعتمد عليه الكثير من المؤرخين.

ومهما يكن من شيء فإن هذا العصر كان عصراً مميزاً بالحركة والنشاط والانتصارات والتوسعات، ولقيامه أهمية خاصة في تاريخ نظمها، وقد بدأ العصر من تولي شجر الدر حكم القاهرة بعد مقتل توران شاه بن الصالح نجم الدين سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م : وقد حكمت هذه الدولة من ٦٤٨هـ إلى ٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م؛ أي زهاء ثلاثة قرون حتى قبيل مجيء العثمانيين حيث تطورت خلالها النظم السياسية والاجتماعية تطوراً كبيراً.

وقُسم العصر المملوكي إلى : ممالك بحرية من ٦٤٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٥١ - ١٢٨٢م وحكموا ١٣٦ سنة، والمماليك البرجية من ٧٨٤ - ٩٢٣هـ / ١٢٨٢ - ١٥١٧م وحكموا ١٣٨ سنة.

وقد قسّم العمل إلى فصلين هما:

- الفصل الأول :خُصص لتناول حياة ابن الفرات :

- الحديث عن عصر المؤلف.

-شخصية المؤلف، ونشأته، وعناية أسرته، وطلبه للعلم.

-الحديث عن حياته العلمية "الأوضاع العلمية في العصر المملوكي"، ومشايخه الذين تأثر بهم،
والحديث عن مكانته ومؤلفه " تاريخ الدول والملوك "، ومنهجه الذي سار عليه في كتابه.

- وفاته.

الفصل الثاني: خصص لتحقيق المخطوط، وأُرفقت بعض الصور من المخطوط للتعرف على
الخط الذي كتب به ، وكان منهج التحقيق وفق المعايير الأكاديمية التي تعارف عليها أهل هذه
الصنعة، وقد ذكر ذلك عند الحديث عن المنهج المُتبع ، وجاء هذا الفصل في قسمين:

القسم الأول: تضمن دراسة نقدية تحليلية لمخطوط تاريخ الدول والملوك من خلال:

١-الحديث عن أهمية المخطوط والمدة الزمنية التي أرخ لها.

٢-وصف المخطوط والأدلة على أصالته.

٣-أسلوب ابن الفرات، وأهم خصائص أسلوبه وميزاته، والقيمة العلمية لمخطوط ابن الفرات.

٤-أهم المصادر التي أخذ عنها ابن الفرات.

٥-الأماكن التي توجد فيها أجزاء من مخطوط ابن الفرات.

-مكتبة الفاتيكان.

-المكتبة الوطنية بباريس.

-المتحف البريطاني.

٦-الأجزاء التي نُشرت من مخطوط ابن الفرات.

وفي النهاية لابدّ من القول إنّ ابن الفرات يُعدُّ من المؤرخين المسلمين الكبار، وكتابه [تاريخ الدول والملوك] من أعظم المؤلفات التاريخية التي تُضيء تاريخنا العربي والإسلامي.

وهذا العمل يسعى إلى إخراج صورة من هذا المخطوط تكون أقرب ما تكون إلى الوجه الذي يرتضيه مؤلفه، علّها تساهم في رفد المكتبة العربية بكتاب سطر أحداثاً ووقائع مهمة في تاريخنا العربي والإسلامي.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً نهتدي به

الحمد لله الذي لولاه ما جرى قلم، ولا تكلم لسانٌ والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ أفصح الناس لساناً وأوضحهم بياناً .

للمخطوطات أهمية كبيرة جداً، فعلم الأمة مُدَوَّن فيها، ومُدَوَّن فيها الوحي وتفسيره؛ وفقه الأمة، وعلم الأئمة وتاريخها، ولغتها، وأمة بغير ذلك ليست أمة، ولاشكَّ أنَّنا ما زلنا حتى اليوم في حاجة ماسة إليها، بل إنَّه كلما تقدَّمت بنا السنين ازدادت حاجتنا وحاجة الأمة عامة إليه.

لهذا فالحفاظ عليها متعين، وهو واجب على الأمة فمن حقق مخطوطة كان كمن أحيا موءودة، ولاشكَّ أنَّ عمل التحقيق فيه كثير من الجهد والمشقة، ولكن ثمرة هذا الجهد تتضح بإخراج النص المحقق صحيحاً كما وضعه مؤلفه، ليفيد به في أحياء تراث السلف، وليكون بين أيدي الدارسين ينتفعون به ويفيدون.

أما بعد : فإنَّ التاريخ دول، وتاريخ مصر العريق حافل بعدد الدول التي تعاقبت على حكمها، ويُعد العصر المملوكي مرحلة مفصلية في تاريخ الإسلام فهو من أهم العصور ، من حيث التطورات الحضارية والعلمية الكبيرة من موسوعات وغيره، وللمماليك مكانة خاصة بارزة جعلت عصر سلاطين المماليك عصراً مهماً جداً من خلال البطولات في الدفاع عن الوطن العربي ضد الأخطار الكبرى التي هدده من جانب التتار حيناً، ومن جانب الصليبيين والغرب الأوروبي أحياناً.

ولا يخفى على أحد النشاط الديني والعلمي الخصب الذي صاحب انتقال الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة، فقد غدت مصر والشام قسبة التجارة العالمية، والمعبر الرئيسي لتجارة الشرق في طريقها للغرب.

ومن هنا فإنَّ هذا العصر قد كان عصراً مميزاً بالحركة والنشاط والانتصارات والتوسعات، ولقيامه أهمية خاصة في تاريخ نظمها، وقد بدأ العصر من تولي شجر الدر حكم القاهرة بعد مقتل توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م . وقد حكمت هذه الدولة من ٦٤٨هـ

إلى ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م، أي زهاء ثلاثة قرون حتى قبيل مجيء العثمانيين حيث تطورت خلالها النظم السياسية والاجتماعية تطوراً كبيراً.

وُقِسَّ العصر المملوكي إلى عصرين : - عصر المماليك البحرية من ٦٤٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٥١ - ١٢٨٢م، وحكموا ١٣٦ سنة.

وعصر المماليك البرجية من ٧٨٤ - ٩٢٣هـ / ١٢٨٢ - ١٥١٧م، وحكموا ١٣٨ سنة^(١).

والمؤلفات عن عصر المماليك كثيرة في مصر مما جعل نظم دولتهم واضحة، وقد كانت دولة عسكرية، وغلب الطابع السياسي على دولتهم فسميت بالمملكة الإسلامية؛ لأنها امتدت على عدة بلدان إسلامية.

بذل العلماء في عصر المماليك وسعهم ونشروا علمهم، وتركوا إراثاً زاخراً، وصنعوا تاريخاً ناصعاً؛ لهذا استوجب البحث والدراسة لنقل نماذج للأجيال القادمة للاقتداء بسيرتهم، والرد على المعادين للأمة الذين جرّدوا هذا العصر من سماته الحقيقية، هذا العصر الذي يُعدُّ من أغنى عصور مصر التي غدت مركزاً للعالم الإسلامي بعد انتقال الخلافة العباسية من بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، وعليه فقد حلّت القاهرة محل بغداد، وأصبحت معقلاً للحياة الثقافية والسياسية والدينية، وكان لدولتهم أهمية كبرى في تاريخ العالم الإسلامي، فحكموا الشام ومصر ومع ما ساد في هذه الحقبة من ظروف سياسية عصبية وفتن وبلايا وكثرة سلاطينها فازدهرت، وما تبعه من صراعات على السلطة إلا أنّ هذه الأشياء لا تستطيع طمس معالم الحياة الثقافية المزدهرة التي تركت تراثاً كبيراً من المنجزات العلمية والأدبية.

ومعلوم أنّ لكل عمل صعوبة، وأهم الصعوبات التي اعترضت هذا البحث تمثلت بعدم وجود نسخة ثانية من هذه القطعة لإجراء المقارنات بين النسخ المختلفة، لهذا تم العمل على مقارنة الأحداث بما ورد عند المؤرخين الآخرين، وقد سقطت عدة ورقات من هذه القطعة وأحداث وسنوات ووفيات.

(١) الحلبي، كامل بن حسين: نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، ط٢، حلب، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ج٣، ص ١٩١.

وختاماً نقول إنّ ابن الفرات يُعدُّ من المؤرخين المسلمين الكبار ، ومخطوطه [تاريخ الدول والملوك] من أعظم المؤلفات التاريخية التي تُضيء تاريخنا العربي والإسلامي.

ولما يتمتع به هذا الكتاب من قيمة تاريخية وقع الاختيار عليه ليكون موضوعاً أُنقِدم به إلى قسم التاريخ في جامعة دمشق لنيل درجة الماجستير وقد بذلت قصارى جهدي لإخراج العمل بصورة مقبولة عند أهل هذا الإختصاص ، ولست أدعي أنه بلغت الكمال فيه غير أنني بذلت ما بذلته في خدمة هذا الكتاب راجيةً من الله تعالى التوفيق

وانطلاقاً من قوله تعالى: {ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه} ومن قول رسوله الكريم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" وإيماناً بفضل الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر والامتنان لأصحاب المعروف لا بدّ من توجيه الشكر إلى أستاذي سهيل زكار الذي كان لي عوناً ومعيناً وقف إلى جانبي وكان مثلاً للأب والمعلم والمرشد والناصح فالإحسان في هذا العمل منصرف إليه، والخلل الذي فيه من عجز وقصور.

وفقه الله وأثابه عني وعن طلبة العلم خيراً في الفانية والباقية.

أمّا العمل فقد جاء في فصلين :

- الفصل الأول :خُصص لتناول حياة ابن الفرات والحديث عنه:

- الحديث عن عصر المؤلف

-شخصية المؤلف ونشأته وعناية أسرته وطلبه للعلم.

-الحديث عن حياته العلمية "الأوضاع العلمية في العصر المملوكي" ، ومشايخه الذين تأثر بهم والحديث عن مكانته ومؤلفه " تاريخ الدول والملوك "ومنهجه المتبع في الكتاب.

- وفاته.

الفصل الثاني: خصص لتحقيق المخطوط ، وأُرفقت بعض الصور من المخطوط للتعرف على الخط الذي كتب به، و سيكون منهج التحقيق وفق المعايير الأكاديمية التي تعارف عليها أهل هذه الصنعة ، و ذكر ذلك عند الحديث عن المنهج المتبع ، وجاء هذا الفصل في قسمين:

القسم الأول: تضمن دراسة نقدية تحليلية لمخطوط تاريخ الدول والملوك من خلال:

١- الحديث عن أهمية المخطوط والمدة الزمنية التي أرخ لها .

٢- وصف المخطوط والأدلة على أصالته.

٣- أسلوب ابن الفرات وأهم خصائص أسلوبه وميزاته، والقيمة العلمية لمخطوط ابن الفرات.

٤- أهم المصادر التي أخذ عنها ابن الفرات .

٥- الأماكن التي توجد فيها أجزاء من مخطوطة ابن الفرات:

- مكتبة الفاتيكان.

- المكتبة الوطنية بباريس.

- المتحف البريطاني.

٦- الأجزاء التي نُشرت من مخطوط ابن الفرات.

أمّا المنهج الذي سِيَر عليه في هذا العمل فهو نسخ النص وفق قواعد الإملاء المتعارف عليها عند أشياخ ذلك العصر مع الإشارة لبعض الكلمات المبهمة وتصويب الأخطاء سواء من أسماء الأعلام والأماكن بالعودة إلى المصادر التي استقى منها المصنف كتابه ككتب التاريخ والبلدان وغيرها، واستخدم علامات الترقيم، والعودة إلى المصادر التي لها علاقة بالموضوع وفي مقدمتها ابن نضيف الحموي، وابن خلكان، وابن الأثير وأشير إليها من خلال إعطائها رقماً في الهامش مع ذكر المصادر ثم الرجوع إليها، لهذا جاءت المصادر متنوعة شاملة.

ولعل أهم المصادر التي أَعتمدت في القطعة المحققة تعود إلى الرواة الأوائل، فالغرض هو المادة التاريخية وإغناؤها والوصول إلى الحقيقة، وعليه فقد تمت العودة إلى كثير من المصادر التي اعتمد عليها ابن الفرات في القطعة المحققة، وهذه دراسة لبعض تلك المصادر تم ترتيبها حسب الأقدم في تاريخ الوفاة.

القسم الثاني: ذكر من قبل أن هذه القطعة تتضمن سنوات (٦١٥-٦٢٤هـ/١٣٣٤-١٤٠٤م) يُعد هذا الجزء وثيقة تاريخية مهمة عن العصر الأيوبي والمملوكي، نظرا لما يحتويه من معلومات تاريخية مهمة عن حقبة كانت حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية التي تعلّقت بالتصدّي للحملات الصليبية الخامسة والسادسة ومقدمات السابعة، ويساعد هذا الجزء على التعرف على مصادر مفقودة اعتمد عليها ابن الفرات في حقل تاريخه.

أما الخاتمة فقد عُرضت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وذُيل البحث بفهارس فنية تساعد الباحثين في الوصول إلى مرادهم بسهولة ويُسر .

أهم المصادر التي اعتمد عليها ابن الفرات :

استندت في هذه الدراسة على مصادر ومراجع مهمة ومتنوعة لمؤرخين عاصروا الأحداث، لتمييز ابن الفرات بالأمانة العلمية ، فهو ينسب ما نقله عن سابقه إليهم.

- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)^(١)

ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار تنقل بين بلدان كثيرة كدمشق وحلب والموصل وخراسان وخوارزم التي صادف وجوده فيها هجوم المغول عليها مما اضطره إلى الهرب منها ، وعانى في الطريق الكثير من الشدائد حتى وصل إلى الموصل ثم غادرها إلى حلب حيث أقام بها حتى وفاته .

ترك ياقوت عدداً من المؤلفات أهمها "معجم البلدان" الذي يُعد من أهم مؤلفاته؛ وهو كتاب جغرافي يُعد من أهم الكتب والمعاجم الجغرافية الإسلامية لشموله معظم البلاد الإسلامية، ولحسن ترتيبه وتقسيمه حيث رتبه ترتيباً ألف-بائياً حسب حروف المعجم

ويشكل هذا الكتاب مصدراً أساسياً لهذا البحث في التعريف بالأماكن والمدن والبلدان والقلاع والأنهار وغيرها من الأماكن الواردة فيه، وله أهمية كبيرة أيضاً؛ لأن مؤلفه عاش في العصر ذاته الذي تتناوله المخطوطة موضوع البحث.

فكتاب معجم البلدان مهم جداً لكل عصر يتفوق على أي كتاب من نوعه ومادته مأخوذة من مصادر موثوقة، وقدم معلومات مهمة وصورة جغرافية كاملة مع التعرض للنواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية .

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٨ ، ص ٢٧٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،

ج ١٥، ص ٦١٠، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢١٢، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٥،

ص ٦٥٤.

- ابن الأثير : (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ^(١):

هو عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، اشتهر بكتابه (الكامل في التاريخ)، ألفه ضمن مجموعة من الأجزاء، رتبها كالطبري واعتمد عليه، وأخذ بنظام الحوليات ، وهو الأوسع شهرة والأكثر إنتاجاً في ميدان التاريخ العام والخاص، ولآرائه بصلاح الدين مكانة خاصة، فابن الأثير كانت أسرته قد انقطعت لخدمة أتابكة الموصل، والأتابكة هؤلاء كانوا خصوماً لصلاح الدين الذي انتزع منهم بلاد الشام، وعلى هذا يعبر ابن الأثير عن موقفه من صلاح الدين من وجهات النظر الناقدة له إن لم نقل المعادية.

وكتابه مهم فيه ما يفيد المؤرخ حول عصر صلاح الدين وتاريخ الدولة الأيوبية، وقام بتأليف مجموعة أجزاء منه رتبها كالطبري واعتمد عليه وأخذ بنظام الحوليات وبدأه بالحديث عن تاريخ البشرية منذ أول الزمان حتى عام ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م، وانتهى في حديثه عن كل سنة بخلاصة لكل الأحداث واعتماده كان بشكل كبير على الطبري حيث شكّل مادة داعمة لما ورد في البحث من خلال عرضه لأحداث الفتوح مرتبة حسب السنين.

- ابن نضيف الحموي: (ت ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) ^(٢)

هو أبو الفضائل محمد بن علي الحموي (ت ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م)، كان مؤرخاً كبيراً وسياسياً شغل دوراً مهماً في أحداث القرن السابع للهجرة، وفي الصراعات الأيوبية خاصة، وقد عمل كاتباً لدى

(١) الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين، ط ١٤، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٤، ص ٣٣١.

(٢) أبو الطيب المكي: ذيل التقيد في رواة السنن والأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ١ ص ٨٤، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢ ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج ٤٥، ص ١١٢.

الملك المجاهد شيركوه ت ٦٣٧هـ / ١٢٤٠م) صاحب حمص، وصنف عدة كتب في التاريخ أهمها كتاب: " الكشف والبيان في حوادث الزمان"، وكان كتاباً جامعاً وافياً، والكتاب مفقود وبما له من أهمية اعتمد عليه ابن الفرات ونقل عنه تفاصيل واسعة حول العصر الأيوبي ووصلنا مختصر لهذا الكتاب أعده ابن نظيف نفسه حمل اسم " تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان"، واشتهر باسم " التاريخ المنصوري"، وقد طُبِعَ هذا الكتاب في موسكو عام ١٩٦٠م، ثم طُبِعَ الجزء الأخير منه في دمشق عام ١٩٨٢م، وكان ابن نظيف كاتباً للملك الحافظ أرسلان شاه بن العادل صاحب قلعة جعبر، ثم عمل في خدمة المنصور بن الملك المجاهد صاحب حمص. وكتابه هذا ينقل باختصار شديد عن مصادر متوفرة إلا أنَّ أهميته تظهر منذ سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م بعد وفاة صلاح الدين، لهذا أصبح ابن نظيف شاهد عيان على ما ذكره .

- سبط ابن الجوزي: (٥٨١-٦٥٤هـ / ١١٨٥-١٢٥٦م)^(١)

يوسف قزاغلي بن الأمير حسام الدين عبد الله بن فيروز البغدادي ثم الدمشقي يُكنى أبا المظفر التركي، ويلقب شمس الدين. كان إماماً وفقهياً وحيداً في الوعظ، وعالماً في التاريخ والسير. وكان والده قزاغلي من مماليك الوزير عون الدين بن هبيرة، وهو صاحب مرآة الزمان، وقد اختصره قطب الدين اليونيني، ودُيِّلَ عليه إلى هذا الوقت، ودرس بالشبلية^(٢) الأدب على أبي البقاء والفقهاء على الحصري.

توفي ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين ذي الحجة سنة أربع وخمسين ببغداد.

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٤٤، ص ٢٣٨، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٥٤٤-٥٤٥، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٠٥.

(٢) بناها شبل الدولة الحسامي، وكانت بسفح جبل قاسيون، سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، انظر: النعمي: الدارس في تاريخ المدارس: ج ١، ص ٤٠٧.

الشبلية: بناها الأمير بدر الدين المعروف سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م، انظر: النعمي: الدارس في تاريخ المدارس: ج ١، ص ٣٦٥-٣٦٦.

وقال ابن خلكان: كان هو يقول : أخبرتني أمي أن مولدي سنة اثنين وثمانين^(١).

ويأتي كتاب مرآة الزمان بالدرجة الأولى بين المصادر التي اعتمد عليها ابن الفرات في القطعة المحققة .

- المنذري (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)^(٢)

زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري ٥٨١- ٦٥٦ هـ / ١١٨٥ - ١٢٥٨ م) هو محدث ومؤرخ وعالم بالعربية، الشامي الأصل، المصري مولداً الشافعي مذهباً. الملقب اختصاراً بـ"المنذري"، أحد أبرز علماء الحديث النبوي عبر التاريخ، ولد في شعبان سنة ٥٨١هـ^[١]، وأسمعه أبوه الكثير من عبد القوي بن الجباب، وأبي طالب بن حديد، والفخر الفارسي، وأصحاب السلفي. ثم أكب على الطلب بنفسه بعد الثلاثين، ورحل وسمع بدمشق وحلب، وكان ذكياً فطناً حافظاً، روى عنه: رفيقه الحافظ أبو محمد الدماطي. وتوفي رحمه الله شاباً في ذي القعدة. وصبر أبوه واحتسبه. يوم السبت ٤ ذو القعدة من عام ٦٥٦هـ بدار الحديث الكاملية بمصر، ودفن بالقرافة.

- اليعموري (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م)^(٣)

الحافظ اليعموري: يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الحافظ جمال الدين اليعموري أبو - المحاسن الأسدي الدمشقي، ولد في حدود الستئة، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبعين وستئة سمع الكثير بدمشق والموصل ومصر والإسكندرية، وعني بالحديث وتعب وحصل وكتب الكثير من الحديث والأدب، وكان له فهم ومعرفة وإتقان ومشاركة في

(١) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٣٢، ص ١٤٢ .

(٢) اليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد ت ٧٢٦هـ): ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ٢ ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٤٩، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٢١٨-٢١٩، والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) سبط ابن الجوزي: ذيل مرآة الزمان: ٣/ ١٠٦-١٠٩، المقرئ: السلوك ج ١، ص ٦١٩، صلاح الدين) محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر ت ٧٦٤هـ: فوات الوفيات، ط ١، دار صادر - بيروت ١٩٧٤ م، ج ٤، ص ٣٣٨.

الآداب والتواريخ، وله مجاميع حسنة. وتوفي عند شهاب الدين بن يغمور وكان يصحب والده.

- ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)^(١)

هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان الإربلي، الشافعي، قاضي القضاة، وُلد بإربل^(٢) سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م، ودرس وأخذ العلم عن عدد من الشيوخ والعلماء، وكان عارفاً بأمور مذهبه وعلوم اللغة العربية والأدب والشعر، وتقل بين الموصل والشام ومصر، وتولى أمور القضاء غير مرة وله مؤلفات عديدة.

وكان ابن خلكان إماماً عالماً بارعاً أديباً شاعراً مؤرخاً.

وكان لكتابه "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"^(٣) أهمية كبيرة في هذا البحث من خلال التعريف بعدد كبير من العلماء الذين أورد ابن الفرات أسماءهم في النص المحقق. وكتابه من أشهر كتب التراجم.

- ابن واصل: (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م)^(٤)

هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله الحموي الشافعي (٦٠٤-٦٩٧هـ/ ١٢٠٧-١٢٩٧م) مواليد حماه، وطاف بلاداً كثيرة، منها حلب وبيت المقدس والقاهرة والشام

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٧ ص ٣٥٣، والزركلي: الأعلام، ج ١

ص ٢٢٠، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥ ص ٣٧١، وابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١، ص ١، وأبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٢٥.

(٢) قلعة حصينة ومدينة كبيرة من أعمال الموصل، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٧-١٣٨.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ١١٣-١١٤، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٦٦، الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ١٣٣، وكحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ١٧.

والعراق والحجاز ومصر طلباً للعلم، فهو واسع المعرفة ، وشهد حملة لويس التاسع الصليبية على مصر واحتضار الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك وغزوات المغول وسقوط الخلافة العباسية ثم انتقالها إلى القاهرة، ولابن واصل مؤلفات كثيرة ما يهمنا منها كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" .

هذا الكتاب عمدة بين المصادر يحتاجه كل باحث في العصر الأيوبي، ولقد تمت الاستفادة منه في أكثر من مكان وعدت إلى الأجزاء التي طبعت منه أكثر من مرة .

- المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ^(١)

هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن تميم، تقي الدين المقريزي البعلبكي الأصل المصري المولد والدار والوفاء، وُلد في القاهرة ونشأ بها وتفقّه على المذهب الحنفي، ثم تحوّل عنه إلى المذهب الشافعي، تولّى حسبة القاهرة أكثر من مرة ، وبرع في علم التاريخ، واهتم بتدوين تاريخ مصر الاجتماعي، وعرض أحوال شعبها ومعاناته، وله سبق بين المؤرخين في هذا المجال.

وهو شيخ المؤرخين صاحب مدرسة تاريخية تنوعت مادتها والواقع أنّ لكتابات المقريزي مكانتها العظيمة من الاحترام، وتمتاز سجلات حوادث الأزمنة السابقة بأنها نتيجة بحث مجهود وتدقيق تاريخي أما أحداث زمانه فكان فيها شاهد عيان، وهو لم يقتصر على تدوين الأحداث السياسية، بل تعداها إلى الأوضاع الاجتماعية التي كان يعاني منها المجتمع المصري ، فأعطانا صورة فريدة صادقة لأمراض العصر .

تولى المقريزي مناصب عديدة في الدولة المملوكية ودوّن في كتابه السلوك حوادث كل عام في فصل مستقل، وأشار إلى فتوحات صلاح الدين وأعماله العسكرية ونسب الأيوبيين.

^(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة

إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ج ٤ ، ص ١٨٧، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٨

، ص ٢١٩، والسيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ، ص ٢٦٦، والزركلي: الأعلام، ج ١ ، ص ١٧٢.

وقد استفاد من تاريخ ابن الفرات يدل على ذلك ما ذكره قسطنطين زريق في تحقيقه للجزء التاسع أنه استفاد من كتاب [السلوك] والمقريزي ترجم لابن الفرات في كتابه [الخطط] .
والمصادر التي تحدثت عن حياة ابن الفرات كثيرة أوردت خلال الدراسة .

الفصل الأول: ابن الفرات - عصره - حياته - أسرته.

أولاً: عصر المصنف.

١ - الحياة السياسية.

أ- أوضاع بلاد الشام ومصر بعد سقوط بغداد وقبيل قيام دولة المماليك البحرية.

ب- المماليك البحرية: نشأتها - نفوذها في مصر وبلاد الشام.

ج- تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام.

د- تصدي المماليك للمغول في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م .

٢ - الحياة الثقافية.

٣ - الحياة الاجتماعية.

٤ - الحياة الاقتصادية.

ثانياً: التعريف بالمصنف وأسرته:

١ - حياته الشخصية :

أ - اسمه - كنيته - نسبه.

ب-أسرته.

ج-شيوخه .

د - وفاته .

٢- حياته العلمية:

١- ثقافته وميوله.

أ- مكانته ومؤلفه التاريخي (تاريخ ابن الفرات).

ب- الحركة العلمية في عصره وموقفه منها.

ج- المنهج التاريخي المتبع في تحقيق القطعة التاريخية.

١- الحياة السياسية :

معرفة سمات العصر الذي يعيش فيه الإنسان يمهد لمعرفة مقومات شخصيته، فالإنسان كائن حي، مدني بطبعه، يتفاعل مع محيطه يتأثر به ويؤثر فيه، وها هو ابن الفرات وُلد وعاش ومات في عصر المماليك ، حيث عاصر دولة المماليك البحرية^(١) ، وبدايات دولة المماليك الجراكسة^(٢).

عاصر ابن الفرات كثيراً من السلاطين بلغ عددهم خمسة عشر سلطاناً أولهم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (المدة الثالثة) (٧٠٩هـ - ٧٤١هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠م) ، وآخرهم السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن برقوق (٨٠١-٨٠٨هـ / ١٣٩٨ - ١٤٠٥م).

(١) التسمية نسبة الى بحر النيل، لأنَّ السلطان الصالح أيوب اختار لهم جزيرة الروضة وسط النيل لتكون مستقراً ومقاماً انظر: المقرئ: المواقظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ ، ولكن هناك رأي تُنسب التسمية الى أنهم جاؤوا من وراء البحار وعبر البحار انظر: العياري، شفيق: تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٢٤-٢٧.

(٢) هم ممالك السلطان المنصور قلاوون وأبنائه ، وأصل هؤلاء المماليك من الجنس الجركسي، لكن سلاطينهم من هو رومي الأصل كالظاهر خشقدم، والظاهر تمرغا انظر: المقرئ: المواقظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٢ ، ص ٢٤١ ، وعاشور، سعيد: العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة، دار النهضة ١٩٦٥م، ص ٨٩.

إنَّ العصر الذي نشأ فيه المؤلف هو العصر المملوكي، ويُعد من العصور المهمة في التاريخ الإسلامي، نظراً للمدة الزمنية الطويلة التي شغلها، وللأحداث التي شهدتها ولقوة الدولة المملوكية من مختلف النواحي عسكرياً واقتصادياً وعلمياً، وقد عاش ابن الفرات في عصر المماليك البحرية وعليه لابدّ من التعريف بهذا العصر في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية.

ويلاحظ على تلك المدة الزمنية الاضطراب السياسي، فالمماليك البحرية لم يسمحوا لأي سلطان أن ينعم باستدامة ملكه، ولم يبق في السلطة مدة طويلة منهم سوى السلطان محمد بن قلاوون حيث حكم ثلاثة وثلاثين عاماً، وكانت مدته الأولى تسع سنين ونصف، وحكم الأشرف شعبان أربعة عشر عاماً.

وكان الأمراء يتسلطون على السلاطين حيث يختارونهم صغاراً في العمر، وهكذا ظهرت دولة المماليك الثانية وحكمت مصر والشام ما بين ٧٨٤-٩٢٢هـ/١٣٨٢-١٥١٧م، وقد واجهت فتناً ومؤامرات لعدم عنايتهم بتربية المماليك، كما أن استجلاب المماليك الكبار في السن أضعف روح الولاء للسلطان أو صاحب العصية المملوكية، فزاد تمرد هؤلاء المماليك^(١).

من هنا تبين أن المماليك كانت لهم الكلمة الأولى والأخيرة، فشغلوا أعلى المناصب، فمنهم السلاطين والأمراء والنواب وقادة الجيش وغيره، لذا كان حكمهم قاسياً، فالشعب كان يعيش تحت حكم السلطان والذي يختار من بين أمراء المماليك، ولم يرشح منهم إلا من كان قويا غنيا وسخيا كثير الأتباع، وحرص سلاطين المماليك على توريث أبناءهم الملك، ونتج عن ذلك بقاء حكم هذه الأسر بفضل نظام التوريث^(٢).

(١) السيد، حكيم أمين: قيام دولة المماليك الثانية، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٥٤

(٢) انظر: شلبي: أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة، ط ٨، ١٩٩٠م، ج ١٥، ص ٢٣٤-٢٣٥.

أ- الأوضاع السياسية في مصر وبلاد الشام بعد سقوط بغداد وقيل قيام دولة المماليك

البحرية:

اهتز الحُكَّام المسلمون نتيجة سقوط بغداد، وعدَّ المسلمون أنَّ سقوط الخلافة العباسية صدمة قوية وتحدياً مخيفاً له أثر سيء في نفوسهم، وعلى الرغم من عظمة العراق وقوتها ومكانتها الأدبية والروحية إلا أنه بتدمير العاصمة أصبحت لقمة سائغة وراح يتطلع إلى الخلافة كل زعيم من المسلمين.

ومعلوم أنَّ بغداد تتال مكانة كبيرة في العلوم والثقافة والحضارة فشكّل سقوطها ضربة قوية نتيجة قتل الآف من العلماء والشعراء، وأُحرقت المكتبات، وخُربت المدارس (١)، وبعد هذا الحصار المحكم الذي منيت به بغداد استطاع المغول أن يدخلوا بغداد ويُعمِلوا بسكانها السيف والقتل، واضطر الخليفة العباسي إلى الخروج من بغداد وتسليم نفسه وعاصمته للمغول دون قيد أو شرط، وذلك في يوم الأحد الموافق للرابع من شهر صفر سنة ٦٥٦هـ (١٠ فبراير ١٢٥٨م)، وكان برفقته ثلاثة آلاف من السادة والأئمة والقضاة وكبار رجال الدولة وأعيان المدينة ولما وصلوا معسكر هولاكو أمر بوضعهم في مكان خاص، وأمر بتقسيم مرافقي الخليفة إلى جماعات، وفي البداية أخذ هولاكو يلاطف الخليفة المستعصم ويطيب خاطره ثم طلب إليه أن ينادي في الناس بإلقاء أسلحتهم، وخرجوا طبقاً لتعليمات هولاكو فقتلهم المغول جميعهم أما الخليفة وأولاده وكل ما يتعلق به فقد وضعهم هولاكو بالقرب منه في مكان بجوار باب كلوازي، وفرض عليهم حراسة مشددة، وهنا أحس الخليفة أنه هالك لا محالة، ثم أمر هولاكو بردم الخنادق، وإزالة أسوار المدينة، وأقام جسراً على نهر دجلة، ولما تم ذلك أمر القوات المغولية المعسكرة من الناحية الشرقية للمدينة بدخولها من جهتهم، وأمر أيضاً قواته المعسكرة على الشاطئ الغربي بعبور الجسر ودخول المدينة من الغرب.

(١) رنسيان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٥٢٢-٥٢٣.

فدخلها أولئك وهؤلاء كالجراد، وأتوا على أهلها جميعهم، ولم يسلم إلا من اختفى في بئر أو قناة^(١). أما المدينة كثرات حضاري فقد قام المغول بتخريب المساجد بقصد الحصول على قبابها الذهبية، وهدموا القصور بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة ومنقولات قيمة، واستمر الجنود في غاراتهم الوحشية تلك أربعين يوماً، وكلما ينتهون من منطقة يشعلون فيها النيران من كل جانب، فكانت النيران تلتهم كل ما يصادفها، فأنت على كل شيء، وخربت أكثر الأبنية، وجامع الخليفة، ومشهد الإمام موسى الكاظم، وقبور الخلفاء في الرصافة^(٢)، واستباح المغول بغداد ولم يقتصر التتار في قتلهم على الرجال الأقوياء فقط، وإنما كانوا يقتلون الكهول والشيوخ، بل وكانوا يقتلون النساء إلا اللواتي استحسهن فقد كانوا يأخذونهن سبايا، وهذا شيء معروف ومتوقع من كل غازي.

وأخيراً وبعد أن حلّ في المدينة الخراب والدمار والقتل والإبادة أصدر هولاكو أمره بالكف عن القتل وبأن ينصرف كل إلى عمله، ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان في المطامير والمقابر وغيرها كأنهم موتى، وقيل: إنّ الأوبئة قد انتشرت فيما بينهم من روائح الجثث ومات من مات بالإضافة إلى الصدمة النفسية التي عاشوها من هذه النازلة الكبرى.

ومن أهم النتائج التي جاء بها الغزو المغولي على بغداد أنّه قضى على الخلافة العباسية فيها، وذلك بقتل الخليفة المستعصم بالله الذي لقي حتفه على يد هولاكو، وتعددت الروايات والأخبار حول حادثة مقتله، وقيل: إنّ في الرابع عشر من شهر صفر سنة ٦٥٦ هجرية (٢٠ فبراير ١٢٥٨م) أمر هولاكو بقتل الخليفة المستعصم بالله الذي يعد آخر الخلفاء العباسيين في بغداد ومعه ولده الأكبر وخمسة من رجاله المخلصين الذين آثروا البقاء معه، ولم يتركوه عندما نزلت به كل تلك المصائب والنكبات.

(١) زغروت، فتحي: النوازل الكبرى في التاريخ، الأندلس الجديدة، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط١، ص١٢٥.

(٢) كي لاسترنج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، تر: بشير فرنسيس، ص٢٩٢. نقلا عن تاريخ المغول.

ويقول ابن العبري مايفيد ذلك بطريقة أخرى ".....وفي رابع عشر صفر رجل هولأكو من بغداد وفي أول مرحلة قتل الخليفة المستعصم وابنه الأوسط مع ستة من الخصيان بالليل، وقتل ابنه الكبير ومعه جماعة من الخواص على باب كلواذى" (١).

ويقول الحافظ الذهبي ((إنَّ الكافر هولأكو أمر به -أي الخليفة المستعصم- وبولده أبي بكر فرفسا حتى ماتاً، وذلك حدود آخر المحرم)) (٢).

ويقول بعض مؤرخي العرب أنه قتل رفسا عندما وضع في عدل حتى مات ، ويذكر بعضهم أنه خنق ، ويقول آخرون أنَّ جسده مَرْقٍ إرباً ، وذهب بعضهم إلى أنه لف في بساط وألقي في نهر دجلة . أمَّا مؤرخو الفرس - وعنهم اخذ مؤرخو الفرنجة - فقالوا : إنَّ هولأكو وضع أمامه شيئاً من الذهب والفضة والأحجار الكريمة وطلب منه أن يأكلها (٣) إذا أراد، وكان هولأكو قد وضعه في حجرة مغلقة.

ويقول ابن كثير : قتله التتار مظلوماً مضطهداً في يوم الأربعاء رابع عشر صفر من هذه السنة ، وله من العمر ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر ، وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام (٤).

ولاشك أنَّ الطريقة التي قتل فيها الخليفة العباسي يكتنفها الغموض ؛ لأنَّ هولأكو تقصّد إخفاء الطريقة التي قتل بها الخليفة عن الناس ، وكانت بغداد في ذلك الوقت من أشد مدن الأرض حصانة ، وكانت أسوارها من أقوى الأسوار ، فهي عاصمة الخلافة الإسلامية لأكثر من خمسة قرون ، وأنفق على تحصينها مبالغ طائلة وجهود كبيرة ، لكن كل هذه التحصينات

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠، ط٢، ص ٢٧١.

(٢) الذهبي: العبر، ج ٥ ، ص ٢٣١.

(٣) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٤) ابن كثير، إسماعيل: البداية والنهاية ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر، د.ت، ج ١٧ ، ص ٣٣٨.

والعظمة والازدهار عصفت به قوات التتار وأودته رماداً، ولم تقتصر نتائج سقوط بغداد على إنهاء الخلافة العباسية فيها وقتل الخليفة، بل طالت أيضاً المنجزات الفكرية والحضارية، فكانت حادثة حرق بعض مكتبات بغداد بما فيها خطباً جلاً على العالم العربي والإسلامي لما راح فيها من كتب قيّمة ونادرة.

فحمل جنود التتار الكتب الثمينة التي تزخر بها مكتبة بغداد وملايين من الكتب القيّمة ألقوا بها في نهر دجلة ألقوا بعلم وجهد العلماء والكتّاب في القرون الماضية في نهر دجلة. وقد كانت مكتبة بغداد أعظم مكتبة على وجه الأرض في ذلك الزمن، وهي المكتبة التي أسسها الخليفة العباسي هارون الرشيد.

كما كان هذا السقوط دافعاً للمغول ومشجعاً لهم في إكمال مسيرتهم وتوسعهم في البلاد العربية والإسلامية ولاسيما بعد ما ذاع عنهم وعن أعمالهم الإجرامية التي اقترفوها في بغداد لتكون عبرة لمن اعتبر من البلدان المجاورة^(١)، بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)^(٢).

وشهدت الدولة الأيوبية بأرجائها المكانية الواسعة في المشرق الإسلامي^(٣) أحداثاً كبيرة برزت خلالها حالة الانقسام السياسي بين الأمراء الأيوبيين في ولايات هذه الدولة جميعها^(٤)؛ لأنّ

(١) الصاوي: هولاكو الأمير السفاح، ص ١٨٥، وحافظ: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٥٢.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ٤١٦.

(٣) تمثلت تلك الأرجاء المكانية الواسعة للدولة الأيوبية في المشرق الإسلامي بدخول دمشق وحلب وحمص من مصر فضلاً عن ديار بكر وعينتاب ونصيبين وسنجار والجزيرة الفراتية وإربل وقلعة عقر الحميدية والشوش والموصل وما وراء الزاب وصولاً إلى تكريت، انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ١٦٩-١٧٢، ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٣٦-٤١، وأبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ص ١٥٥-١٦٢، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ١، ص ٣-١٠.

صلاح الدين قد قسّم قبل وفاته إدارة الدولة الأيوبية بين أبنائه وأخيه الملك العادل محمد^(٢) صاحب الكرك^(٣)

والشوبك^(٤) ، وحكم الفاطميون مصر مدة تزيد على قرنين من الزمان من ٣٥٨ - ٥٦٧هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م).

وسيطر الوزراء على الوضع آنذاك، ولم يبق من الخلافة إلا اسمها، وتنازع الوزراء على السلطة^(٥).

ومع أنّ دولة سلاطين المماليك البحرية ورثت ممتلكات دولة الأيوبيين ومسؤولياتها السياسية والعسكرية فهي جاءت استجابة سياسية وعسكرية لظروف العالم الإسلامي ولاسيما المنطقة العربية خاصة، وكان للتنافس العسكري والسياسي بين ملوك الأيوبيين دور في تراجع تأثيرهم التاريخي أمام دور المماليك حيث خرجت لتواجه المسؤولية^(٦).

(٤) الحنبلي (أحمد بن إبراهيم بن نصر الله): شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تح: ناظم رشيد ، بغداد، ١٩٧٨م ، ص ١٩٩.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١ ، ص ٤١-٤٢.

(٢) الكرك: محافظة مؤتة في الأردن تقع بالقرب من جبال السراة بالشام قرب وادي موسى، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٣) الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة القلزم قرب الكرك وقرب وادي موسى، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣ ، ص ٣٧٠.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣١٥، وسالم، سحر السيد عبد العزيز: دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب جامعة الاسكندرية، ٢٠٠٩م، ص ١١.

(٥) قاسم ، عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ١٩٩٤م، ص ١١

وبالنسبة إلى سياسة دولة المماليك الخارجية وعلاقتها بالقوى المتصارعة فقد استمرت العلاقة الطيبة مع (مغول القفجاق)^(١) تلك العلاقات التي أنشأها الظاهر بيبرس البندقداري مع زعيم القفجاق بركة خان.

وهكذا أكدت دولة المماليك التي قامت في مصر والشام قوتها الخارجية مع ما واجهته داخليا من مصاعب ومحن فاستطاعت حماية العالم الإسلامي من التتار والصليبيين .

ب- المماليك البحرية :- نشأتها - نفوذها في بلاد الشام ومصر :

نشأة دولة المماليك : من رحم النهاية المحزنة للحملة الصليبية السابعة، وجاءت هذه الدولة لتحكم المنطقة العربية وتُدافع عنها طوال مئتين وسبعين عاماً.

وهم الرقيق الأبيض الذين اعتمد عليهم حكام مصر والشام في صراعهم وذلك بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي، و ما نجم عن ذلك من صراعات وفوضى^(٢) حيث أخذ كل أمير من الأمراء الأيوبيين في تكوين عصبية لنفسه يعتمد عليها للإحتفاظ بإمارته أو تحقيق مطامعه على حساب الأمراء الآخرين؛ لذلك أكثروا من شراء الرقيق الأبيض من جنسيات مختلفة كالأتراك والجراكسة والمغول وغير ذلك، واهتموا بتدريبهم وتنشئتهم تنشئة عسكرية ودينية ليكونوا سنداً لهم فيما بعد^(٣) .

(١) القفجاق: قبيلة عظيمة من الترك عُرفوا باسم القبيلة الذهبية نسبة الى خيام معسكراتها ذات اللون الذهبي، وكان مركزهم الرئيسي شمال بحر قزوين والبحر الأسود وحوض نهر الفولجا، انظر: سرور، جمال: دولة الظاهر بيبرس ، القاهرة ١٩٦٠م، ص ١٠٢ .

(٢) قاسم، قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك "التاريخ السياسي والاجتماعي، ص ١٥٩.

(٣) عاشور، سعيد: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٧،

وكحيلة، عبادة بن عبد الرحمن رضا: العقد الثمين في تاريخ المسلمين، دار الكتاب الحديث، ط ١ ،

الكويت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ٢٥٥

بدأ نفوذهم بالظهور في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في الدولة الأيوبية، وأصبحت لهم كلمة مسموعة في الأحداث والمنازعات الداخلية حتى أنهم دبّروا مؤامرة مكنتهم من خلع العادل الثاني وإحلال الصالح نجم الدين أيوب محله، واعترافاً بفضل المماليك عليه في توطيد سلطانه^(١) عني بهم عناية فائقة جعلت نفوذهم يزداد بصورة ملحوظة في أيامه، ولهذا اشترى عددا كبيرا من المماليك ودرّبهم ليكونوا غالبية جيشه^(٢)، ولكن هؤلاء المماليك أخذوا بمضايقة الناس والاعتداء عليهم، فأراد السلطان أن يبعدهم عن العاصمة، فاختار لهم جزيرة الروضة في نهر النيل وجعلها مقرا لهم، وبنى هو الآخر قصراً في هذه الجزيرة وسكن فيه، وكان ذلك في سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤١م وذلك لخشيته من الإقامة في القاهرة بسبب خوفه من المماليك الأتراك، فأطلق على هؤلاء المماليك اسم المماليك البحرية نسبة إلى بحر النيل (أي نهر النيل)^(٣).

ويرجع ظهور المماليك لعهد الخليفة العباسي المعتصم حيث اشترؤهم من آسيا الوسطى (بلاد ما وراء النهر)^(٤).

وظهرت الفتنة في أهل بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٩م، وكان قتل هولاكو للخليفة المستعصم بعد أن وعده بالأمان حدثاً جليلاً هزّ العالم الإسلامي، فاستغلوا الفرصة وعاثوا فساداً، ونهبوا وحرقوا الكتب^(٥).

(١) زيتون، عادل: تاريخ المماليك، جامعة دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١.

(٢) المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣) طقوش، محمد سهيل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط٢، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٢٦-٢٧، والأنصاري، وناصر: المجمل في تاريخ مصر، دار الشروق، ط٢، القاهرة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٦٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٦٧، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٣٣.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٢، ٤٨.

فالمماليك، مصطلح ومفرده مملوك بالعبودية والرق؛ وهو العبد الذي يُباع ويُشترى وسُبي ولم يُملك أبواه^(١)، فهو يعني أن المملوك ملكية خاصة لشخص آخر حيث كانوا من الرقيق فعلاً، ويُجلبون أطفالاً من أسواق النخاسة ويخضعونهم لتدريب عسكري ليصبحوا حكاماً، فهم كتلة مميزة ذهبية فرضوا أنفسهم على تاريخ مصر، والمنطقة العربية طوال ثلاثة قرون سياسياً واقتصادياً قامت في مصر وبلاد الشام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م وقد كانت وريثة الأيوبيين؛ وجاءت هذه الدولة استجابة سياسية عسكرية لظروف العالم الإسلامي ولاسيما المنطقة العربية، وأضعفت الحروب الداخلية بين أبناء البيت الأيوبي قدرتهم على صد حملات الصليبيين المتكررة لدعم إخوانهم في المشرق، وأصبحت بلاد الشام ومصر مركزاً لنشاط فكري واسع بعد تدمير المغول لبغداد التي كانت مركز نور وحضارة لعدة قرون، وعند المحن يعمل كل طرف على تعزيز قوته ومكانته من خلال الإكثار من الجنود بعدة طرق ك شراء المماليك من أسواق آسيا.

فنظام الحكم المملوكي في مصر وبلاد الشام كان نظاماً طبقياً في علاقاته واتجاهاته، لذلك قسّم ابن خلدون المجتمع في عصر سلاطين المماليك إلى سلطان ورعية، والمقصود بالسلطان " الجهاز المملوكي الحاكم والفئات حوله ، أما الرعية فهم المصريون بجميع فئاتهم وطوائفهم^(٢)، وهكذا أصبح المماليك غالبية جيش الصالح نجم الدين فتسلطوا على الناس وضايقوهم، فأبعدهم إلى جزيرة الروضة في نهر النيل ٦٣٨هـ / ١٢٤١م.

(١) العبادي، أحمد مختار: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص ١١٠، وابن منظور: لسان العرب،

ج ١٠، ص ٤٩٣، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٨٣

(٢) زيتون، عادل: تاريخ المماليك، جامعة دمشق، ط ٣، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ص ١، والمقريزي: السلوك،

ج ١، ص ٣٣٩، وطقوش، محمد سهيل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط ١، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٦-٢٧، وأبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ط ١، ص ٣١، وابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٢٠.

وأطلق عليهم اسم المماليك البحرية نسبة إلى نهر النيل حيث اشتراهم الأيوبيون وأسكنوهم قلعة جزيرة الروضة في النيل، فقضى هؤلاء على الأيوبيين، وتولوا الحكم بعدهم (١) وانحدروا من أصول مختلفة ولا يربطهم دم ولا عنصر، بل الرابط فيما بينهم أنهم مماليك تمّ شراءهم بالمال.

فالمماليك أمسكوا يد التاريخ عن كتابة الخزي أو العار الذي كاد أن يلحق بالإسلام لولا جهودهم الجبارة في تحقيق النصر على الفرنج، فهم جند بني أيوب وأتباعهم المكونون من عناصر بعيدة وغريبة عن بلادهم، ومع ذلك كان عصرهم من أزهى عصور مصر الإسلامية غدت فيه مصر عاصمة لدولة عظيمة تمتد حدودها من برقة غرباً إلى البحر المتوسط شرقاً، ومن آسيا الصغرى شمالاً إلى بلاد النوبة جنوباً. وخضعت لهذه الدولة بلاد اليمن والحجاز، وكان لهم أثر في جعل مصر زعيمة العالم الإسلامي وحامية الخلافة الإسلامية العباسية والعلم بحسن تربيتهم وأعدادهم وقد وقع تنافس شديد بينهم من أجل الوصول إلى المراكز الكبرى في الدولة، فباب المجد كان مفتوحاً على مصراعيه أمامهم متمسكين بقواعد الدين الإسلامي، وهذا ما يلاحظه المؤرخون عليه لحياة المماليك العامة أمّا حياتهم الخاصة فهي موضع للطعن والسخط، وكانت علاقتهم بأساتذتهم موضع احترام وتقدير حيث كان المملوك أطوع لأستاذه من أبنائه، والأستاذ أخلص لمملوكه من نفسه ويحرص على أن يصل مملوكه لمرتبته (٢).

ومهما يكن من أمر فقد ازداد نفوذ المماليك البحرية في عهد الصالح أيوب ازدياداً خطيراً، ويلاحظ المدى الذي تأثر به تاريخ الشرق الأدنى بحركات المماليك، وببقوا يتوافدون إلى مصر منذ العصور العباسية المتأخرة، ونهجوا منهاجاً خاصاً في الحكم، وتركوا بصمات واضحة في تاريخ الشرق الأدنى ولاسيما تاريخ مصر وبلاد الشام، ولابدّ من ذكر أن معركة حلب هي السبب في سيطرة المماليك على سائر بلاد الشام من الفرات إلى حد مصر وهنا استتاب الملك

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٨٣.

(٢) أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي، ج ٥، ص ١٨١.

المظفر قطز النواب ، فهو أول من ملك البلاد الشامية من المماليك ، وأحكم أموره وأقرّ قوانينه ، فغدا نهر الفرات حدا فاصلا بين المماليك والمسلمين في بلاد الشام والمغول المحتلين في العراق^(١).

ج- تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام

سرعان ما أثبت المماليك كفاءتهم العسكرية ، وتجلت مقدرتهم القتالية في التصدي لخطر الصليبيين بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا الذي اشتهر بالتقوى والورع ، وهي أولى المحاولات الصليبية ، وتعرّض الشرق الأدنى الإسلامي لخطر هجوم أوروبي غربي واسع عُرف بالحروب الصليبية ، وبواعثها انتزاع الأراضي المقدسة المسيحية من أيدي المسلمين في حين تعددت البواعث الحقيقة من اقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية وغيرها ، وفي القرن الثالث عشر الميلادي طرأ تطور مهم على الحركة الصليبية بسبب تنامي القوة الإسلامية في مصر خاصة ، وأنزل المسلمون ضربات قاسية بباقي الممتلكات الصليبية في بلاد الشام فقد استعاد الصالح أيوب طبرية وعسقلان عام ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م فأصبحت باقي ممتلكاتهم ومعاقلم مهددة بالخطر والضياع ، ويبدو أن المماليك تخوفوا من نوايا الصالح أيوب تجاههم ، وعلى ضوء هذا يمكن تفسير التحول الجديد في مسار الحملات الصليبية واتجاهات الصليبيين ، وتوجههم نحو مصر منذ أوائل القرن الثالث عشر ، وبرز في هذه الحرب المماليك البحرية فأخذوا على عاتقهم إنقاذ الموقف فانتهت الحملة الصليبية بفضل جهود المماليك^(٢).

وخاض المماليك في بداية الدولة البحرية معركة عين جالوت ، وقضوا على الزحف المغولي ، ثم واصلوا القتال ضد الصليبيين والمغول إلى أن حرروا الكثير من سواحل بلاد الشام ، ومعلوم أنّ المغول والصليبيين هاجموا العالم الإسلامي من المشرق والمغرب في آن واحد ، ومع كل هذه الأخطار خلقت دولة المماليك متوجة بالانتصارات على يد السلطان المظفر قطز .

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧ ، ص ٨٢ ، والمقريزي: السلوك، ج ١ ، ص ٤٣٢ .

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

وفيما سبق تخلى الأيوبيون عن دورهم التاريخي وهو سبب وجود دولتهم وبقائها في التصدي للصليبيين ، ورغبوا في مهادنتهم والتعايش السلمي معهم ، وبرزت في أحداث الحملة الصليبية السابعة هذه القوة العظيمة ألا وهي فرسان المماليك حيث نجحوا فيما فشل فيه الأيوبيون الذين سقطوا في مصر وبلاد الشام نتيجة ظهور قوة بديلة تمكنت من القيام بالدور التاريخي للدولة العسكرية التي يقودها ملك محارب حيث أظهروا شجاعة وقدرة عسكرية فائقة ، ودورهم التاريخي مرهون بنجاحهم في التصدي للخطرين الصليبي والتتري^(١).

د- تصدي المماليك للمغول في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م :

هي معركة الدفاع عن وجود الأمة الإسلامية، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعركة حطين، بل هي امتداد تاريخي لها، وهي أعظم المعارك الإسلامية مع أنها كانت دفاعية حدد العدو زمانها، لكنه أخفق في تحديد مكانها، وبرز المغول بعد تولي جنكيز خان الحكم عام ١١٩٤م ، ومع استعداد العدو لها وتجهيزاته العسكرية كانت القوات الإسلامية قد حققت نصراً ساحقاً ضدهم في حطين عام ١١٨٧م، وعرف المصريون منذ عهد صلاح الدين أساليب الهجوم والمباغلة والكمين والتطويق^(٢).

وأعلن هولاكو رغبته في غزو مصر واحتلالها بإرساله رسالة غطرسة ووعيد إلى سلطانها قطز بحجة تنفيذ الإرادة الإلهية^(٣).

ومن الممكن تقسيم هذه المعركة إلى مراحل ففي البداية تم تحرير غزة والتقدم باتجاه عكا، ثم أحداث عين جالوت، ومن ثم مطاردة فلول المغول معركة ميسان، والاندفاع إلى حمص، وهذا

(١) العبادي، أحمد مختار: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٩٦-١٠٠،

وقاسم ، عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ط ١، ١٩٩٨م ، ص ١٦-

(٢) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣ ص ٢٠٥-٢١٠، المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٤١٥-٤٢٠.

(٣) المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٤٢٠.

عرّضه لمخاطر جسيمة ؛ إذ حمل رجاله كلهم أعلى المقدمة المملوكية التي شاهدها أمامه فأسرع بيبرس بالتقهقر إلى التلال المجاورة حسب الخطة الموضوعة .

وهكذا كانت هذه المعركة المفصلية معركة حاسمة في التاريخ الاسلامي حيث أعادت الأمل في النفوس الإسلامية وأثبتت أنّ المغول ليس غير جنود لا يفقهون في الاستراتيجيات العسكرية شيئاً ، ولربما لم يقف إلى جانبهم في انتصاراتهم السابقة سوى التجزئة التي كان يعاني منها العالم العربي والاسلامي في تلك الآونة من تنازع وتناحر وصراعات، وبثت هذه المعركة الأمل من جديد في إمكانية استعادة ما تم أخذه واحتلاله من قبل المغول، حدث هذا كله ودولة المماليك لاتزال في طور النمو، فلهذا النصر أهمية كبرى حيث أنقذ المدن الإسلامية والشرق الإسلامي من الدمار على يد المغول^(١).

- نتائج معركة عين جالوت وآثارها :

تُعدّ عين جالوت إحدى الوقائع التاريخية المهمة ١٤١٨-١٩٩٧ م، وترتبت عليها نتائج بالغة الأهمية منها:

- لقي المغول ، لأول مرة في تاريخهم في الشرق هزيمة حاسمة، وتعرّض جيشهم للدمار التام، وقضى المماليك على الخرافة القائلة إنّ المغول قوم لا يغلبون .
- سيطر المماليك بعد عين جالوت على بلاد الشام كلها حتى نهر الفرات ، وحققوا وحدة بلاد الشام ومصر .
- والواقع أنّ ما أحرزه المماليك من انتصار في عين جالوت أنقذ الإسلام والمسلمين ، كما أنقذ أوروبا من خطرهم.
- أدّى انتصار المماليك إلى احتفاظ مصر بما لها من حضارة ومدنية ، فلم تتعرض لما تعرّضت له بغداد من تدمير وخراب.

(١) حبيبة، علي حسن: الحروب الصليبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص١٣٨-١٣٩

- جعلت هذه المعركة من المماليك القوة الأساسية في الشرق.

- لقي كتبغا القائد المغولي حتفه في هذه المعركة على يد المماليك^(١).

- حققت دولة المماليك الناشئة الدعامة التي تعتمد عليها في البقاء في الحكم . فهذا الانتصار حقق لهم أمانهم وأظهرهم بصورة الدرع الواقي والسد المنيع للعالم الإسلامي. ويظهر مما سبق أنّ الحالة السياسية في الدولتين (البحرية والبرجية) كانت متفاوتة في المقدرة وتميزت الدولة الأولى بالحكم الطويل لسلطينها مما وفر استقرارا لها وتحققت انتصارات عسكرية ضد التتار والصليبيين، وتمّ خلالها كثير من الإصلاحات الداخلية، وساد الهدوء والسلام لسنوات^(٢).

اجتماعيا:

لا يخفى انعكاس الناحية السياسية في أي مجتمع على الحالة الاجتماعية ، وهذا ما حدث في عصر المماليك .

فتضمنت هذه الدراسة حقبة مهمة من تاريخ الأمة العربية الإسلامية ولاسيما تاريخ مصر، فقد شهد حكم الأيوبيين والمماليك مرحلة تجمعت فيها الأمة الإسلامية على مقاومة العدوان الصليبي، واستطاعت خلال حكم الأيوبيين والمماليك أن تقلص المساحة الصليبية على الخريطة العربية.

(١) طقّوش، محمد سهيل : تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ط١، ص ٨٢ وما بعدها.

(٢) سلام، محمد زغلول: الأدب في العصر المملوكي، ج ١ ص ١٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج ١٥، ص ٢٣٦.

كما كانت سلطنة المماليك استمراراً للمرحلة الأيوبية ذات الطابع والاتجاه العسكري ، ومع وراثة الحكم ورثوا مسؤولية التصدي لأعداء الأمة العربية من الصليبيين والمغول . وللأسرة الأيوبية دور فعال كآل زنكي في مواجهة الصليبيين.

ومع أن المماليك كانوا عبيداً للأيوبيين فقد استطاعوا بفضل كفاءتهم العسكرية أن ينتزعوا منهم هذا الدور ، وكانت مصر قاعدة الدولة الأيوبية والدولة المملوكية التي استطاعت القضاء على المنافسة الأيوبية في بلاد الشام بفضل مواردها وقامت بدور القوة الضاربة المدافعة عن الحضارة العربية الإسلامية.

والوحدة العضوية التي تربط عصري الأيوبيين والمماليك هي التي تؤدي إلى عدهما عصرًا واحدًا بتأييدهم الخليفة العباسي وتوجيه جميع موارد الدولة نحو العمل الحربي دفاعاً عن دار الإسلام.

وقد كان المجتمع المصري آنذاك يتكون من عدة طبقات :

- طبقة المماليك : وهم أصحاب الأمر والنهي في البلاد ، واتصفوا بالغنى الفاحش والثراء لتقسيمهم أراضي الدولة فيما بينهم وشيّدوا القصور المزخرفة بالذهب .
- طبقة المثقفين (المعلمين) "القضاة - الفقهاء - الكتاب" حيث كان لهم نفوذ كبير على أفراد الشعب ، وكانوا محلاً للتكريم والتقدير من السلاطين والحكام ، وهم الزعماء والمصلحون يساعدون القطاعات المختلفة على فهم حقوقهم وواجباتهم ، وانصرف معظمهم إلى الدراسات الدينية ، لأنها الطريق لوظائف الوزارة والقضاء والإفتاء والحسبة .
- طبقة الفلاحين والعمال: لم يملكوا الأرض التي زرعوها، بل كانوا أجراء يزرعونها للحاكم ورجال الجيش بمقابل بسيط، فساد نظام الإقطاع ؛ أي تقسيم الأراضي الزراعية إلى إقطاعات موزعة بين السلاطين والأمراء ، وحُرم الشعب من ملكية الأرض (١).

(١) عاشور، سعيد: المجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك، ص ٤٩ وما بعدها .

- طبقة التجار: كانت لهم مكانة مرموقة في هذا العصر، ولمصر نشاط كبير تجارياً حيث كانت التجارة مصدراً مهماً من مصادر الثروة والغنى، فأصبح نتيجة ذلك ظهور طبقة ممتازة من كبار التجار تمتلك القصور الفخمة، ولها مركز مرموق.

وتمتعت المرأة باحترام المجتمع فسميت ست الملوك وست الكل وغير ذلك.

وكان النظام الاجتماعي في مصر يقوم على الطبقية الواضحة، فعاش المماليك كطبقة منفصلة عن أفراد المجتمع، وقسم المقريري المجتمع المصري إلى أهل الدولة من المماليك، وأهل اليسار من التجار، ومتوسطو الحال من الباعة والسوقة، وأهل الفلح والفقهاء من طلاب علم، وأرباب الصنائع والمهن (١).

وبصورة عامة تمتع هذا العصر بالنشاطات الاجتماعية المتنوعة من أسواق ومساجد ومشافٍ وزوايا وفنادق، وتطوعوا في أعمال الجهاد ضد الفرنجة الذي جاء نتيجة اهتمامهم بأخبار المعارك (٢).

وللمماليك روابط مع أسيادهم فهم خدام طائعون سامعون عاشوا منعزلين عن الناس، واختلفوا بشخصيتهم ولم يختلطوا بغيرهم من السكان، وتمتع أمراء المماليك بمظاهر الترف والرفاهية من أراضي وقصور وطعام ولباس، وارتكاب المظالم بالفلاحين والتجار، والتأمر والظلم حفاظاً على المناصب السياسية والمراتب الاجتماعية، وانقسم المماليك إلى أحزاب متطاحنة تستعمل أقصى طرق التكتيل ببعضهم، ولم يؤثر الانقسام الداخلي في وحدتهم أمام العالم الخارجي مما يُفسر سر قوتهم وانتصاراتهم الحربية إزاء عدوهم المشترك، وحافظوا على الروح القتالية

(١) المقريري: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: زيادة، محمد مصطفى، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة،

١٣٥٣ - ١٣٧٨ هـ / ١٩٣٤ - ١٩٥٨ م، ص ٨٢.

(٢) شيخ أمين، بكري: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ص ٤٢.

والحربية بزواجهم من بنات جنسهم^(١)، واعتنى السلاطين بمظاهر الأبهة وبذلك عاش الشعب في مصر والشام كل ألوان القهر والعذاب فتساوى الجميع في ذلك، والتناقض يكمن في سرد الوقائع رغم العذاب والقهر والمجاعات كما سلف ذكره هناك تبريرات أنه لا يخلو مجتمع من المظالم وانتشار الفساد والوضع كان طبيعياً^(٢).

ويلاحظ اعتماد المماليك على أرباب الوظائف الدينية للبقاء في السلطة، فالعلماء هم الصفوة الإدارية والاجتماعية والدينية؛ لأنّ الشريعة الإسلامية لم تكن مختصة بالعبادة، بل نظمت كل شؤون الحياة لإصباح الشرعية على حكم المماليك، فهم أرادوا اتخاذ الدين ستاراً يقربهم من الشعب لشعورهم بأنهم أغراب عن البلاد وأنهم مغتصبون للحكم فعملوا على تطوير البلاد.

وبالنسبة إلى تعاملهم مع أهل الذمة فقد كان تعاملهم طبيعياً من التزام العدالة تجاه الأقليات الدينية التزاماً بتعاليم الدين الإسلامي ولطمعهم بثروات اليهود والنصارى صادروها، فالمصادرة كانت سمة السياسة الداخلية في عصر المماليك، وهي تعبير عن طبيعة أولئك الحكام العسكريين وتعاملهم مع رعاياهم من المسلمين وأهل الذمة، وكان للأقليات الدينية دور فاعل في الحياة الاجتماعية حيث تأثروا وشاركوا فيها في كل المجالات فتمتع رئيس اليهود بسلطات واسعة على أبناء طائفتهم وتنظيم شؤونهم الدينية، ويتضح أنّ أبناء الأقليات الدينية سواء من اليهود أم المسيحيين قد مارسوا كل مهن المسلمين تقريباً، فالظاهر أنّ عدم اختلاط المماليك بالسكان أدّى إلى ترفعهم عن أهل البلاد، وآمن الشعب المصري عامته بالصوفية إيماناً راسخاً.

(١) سلام، محمد زغلول: الأدب في العصر المملوكي، ج ١ ص ٥٣، موير، وليم: تاريخ دولة المماليك،

ص ٤٠، عاشور، سعيد: مصر والشام الأيوبيين والمماليك، ص ٢٧٣، وابن قاضي شهبه: تاريخ ابن

قاضي شهبه، ج ١، ص ٣٢٨.

(٢) زيتون: تاريخ المماليك، ص ١٤١، وعاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة

العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٣٧-٤٥، ١٥٧.

وكان لهجرة العلماء والفقهاء من الشام والمغرب العربي والأندلس دور في انتشار الصوفية، وعانى الشعب المصري من ظلم المماليك، ومن الجفاف والمجاعات والأمراض والآفات.

وبالمجمل تميزت الحياة الاجتماعية بما يأتي: عاش المماليك طبقات أعلاهم السلطان ثم الأمير ثم الأتابك ثم الجيش ثم أعوان الإدارة وبالأدنى عامة الشعب، وتمتع الأمراء وقادة الجيش بأموال طائلة وعاشوا الثراء الفاحش واتصفوا بالظلم وأكل أموال الناس بالباطل، ومن الطبيعي في ظل هذا النظام الإقطاعي أن يتسم المجتمع المصري بالطبقية في علاقاته واتجاهاته منعكسا ذلك على كل أوجه الحياة آنذاك، واختلف المجتمع المصري في عصر الجراكسة عن عصر البحرية من حيث الصورة اللامعة المشرقة بالحوية والحياة في أوائل العصر التي عبرت عن مجتمع إقطاعي في بداية صعوده وكان متمتعاً بالمتانة السياسية المحكمة وأرسل السلاطين دعائم الأمن والاستقرار ودعمهم النشاط الزراعي المزدهر للعناية الكبيرة بمرافق الري والنظام الإقطاعي الصارم الذي يحكمهم إلى الاستقرار النسبي مع مظاهر الاضطراب فيه أحيانا، وانقسم المجتمع الطبقي إلى طبقتين وهما الحكام والرعية: أي السلطان وجهازه الحاكم بجناحيه العسكري والمدني وأبناء الرعية من المصريين المحكومين، فعاشت كل طبقة حياتها الاجتماعية بمعزل عن الطبقة الأخرى، فقسم ابن خلدون المجتمع إلى سلطان ورعية، فالسلطان هو الجهاز الحاكم والفئات التابعة له، والرعية فهي المصريون بجميع طوائفهم. ولم تكن المعاملة منصفة ولم تقم على أساس الحقوق والواجبات المتبادلة باعتبارهم كانوا عبيدا في طفولتهم. والمقريزي أيضاً قسم المجتمع إلى سبع طوائف مقتربا من تقسيم ابن خلدون فلم يعتمد على الطبقة، بل جعل أهل الدولة على قمة التقسيم ثم بين التفاوت الاقتصادي لكل فئة حسب نشاطها في المجتمع، واكتفى بذكر أهل الدولة دون أن يوضح نشاطهم الاقتصادي. وعلى ضوء ما سبق فالمجتمع المصري في عصر المماليك كان يقوم على بناء طبقي حاد فتمتعت طبقة الحكام العسكريين بكل الحقوق والامتيازات من أراضي قام عليها اقتصاد البلاد ولهم حق الحكم والإدارة، واقتصر دور أبنائها على الانتاج ودفع الضرائب والخضوع المتكرر لابتزاز المماليك دون أن يكون من حقهم المشاركة في الحكم، وكان لفرسان المماليك الحق في الحكم

لاستئثارهم بالرتب العليا في الجيش المملوكي، ويقع على عاتقهم الدفاع عن البلاد ضد المخاطر وحماية العرش.^(١)

٢- الحالة الثقافية:

كانت دولة المماليك البحرية محورا لمنابع حضارية وثقافية عظيمة تستحق الدراسة من كل الجوانب، ولطالما كانت الفوضى هي نتيجة الحركة بلا فكر فهما متلازمان لا يفترقان إلا في فترات الهبوط الحضاري، فدراسة الحركة الفكرية هي دراسة للجانب القوي والخفي المحرك للدولة والمجتمع ومع ذلك حافظ المماليك على مستوى العلوم ونشاطها خلال حقبتهم، ويرجع ذلك إلى وعي عربي كبير تجلّى في أحسن صوره وحالاته في اهتمام العرب بالعلوم قدر الإمكان بعد عزل المماليك عن مواقع السلطة والحكم، ويلاحظ أنّ النشاط العلمي اتسم في عصر المماليك بصفة دينية، لأنهم أرادوا الحفاظ على المظهر الإسلامي في دولتهم، ولهذا شجعوا العلوم الدينية التي كان من أهم مظاهرها الإكثار من بناء المدارس وتشديد الجوامع التي تنهض بهذا العبء، وازدادت أهمية مصر؛ لكونها قلعة العروبة والإسلام بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية ولجوء الكثير من العلماء إلى مصر للحفاظ على التراث، فوجدوا كل التشجيع من سلاطين المماليك والشعب المصري^(٢).

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٧، ص ١٠٩، ج ١٥ ص ٩٢، وقاسم، عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي "عصر سلاطين المماليك"، كلية الآداب- جامعة الزقازيق، ط ٢، ١٩٨٣م، دار المعارف، ص ٧١-٧٤، والفلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٠٠، ١٨٨، وابن خلدون: المقدمة، ص ١٨٣، المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٧٢-٧٣، عاشور، سعيد: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٤٨-٥٢.

(٢) زيتون، عادل: تاريخ المماليك، ص ١٧٤-١٧٥.

باختلاف الحياتين السياسية والاجتماعية شهدت مصر حياة ثقافية حافلة بالعلوم والفنون لاهتمام المماليك بالمدارس^(١)، والزوايا والربط^(٢)، فزخرت مصر بمجالس العلم والأدب، ونشطت حركة التأليف في هذا العصر، وظهرت الموسوعات التي تجمع أنواع المعارف والعلوم ولاسيما علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والأصول وعلوم اللغة خدمة للكتاب والسنة ومن أهم العلوم التي ألقوا فيها :

- علوم القرآن والحديث:

ساد في هذا العصر التعليم الديني حيث اهتم العلماء بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وكثرت حولهما مؤلفات في التفسير والشروح وأبدع جماعة منهم :

- ابن النقيب: جمال الدين محمد بن سلمان (٦١١-٦٩٨هـ / ١٢١٤-١٢٩٨م) وقام بالتدريس بالعاشورية^(٣) ثم بالأزهر.
- وصنّف تفسيراً فيه خمسون مجلداً عنوانه " التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير"^(٤).

(١) ذكر المقرئ عدد المدارس في عهد المماليك نحو ٤٥ مدرسة انظر: ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، ج ٧، ص ٨٣.

(٢) الربط : جمع رباط وهو دار يسكنها أهل طريق الله ، والرباط من الخيل الخمس فما فوق ، والمرابطون من لازموا ثغر العدو ، وأصله أن يربط كل من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا انظر: المقرئ: الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٢٧.

(٣) العاشورية : مدرسة بحارة زويلة في القاهرة، نسبة للسيدة عاشوراء زوجة الأمير إياذكوج ، وقد وقفها على الأحناف انظر: سلام، محمد زغلول: الأدب في العصر المملوكي، ج ١ ، ص ١١٦.

(٤) نويهض، عادل: معجم المفسرين، ج ٢ ، ص ٥٣٥.

- ابن دقيق العيد: تقي الدين محمد بن مجد الدين علي بن وهب المنفلوطي (٦٢٥ - ٧٠٢هـ / ١٢٢٨ - ١٣٠٢م) من مؤلفاته : "شرح مختصر ابن الحاجب " في فقه المالكية ، و"شرح عمدة الأحكام" (١)
- الدمياطي: شرف الدين عبد المؤمن بن خلف (٦١٢ - ٧٠٥هـ / ١٢١٥ - ١٣٠٥م) من مؤلفاته: السيرة النبوية ، وكتاب الصلاة الوسطى (٢).

في التاريخ:

اهتم العلماء بالتاريخ في صوره المختلفة من تأريخ عام للدول الإسلامية أو سير وتراجم الأعلام والأعيان.

ومن المؤرخين:

- ابن خلدون

عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد (ت ٧٣٢ - ٨٠٨هـ / ١٣٣١ - ١٤٠٥م) ، صاحب المقدمة والتاريخ الكبير المعروف ب العبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر (٣)

- القلقشندي:

شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت ٧٨٢ - ٨٢١هـ / ١٣٨٠ - ١٤١٨م) وله كتاب " صبح الأعشى في صناعة الانشا" (٤)

(١) ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٦ ، ص ٣٤.

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٦ ، ص ١٢.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ، ص ٧٦ ، والسخاوي: الضوء اللامع، ج ٤ ، ص ١٤٥.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ، ص ١٤٩ ، نويهض، عادل: معجم المفسرين، ج ١ ، ص ٢٧٥.

- المقريزي

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٧٦٠ - ٨٤٥هـ / ١٣٥٨ - ١٤٤١م)
صاحب " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " المعروفة بالخطط المقريزية ^(١).

- ابن تغري بردي:

يوسف أبو المحاسن (ت ٨١٣ - ٨٧٤هـ / ١٤١٠ - ١٤٦٩م) كان من مماليك الظاهر
برقوق ت ٨٠١هـ من أشهر كتبه " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ^(٢).

- في الجغرافيا: برز علماء في علم الفلك والأرض، ومنهم:

- علاء الدين البيهقي ت ٨١٥هـ ^(٣)

- السيد الشريف الجرجاني ت ٨١٦هـ ^(٤)

- في الرياضيات:

- محمد بن محمد الحلبي ت ٨٠٠هـ ^(٥).

- شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن الهائم ت ٨١٥هـ ^(٦).

- غياث الدين الكاشي ت ٨٣٠هـ ^(٧).

(١) ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٧ ، ص ٢٥٤.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ص ٣١٧ ، السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠ ص ٣٠٥، ابن الصيرفي

: أنباء الهصر بأبناء العصر، ص ١٧٥ .

(٣) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، ج ٣ ، ص ٨٨٥.

(٤) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، ج ٣ ، ص ٨٨٥.

(٥) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، ج ٣ ، ص ٨٨٦.

(٦) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، ج ٣ ، ص ٨٨٦.

(٧) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، ج ٣ ، ص ٨٨٦.

- في الطب:

- التبريزي فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي^(١).
- حاجي باشا خضر بن علي البديني ت ٨٢٠هـ / ١٤١٧م^(٢).

- في الفلسفة:

أكدت الوثائق التاريخية أن سلاطين المماليك حاربوا الفلاسفة واضطهدوهم فقتلوا من عمل بالفلسفة؛ لأنهم رأوا في ذلك تركا للكتاب والسنة، كما أن المماليك خافوا على أنفسهم من تحريض الفلاسفة وإيقاظ الشعب من غفلته ومع ذلك ظهرت طائفة من الفلاسفة منهم :

- عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الأيجي (ت ٧٠٨-٧٥٣هـ / ١٣٠٨-١٣٥٢م) له كتاب "مواقف الإسلاميين" في علم الكلام ، توفي محبوساً بقلعة قرب إيج [في أقصى بلاد فارس]^(٣).
- شمس الدين الكرمانلي: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد (٧١٧-٧٨٦هـ / ١٣١٧-١٣٨٤م) وله "أنموذج الكشف" حاشية عليه^(٤).

في اللغة والأدب:

اهتم العلماء باللغة ولاسيما النحو فاهتمامهم بها ضروري لخدمة الدين الإسلامي من قرآن وحديث وتفسير ، لذلك يصعب حصرهم حسب الاختصاص نذكر منهم:

-
- (١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ، ص ١٢٢.
 - (٢) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، ج ٣ ، ص ٨٨٧.
 - (٣) إيج : بلدة كثيرة البساتين والخيرات في أقصى بلاد فارس. انظر «معجم البلدان» ج ١ ص ٢٨٧ ، و ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦ ، ص ١٧٤.
 - (٤) نويهض، عادل: معجم المفسرين، ج ٢ ، ص ٦٥٦.

- في اللغة:

- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الإفريقي (٦٣٠ - ٧١١هـ / ١٢١٣ - ١٣١١م) صاحب المعجم الشهير "لسان العرب" (١).
- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي (٧٧٣ - ٨٥٢هـ / ١٣٧١ - ١٤٤٨م). له مؤلفات أشهرها: "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة"، "ولسان الميزان"، وتهذيب التهذيب (٢).

في النحو:

كان هناك علماء لهم فضل كبير في الدراسات النحوية منهم:

- ابن مالك: محمد بن عبد الله بن جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجبالي نزيل دمشق (٦٠٠ - ٦٧٢هـ / ١٢٠٣ - ١٢٧٣م). صاحب "الألفية"، و"تسهيل الفوائد وشرحه" (٣).

في الشعر:

لم يخل العصر من الشعراء لكن غلبت سمة العامية، والضعف الموضوعي، وقلة الابتكار بسبب ميل السلاطين إلى العامية؛ لأنهم أعاجم لا يدركون معانيه، ويتعشرون في النطق

(١) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص ١٠٦، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٦.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٧٠، نويهض، عادل: معجم المفسرين، ج ١، ص ٥١، الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ١٧٢.

(٣) السيوطي: بغية الوعاة، ص ٥٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٣٨.

بالعربية (١) وساد صراع بين الوجود العربي الإسلامي والقوى الخارجية من صليبيين وتتار فانصرفوا عن الشعر الجيد وعملوا بالحرف والصناعات .

ومهما تنوعت الحياة الثقافية فجهود الممالك في تعويض الكتب الأصلية التي طالتها يد الغدر والدمار كانت تعكس صورة الناس وطبائعهم في ذلك العصر .

حكم الممالك مصر والشام مدة من الزمن أثرت بشكل بالغ في حياة الشعوب ، وسادت هذه المرحلة اضطرابات سياسية وظروف عصيبة في مختلف المراحل من فتن وبلايا ، ومع ذلك فقد ازدهرت الثقافة وكثرت المؤلفات وتعددت أنواعها وفنونها (٢) .

فالازدهار الثقافي الكبير جاء نتيجة لكثرة المؤسسات التعليمية والعناية بها بدافع التماس الغلات العائدة من أوقاف المدارس ، أو لشعورهم بالغربة ليلتف الناس حولهم (٣) ، ويمكن القول إنَّ العلماء كانوا أفضأً استطاعوا بوقت قصير إعادة جمع ما خسرته التراث الإسلامي على يد المغول سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، وتابعوا مسيرة التأليف والإبداع مكوتين نهضة عظيمة ، فالعصر المملوكي من أزهى العصور الإسلامية من حيث كثرة العلماء والفقهاء وكثرة المؤسسات ومراكز التعليم، ولا غرَّ مصر منارة العلم والعلماء (٤) ، وشعر العلماء بواجبهم تجاه نشر الدين وجمع شتات المعارف ، ورأوا أنهم لم يُغذُوا السير في ميدان التدوين والتصنيف فأشاعوا حركة إحياء علمية جلييلة مع كثرة العقبات ، وكان للتنافس الشديد أثر مفيد في هذا الإحياء ، وكان لدور التعليم أثر في ازدهار الحركة العلمية، وتكفل السلاطين والحكّام بتكاليف

(١) سلام، سعيد زغلول: الأدب في العصر المملوكي، ج ٢ ، ص ١٠٥ ، ١٠٧ ، فاخوري، حنا: تاريخ الأدب العربي، ص ٨٦٢ .

(٢) الفاخوري، حنا: تاريخ الأدب العربي ، ص ٨٦١ .

(٣) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٤ .، والسيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٤) سليم، محمود رزوق: عصر سلاطين الممالك ونتاجه العلمي والأدبي ، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية ، مصر، د.ت، ص ١٧-١٨ .

المدارس وشيوخها فراحوا يقفون عليها الأوقاف الكثيرة من رواتب شهرية للفقراء والعلماء، وربما أُجريت الرواتب على الطلبة كذلك.

امتازت النهضة العلمية بصيانة التراث الإسلامي الذي كادت أن تُخربه أيدي المغول، وقام المصريون بالصيانة والتجديد والرد على الفرق الدينية المختلفة كالمعتزلة والرافضة وتم الأبهة^(١)، وغدت مصر في عهد سلاطين المماليك ميداناً للنشاطات العلمية والمؤلفات القيّمة بفضل مساهمة العلماء في التقدم الحضاري والثقافي، وتمثل هذا التقدم بالثروة العلمية الكبيرة التي وصلت إليه في ذلك العصر من انتاجات علمية جعلت (بروكلمان) يخصص مجلداً كاملاً في أكثر من ٦٠٠ صفحة لتصنيف عدد من مؤلفات ذلك العصر، ويفرد ابن حجر العسقلاني خمسة مجلدات لأعيان القرن ٣هـ / ٩م فقط في كتابه الدرر الكامنة، فيما كتب السخاوي ضعف ذلك حين خصّص عشرة مجلدات من أعيان القرن ٩هـ / ١٥م في كتابه الضوء اللامع، وخصص المقرئزي قرابة خمسة مجلدات لتغطية خطط القاهرة وما حولها في كتابه المواعظ والاعتبار، وألّف النعيمي كتاباً من مجلدين للحديث عن مدارس دمشق في كتابه الدارس في تاريخ المدارس، وصنّف محمود زريق سليم الانتاج العلمي لذلك العصر في ستة مجلدات تقريباً، يُضاف إليها الطبقات والتراجم والسير والتاريخ، ومهما يكن فإنّ هذا العصر أنتج علماء استكملوا ما أنتجته العصور الإسلامية السالفة ولاسيما في علم التاريخ.

من كل ما تقدّم يمكن استنتاج السمات العامة للحياة الفكرية في العصر المملوكي التي تُعد سمات عامة، وتميزت بحيوية اللغة العربية وضخامة الإرث الحضاري والسياسي والعسكري والديني والاقتصادي والاجتماعي، وما ساد المجتمع من حروب ونزاعات جعلت العلماء يلتزمون الكتابة والتأليف والتجميع لإعادة الحياة الفكرية إلى تألقها ومكانتها الرفيعة التي وصلت إليها، ولأهل الذمة دور مهم كونهم جزءاً من نسيج مجتمعهم، وأسهمت المرأة إسهاماً فعالاً ونشطاً في نهوض الحركة العلمية في العصر المملوكي، والعلم ومقوماته لم تقتصر على إقليم

(١) حمزة، عبد اللطيف: الحركة الفكرية في مصر في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط١،

دار الفكر العربي، ص ٥٧-٦٧.

مصر، بل شملت على جميع أراضي السلطنة المملوكية لأنّ وعي العلماء وبعض السلاطين أدركوا أنّ العلم أساسي لدى هذه الأمة.

فيلاحظ أنّ الحياة الفكرية العلمية كانت على قدم وساق ونشاط دائم ومعتمدة والتقسيم الأدق ومنقيدة بموضوع الموسوعة ، فتميزت الحياة العلمية في عهد المماليك بالحفاظ على التراث الإسلامي من هجمات المغول، والارتقاء بالعلم والمعرفة، وتجديد جميع أوجه النشاط العلمي، وتميز الأدب بعاطفة قوية بالجانب الروحي والعسكري والسياسي ، وسيطرة الثقافة الدينية على أذهان الأدباء والكتاب مما ساهم في نهضة الفقه والبلاغة .

٣- الحياة الاقتصادية:

يستند كيان الدولة على أساس اقتصادي سليم، للعمل على تنمية موارد الثروة؛ لهذا اهتم المماليك بالزراعة فهي عماد الثروة المصرية ، ويُعدّ عصر الناصر محمد بن قلاوون من أزهى عصور الزراعة في العصر المملوكي، قد ترك أثراً مهماً في مصر وفي البلاد الشامية.

وارتقت الصناعة وازدهرت خلال عصر المماليك وترك هذا العصر مصنوعات راقية منها صناعة السفن والمعادن والزجاج والصناعات الخشبية والجلدية والغذائية^(١).

والناظر في تاريخ دولة سلاطين المماليك أيام عنفوانها وقوتها ، يجدها تتمتع بإقتصاد قوي ومتين، فكانت القاهرة من أغنى مدن العالم ، تدفقت عليها أموال هائلة لازدهار التجارة الخارجية وازدهار النشاط الاقتصادي كالزراعة والصناعة^(٢) .

وأحاطت بعصر المماليك ظروف مختلفة، وأثرت الحروب الصليبية حيث حملت راية الجهاد على رأسها فأعطاه طابعاً خاصاً، وأعطى سقوط الخلافة العباسية وانتقالها للقاهرة صبغة

(١) العياري، شفيق إبراهيم: تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) عاشور، سعيد: المجتمع المصري، ص ٦٥.

شرعية للسلطنة المملوكية ، ولهجرة جماعات من المدن الأجنبية والعربية إلى مصر أثر في تنوع الثقافات ومؤثرات الحضارة (١).

وجود الممالك في السلطة يمثل نمطا حضاريا مختلفا بتدريبهم العسكري المميز والتعليم الديني الجيد أدى إلى ظهور طبقة من الفرسان المتعلمين ، فتبلورت حضارة جديدة نتيجة العلاقات الدبلوماسية بين الممالك وممالك أوربا الكاثوليكية ، وخلق تجانس اجتماعي وعلاقات اقتصادية ظهرت في المناسبات الاجتماعية لجميع طوائف المجتمع وفئاته (٢).

إن البيئة الاقتصادية التي كانت سائدة في العصر المملوكي عكست الظروف السياسية السائدة وكانت هناك حاجة ملحة لتنمية القوة العسكرية لمواجهة الأعداء ، فعمل الممالك على تقوية جيوشهم بشراء ممالك جدد للمشاركة في إدارة البلاد ، وعليه قسمة الإقطاعات الأراضي الزراعية في مصر على أربعة وعشرين قيراطا أربعة للسلطان والرواتب ، وعشرة للأمراء والزيادات ، وعشرة للأجناد ، فضعف الجيش بسبب تقليص الإقطاعات مما ساعد على إثارة الفتن فهذا انعكس بدوره على النشاط اليومي في الحياة المصرية آنذاك (٣).

وتم التأكيد على أن الزراعة أهم مصادر اقتصاد الدولة المملوكية ؛ لإهتمام الحكام بتطوير الزراعة ، والعمل على زيادة الأراضي الزراعية ، ومناسبة البيئة لزراعة كثير من المحاصيل ، ولنهر النيل أهمية كبيرة في الزراعة ونشاطها حتى كمية الضرائب قُدرت تبعا لحالة نهر

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأنباء العمر، تح: حسن حبشي ، ط١، المجلس الأعلى للشؤون

الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ج ٢ ، ص ٢٥٠.

(٢) قاسم، عبده: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين الممالك، دار الشروق، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤ م، ص ٢٢١.

(٣) قاسم، عبد قاسم: عصر سلاطين الممالك، ص ٣١٤، ٣١٦.

النيل^(١)، أما الصناعة فازدهرت الحرف والصناعات بأنواعها كالحربية من مراكب وسفن وأسلحة وسيوف ومجانيق، وتناسب هذا الإزدهار مع النظام الاجتماعي الطبقي، وتطورت حياتهم نتيجة الترف من أطعمة وملابس وزخارف، وكثرت الأسواق نتيجة النمو السكاني الذي ارتفع نتيجة زيادة عدد جنود المماليك في البلاد، وامتألت الأسواق بالبضائع، وتنوعت الأسواق في العصر المملوكي^(٢).

وهكذا نشطت الحركة التجارية نشاطاً كبيراً خلال هذا العصر؛ لارتباط الدولة المملوكية بمعاهدات تجارية مع الجمهوريات الإيطالية ولاسيما مع البندقية، وكان لموقع مصر المهم بين الشرق والغرب أثره في حرص الدول الأوروبية على أن ترتبط مع مصر برباط التجارة.

(١) قاسم، عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، ط ١
١٩٧٨م، ص ٢١.

(٢) قاسم، عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٣١٢، والمقريري: السلوك،
ج ١، ص ٥٢٦، قاسم، عبد قاسم: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ج ٧، ص ١٦.

ثانياً: التعريف بالمصنف "ابن الفرات"

١- حياته :

أ-اسمه -كنيته - نسبه

هو محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن^(١) بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات ، الطالب الفقيه الحنفي، المؤرخ المصري، لقب ناصر الدين^(٢)، وعُرف بابن الفرات نسبة إلى نهر الفرات كما ذكر السخاوي في كتابه الضوء اللامع، وذكر المؤرخون مثل ابن حجر العسقلاني وابن فهد المكي وابن تغري بردي والسخاوي والنقي الفاسي وابن العماد وغيرهم مولده في القاهرة سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م، لكن يوم ميلاده بقي مجهولاً، وانحدر من أسرة مصرية عريقة ذات مكانة عالية عمل أفرادها في الوزارة وتولوا وظائف الكتابة وامتازوا بالمروءة والكرم والوفاء، وبيتهم شهير بالعلم والفقه فأبوه أحد فضلاء الحنفية الإمام عز الدين عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات ، وُلد سنة ثلاث وسبعمئة، فتعهد ولده

(١) وردت [الحسين] انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ، تح: محمد سيد، القاهرة ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٢) وردت [شمس الدين] انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٧٢، ووردت ترجمة ابن الفرات عند ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٥، ص ٢٦٧، وذيل الدرر الكامنة، تح: عدنان درويش، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٦٣، وابن فهد المكي: لحظ الألفاظ، بيروت، ص ٢٤٢، وابن تغري بردي: الدليل الشافي، تح: فهد شلتوت، القاهرة، ١٩٨٤م، ج ٢، ص ٦٣٦، والسخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٥١، والسيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٥٦، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٢، وابن الغزي: ديوان الاسلام، ج ٣، ٤٣٥، وخليفة، حاجي: كشف الظنون، ص ٢٧٩، والزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٧٣، والخطيب البغدادي: هدية العارفين، ج ٢، ص ٢٠٧، وكحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ١٥٩، وبروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ج ٢، ص ٦١، وتيمور باشا: مقدمة المجلد الأول من مخطوط ابن الفرات (صورة فوتوستاتية بدار الكتب المصرية)، أحمد الشامي: دراسة في مخطوطة الدول والملوك ، القاهرة، ص ٨، ومصطفى شاكرا: التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت، ج ٣، ص ١٢٨.

محمد بالعلم والفقه، وألزمه عددا من علماء عصره حيث أخذ العلم منهم، فسمع من القاضي بدر الدين بن جماعة^(١) وأبي عبد الله بن القماح^(٢)، وأخذ عن القاضي شمس الدين الحريري^(٣). وعلاء الدين القونوي^(٤).

وكان فقيها محدثا، اشتغل بتدريس الفقه الحنفي بالحسامية^(٥)، ثم عاد إلى المنصورية^(٦)، وخطب بالمدرسة العزمية، وتولى المهمة بالنيابة عن بعض قاضي القضاة في مصر.

قال ابن حجر عنه: "وناب في الحكم فأجاد ومهر في الشروط، ودرّس وأفتى وأعاد^(٧)."

توفي في ليلة الجمعة ثاني وعشرين ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمئة، ودُفن بالقرافة^(٨).^(٩)

(١) بدر الدين بن جماعة: هو بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، انظر: ابن حجر العسقلاني:

حاشية المعجم المؤسس، تح: يوسف المرعشلي، بيروت، ط ١٩٩٢ م، ج ١، ص ٥٥٥.

(٢) وُلد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٩م، وتوفي سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠ م انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٣) وُلد سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٣ م وتوفي سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م انظر: الفاسي: ذيل التقييد، ج ١، ص ٣٧٩.

(٤) وُلد بمدينة قونية (تركيا) سنة ٦٦٨هـ / ١٢٨٧ م وتوفي سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨ م انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٤٧، الشوكاني: البدر الطالع، ج ١، ص ٤٣٩ - ٤٤١.

(٥) نسبة الى الملك المنصور حسام الدين لاجين انظر: المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٣٨٦.

(٦) نسبة الى المنصور قلاوون الألفي الصالحي انظر: المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٧) انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٨) انظر: القرشي (عبد القادر بن محمد بن نصر الله ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٤ م): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ط ٢، ج ٢، ص ٤١٤، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٤٦٨، المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٥٥٣.

ب- أسرته:

جدّه :

هو علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن أبي محمد بن أبي البركات بن الفرات المالكي، العدل، الأصل، نور الدين أبو الحسن المصري، وُلد سنة ثلاث وستين وستمئة وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة للهجرة،^(١) سمع وحدث عن القطب القسطلاني^(٢) بقطعة من جامع الترمذي ، وناب عن القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي إلى يوم وفاته^(٣) ثم تولى مشيخة خانقاه شهاب الدين بن المهندار^(٤) بظاهر باب زويلة إلى أن مات.

أشقاء جدّه:

الشقيق الأول وهو شمس الدين محمد بن الحسن توفي سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٦م، وكان عالما بصناعة التوقيع يكتب ويوقع عن قاضي القضاة في الديار المصرية^(٥).

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ١٠٩.

(٢) هو قطب الدين أبو بكر، محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون المصري (ت ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م).

(٣) هو قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف بن ناهض النويري، وُلّي قضاء الديار المصرية ثلاث وثلاثين سنة من بعد ابن شاس، وسيرته محمودة مات سنة ثلاث عشرة وسبعمئة انظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٤٥٨، وابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٢٧.

(٤) الخانقاه المهندارية: تقع خارج باب زويلة فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع المارديني بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزي المهندار ونقيب الجيوش في سنة خمس وعشرين وسبعمئة انظر: المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤١٨.

(٥) انظر: ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، تح: قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٤٢م، ج ٨، ص ٢١٨.

والشقيق الآخر لجدّه: أحمد بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات الحنفي ، وُلد سنة ثلاث وثمانين وستمئة (٦٨٣هـ / ١٤٣٣ م) ، وتوفي في عاشر ذي القعدة سنة ست وخمسين وسبعمئة (٧٥٦هـ / ١٧٤٨ م) (١).

وكان رأساً في صناعة التوقيع والكتابة والحساب ، سمع من الدميّاطي والصفّي الطبري (٢) والرضي الطبري (٣) ، وسمع منه الحافظ أبو الفضل (٤) وغيره .

(١) انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١ ص ١٣١، عبد القادر الداري: الطبقات السنية ، تح: عبد الفتاح محمد، القاهرة ١٩٧٠م، ج ١ ص ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٢) هو صفّي الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري وُلد سنة ٦٣٣هـ / ١٢١٦م انظر: ابن حجر: كنز الدرر، ج ١ ص، ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٣) هو رضي الدين ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن محمد الطبري، إمام المقام الشافعي وُلد سنة ٦٣٦هـ ومات سنة ٧٢٢هـ انظر: ابن حجر العسقلاني: كنز الدرر، ج ١ ، ص ٥٦.

(٤) هو زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي أبو الفضل الحافظ الكبير ولد سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤ م ومات سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣ م وكان شيخاً لابن حجر العسقلاني انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٩ ، وابن فهد المكي: لحظ الألفاظ ، ص ٢٢٠، السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ، ص ٣٦٠.

أعمامه:

١- صدر الدين عبد الخالق بن علي بن الحسن بن الفرات المالكي برع في الفقه ودرس وأعاد في المنكوتيرية^(١)، سمع من الميذومي^(٢)، كان معيدا في القبة المنصورية^(٣)، وإماما في إيوان المالكية بالمدرسة الصالحية^(٤) وموقعا عن قاضي قضاة الشافعية في الديار المصرية، ألف عصمة الإنسان في النحو كما ورد عند حاجي خليفة، توفي سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٢م^(٥)، وهو والد شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق بن علي بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات المالكي ابن عم محمد بن عبد الرحيم (ابن الفرات) -نشأ بالقاهرة، وعمل بالفنون وأبدع في الشعر والأدب، توفي في شوال سنة أربع وثمانمئة، ولم يتقدم في العمر كثيرا^(٦).

(١) نسبة الى الأمير منكوتر الحسامي (ت ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م) وكانت محلا للتدريس في فقهي المالكية والحنفية انظر: المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٢) هو صدر الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي القاسم بن عنان الميذومي ولد سنة ٦٦٤هـ / ١٢٤٧م ومات سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م انظر: حجر: الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٧٤.

(٣) نسبة الى المنصور قلاوون، انظر: المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

(٤) نسبة الى الصالح نجم الدين أيوب، وكانت محلا لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة شرع في بنائها سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤٠م انظر: المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٥) انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣ ص ١٣٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٣، كحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج ٥، ص ١١٠، خليفة، حاجي: كشف الظنون، ج ٥، ص ٥٠٩، المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ٧٧٧.

(٦) انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٥ ص ٢٨، والسخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ص ٣٢٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٤١.

٢- جمال الدين عبد الله بن علي بن حسن بن عبد العزيز بن الفرات المصري الحنفي سمع " صحيح البخاري " على أحمد بن أبي طالب الحجار (١).

ووزيرة بنت المنجا (٢) .

وحدّث عنهما بقراءة الشيخ الحافظ نور الدين الهيتمي (٣) توفي في العشرين من شهر رمضان سنة ٧٩٩هـ / ١٢٩٩م

٣- الحسن بن علي بن الحسن بن الفرات المصري (٤)، سمع " صحيح البخاري " على أحمد بن بن أبي طالب الحجار، ووزيرة بنت المنجا .

(١) هو أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم نعمة بن حسن بن علي بن بيان الدين الصالحي المعمر شهاب الدين أبو العباس الحجار ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩ م انظر: أبو الطيب المكي (مجد بن أحمد بن علي تقي الدين الفاسي ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م): ذيل التقييد في رواة السند والأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ١، ص ٣١٧، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٩٣، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٤٢.

(٢) هي ست الوزراء وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا التتوخي، أم محمد ماتت سنة ست عشرة وسبعمئة انظر: أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ٢، ص ٣٧٦-٣٧٧، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٠، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٥، ص ١١٧، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٢٩.

(٣) هو علي بن أبي بكر بن سليمان، الشيخ الإمام المحدث الحافظ نور الدين أبو الحسن القاهري الشافعي من مؤلفاته مجمع الزوائد ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٠، السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٠٥، الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٢٦٦، كحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج ٧، ص ٤٥.

(٤) انظر: أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١، ص ٥٠٦.

٤- الحسين بن علي بن الحسن بن الفرات الحنفي لم يُذكر عنه شيء غير أنه أخو الحسن الذي سبق ذكره^(١).

أخته :

لم تذكر المصادر لابن الفرات أشقاء غير أنه أثناء رصده إحدى وفيات سنة تسعين وسبعمئة (٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) تبين له أن له أختا بالرضاعة يقول عنها: (أم الخير بنت سيدنا قاضي القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلي كانت أختي من الرضاع، وكانت زوجة القاضي علم الدين سليمان الحنبلي خليفة الحكم بالديار المصرية، وهي آخر من توفي من أولاد سيدنا قاضي القضاة موفق الدين رحمهما الله)^(٢).

أولاده:

حسب ما ورد بالمصادر التاريخية أن له ثلاثة أولاد: (ولدين وبنت)

١- القاضي عز الدين ، عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن الفرات، محدث وُلد بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن وأخذ من أئمة المذهب الحنفي، أمثال: السراج الهندي^(٣)، وأكمل الدين^(٤).

(١) انظر: أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١ ، ص ٥١٥.

(٢) انظر: ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، ج ٩ ، ص ٤٨.

(٣) هو سراج الدين أبو حفص عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوي الهندي الحنفي المتوفي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١ ، ص ٦٦ ، وابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣ ، ٦ ، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦ ، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمود بن أحمد الفقيه الحنفي المصري البابري أكمل الدين وُلد سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤ م وتوفي سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤ م انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٧ ، ص ٤٢ ، وكحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج ١١ ، ص ١٩٨ ، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦ ، ص ٢٩٣ ، ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج ١ ص ٥٤.

والبلقيني^(١)، وابن الملقن^(٢)، وعبد العزيز السيوطي^(٣)، ومحمد بن أبي البقاء السبكي^(٤)،
والبرهان الاخنائي^(٥)، والعلاء علي بن محمد الكناني^(٦) وغيرهم.

نقل الحديث عن الزين العراقي^(٧)، وأجيز بالتدريس من نحو ثلاثين ومائتي شيخ منهم البدر بن
بن الجوخى.

(١) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني وُلد سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣ م وتوفي سنة ٨٠٥هـ /
١٤٠٢م انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢٤٥-٢٤٧، السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١،
ص ٣٢٩.

(٢) هو عمر بن علي بن أحمد بن الملقن، وُلد سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٢ م وتوفي سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠١ م انظر:
ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢١٨، السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٣٨.

(٣) هو عز الدين، عبد العزيز بن عبد المحيي بن عبد الخالق الأسيوطي المصري الشافعي انظر: ابن العماد:
شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٨٤.

(٤) هو محمد بن عبد البر بن يحيى السبكي بهاء الدين، أبو البقاء انظر: السبكي: طبقات الشافعية، تح: محمود
الطناحي، دار هجر، الكويت، ج ٨، ص ١٧٩.

(٥) هو برهان الدين ابراهيم بن علم الدين محمد بن أبي بكر الاخنائي، توفي سنة سبع وسبعين وسبعمئة انظر:
ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٥٠.

(٦) هو علاء الدين علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن أبي الفتح بن هشام الكناني العسقلاني الحنبلي انظر:
ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٤٢.

(٧) هو زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وُلد سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤ م وتوفي سنة
٨٠٦هـ / ١٤٠٣ م

وست العرب^(١)، والصفدي^(٢) والكرماني^(٣) وغيرهم.

وقد أورد السخاوي في كتابه الضوء اللامع أنَّ ابن فهد المكي جمع مشيخة عز الدين بن الفرات^(٤)، وقد ناب في الحكم عن بعض قاضي القضاة كأبيه، وحدث بالكثير، فيقول السخاوي في كتابه الضوء اللامع نقلاً عن البقاعي أنَّ عز الدين هو إنسان جيد فاضل متثبت محمود السيرة في قضائه من بيت علم، وُلد عز الدين المذكور سنة تسع وخمسين وسبعمئة (١٣٥٩هـ / ١٣٥٨م).

ومن مصنفاته: - تذكرة الأنام في النهي عن القيام.

-نخبة الفوائد في الفقه الحنفي لخصه من كتاب " عقد القلائد في حل قيد الشرائد" لابن وهبان.

-منظومة الفرائد، وهي تلخيص شرح بن وهبان على منظومته في الفقه.

وقد توفي عز الدين بن الفرات يوم السبت سادس عشرين ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وثمانئة (٨٥١هـ / ١٤٤٨م)، وصُلِّي عليه بمصلى باب النصر، ودُفن بحوش صوفية سعيد السعداء رحمه الله^(٥).

(١) هي ست العرب بنت محمد بن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد بن البخاري ت ٧٦٧هـ / ١٣٦٥ م انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٠٨.

(٢) هو صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، وُلد بصفد سنة ست وتسعين وستمئة وتوفي سنة أربع وستين وسبعمئة انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٠٠.

(٣) هو شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن عبد الكريم الكرماني الشافعي، وُلد سنة سبع عشرة وسبعمئة وتوفي سنة ست وثمانين وسبعمئة انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٩٤.

(٤) انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٨٦.

(٥) انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٨٦-١٨٨، السيوطي: نظم العقيان، تح: فيليب حتي، ص ١٢٧-١٢٨، خليفة، حاجي: كشف الظنون، ج ٥، ص ٥٦٢، البغدادي: هدية العارفين، ج ١، ص =

٢- محمد بن محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن الفرات ، كان ذكيا مات صغيرا حوالي الثمانية سنوات بالطاعون يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الأولى سنة تسعين وسبعمئة ودُفن بالقرافة الصغرى بالقرب من الجبل، وهذا ما أورده ابن الفرات في وفيات سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨ م (١).

٣- أما البنت فهي فاطمة بنت محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن الفرات وماتت صغيرة بعد أخيها محمد باثني عشر يوما؛ أي يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة تسعين وسبعمئة ويُلاحظ أنّ سبب الوفاة هو مرض الطاعون الذي تقشّى سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨ م (٢).

ج- شيوخه:

انتهج ابن الفرات سيرة آبائه ، فاشتغل بالعلم والأدب، وبدأ حياته العلمية بدراسة علوم الحديث والفقه على يد مجموعة من علماء عصره منهم:

١- الشيخ أبو الفرج بن عبد الهادي (٣).

=٥٦٢، كحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج٥، ص ٢١٢، الزركلي: الأعلام، ج٣، ص ٣٤٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ج ١٥، ص ٥٢٤.

(١) انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات"، تح: قسطنطين زريق، مج ٩، بيروت ١٩٣٦م، ج١، ص ٢٩.

(٢) انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ج ١، ص ٢٩.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي الصالحي، المحدث بمصر والشام، وُلد

سنة ٦٥٦هـ وتوفي بدمشق في ذي القعدة سنة ٧٤٩هـ انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص

٣٤٢، أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج٢، ص ٩٧.

ذكر ابن حجر أنه قرأ على ابن الفرات كتاب الثواب لآدم بن إياس بسماعه له على أبي الفرج بن عبد الهادي (١)، وأسمع ابن الفرات وهو صغير على ابن عبد الهادي بالقاهرة (٢).

٢- الشيخ أبو بكر بن الصناج (٣): قال السخاوي: سمع ابن الفرات وهو صغير على أبي بكر بن الصناج (٤)، ويوضح أبو الطيب المكي (التي الفاسي) فيقول: حضر وكان عمره ثلاثة سنوات على أبي بكر بن يوسف بن عبد العظيم بن الصناج المنذري المصري المجلد العاشر من كتاب "دلائل النبوة للبيهقي"، وكان سماعه عليه في مجلسين آخرهما يوم الثلاثاء خامس جمادى الأولى سنة ٧٣٧هـ بجامع الأقمر (٥) بالقاهرة، قرأت عليه المجلدة العاشرة وغيرها من مروياته (٦).

(١) انظر: ابن حجر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تح: يوسف المرعشلي، دار المعرفة - بيروت، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٥١٦.

(٢) انظر: أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١، ص ١٥٧.

(٣) هو أبو بكر بن يوسف بن عبد العظيم بن يوسف كمال الدين، المنذري المصري المعروف بابن الصناج المحدث وُلد سنة ٦٤٧هـ وتوفي في صفر سنة ٧٤١هـ انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٦٩.

(٤) انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٥١.

(٥) جامع الأقمر: موضعه قديماً سوق القماحين، وقبائلته درب الخضيرى وهو الآن بجوار شارع السنانيين وموجود الآن بنفس الاسم انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٤٦٢.

(٦) انظر: أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١، ص ١٥٧.

- ٣- الشيخ أبو الفتوح الدلاصي^(١) قال ابن حجر في معجمه المفهرس : سمعت في شوال سنة ٧٤١هـ على ابن الفرات " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " للقاضي عياض ^(٢) بسماعه على أبي الفتوح يوسف بن محمد بن محمد الدلاصي.. وذكره ابن الفرات في تاريخه ^(٣).
- ٤- الشيخ أبو بكر بن الرضى^(٤) ذكر ابن الفرات أنه سمع صغيرا على الشيخ أبو بكر محمد بن الرضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي الصالحي القطان.

(١) ذكر أبو الطيب المكي وفاة الدلاصي سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م وهو احتمال بعيد عن الصحة ربما سقط سهوا والصحيح هو ٧٤٩هـ لأن ابن الفرات ذكر في تاريخه أنه سمع من أبو الفتوح الدلاصي [الشفا] سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م فكيف يسمع ابن الفرات المولود سنة ٧٣٥هـ من رجل مات سنة ٦٤٩هـ فهذا ما يرجح أنه توفي سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م انظر: المقرئ: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، الترجمة، ص ٣١ أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ٢، ص ٣٢٩.

(٢) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض أبو الفضل الحافظ المحدث السبتي المالكي الأندلسي وُلد سنة ٤٧٦هـ وتوفي سنة ٥٤٤هـ ومن كتبه الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو كتاب قدير في سيرة الرسول ﷺ والتتويه بشخصه وسيرته المثلى انظر: البغدادي: هدية العارفين، ج ١ ص ٨٠٥، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤ ص ١٣٨، الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ٩٩، كحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج ٨ ص ١٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ٢١٢.

(٣) انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٣٩، ٣٦٣.

(٤) ذكر ابن حجر أنه كان شيخا مباركا خيرا كثير التلاوة حسن الصحبة وفيه مروءة وُلد سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٤م وتوفي سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١ ص ٤٥٩، الذهبي: العبر، ج ٤ ص ١٠٩-١١٠، اليافعي: مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٩٦-٢٩٧.

٥- الشيخ ابن تامتيت^(١) ذكر ابن الفرات أنه سمع وهو صغير على الشيخ يحيى بن أحمد بن محمد بن تامتيت اللواتي الفاسي^(٢).

٦- البرهان الأميوطي^(٣): ذكر ابن الفرات أنه سمع " صحيح البخاري " على الشيخ ابراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن ابراهيم بن يحيى بن أبي المجد اللخمي الأميوطي^(٤) بقراءة البرهان الحلوي في الحرم المكي سنة ٧٨٣هـ^(٥).

٧- الزين بن البسطامي^(٦).

(١) هو أبو الخير يحيى بن أحمد بن محمد بن تامتيت بفتح الميم وتشديد التاء المكسورة وسكون الياء حدّث بكتاب " الشفا " عن يحيى الصائغ عن مؤلفه انظر: أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ٢ ص ٣٠١، ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه تح: علي البجاوي، بيروت، ج ٤، ص ١٣٢٥.

(٢) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٣٦٣.

(٣) هو ابراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن يحيى بن أحمد اللخمي الأميوطي الشافعي (جمال الدين أبو اسحاق) عالم بالعربية والفقه درس وأفتى وناب في الحكم بالقاهرة، واستوطن في مكة وتوفي بها سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨ م من مؤلفاته: مختصر شرح بانث سعاد انظر: السيوطي: بغية الوعاة، القاهرة، ١٩٦٤م ص ١٨٧، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، تح: محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٤م ص ١٤٤-١٤٩، خليفة، حاجي: كشف الظنون، ص ١٣٣٠، ابن حجر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج ١، ص ٢٣٧-٢٤١، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٦٠، ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٤) الأميوطي: بالميم نسبة الى بلدة من قرى القاهرة تسمى أميوط انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج ١، ص ١٦٢.

(٥) انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٤٠، ٤٧٦.

(٦) هو عمر بن عبد الرحمن بن أبي بكر قاضي القضاة زين الدين البسطامي الحنفي ولي قضاء مصر بعد حسام الدين الغوري مولده سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨ م ووفاته يوم الخميس رابع عشرين جمادى الآخرة سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩ م انظر: ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١، ص ٤٩٩، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٤٥، والقرشي: الجواهر المضية، ج ٢، ص ٦٤٨.

تعلم ابن الفرات من الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن البسطامي الحنفي، زين الدين^(١)، حيث استقر في تدريس الأشرفية^(٢) والأقبغوية^(٣).

والفاركانية^(٤)، ثم تولى تدريس الجامع الطولوني، وخطابة جامع منجك، وتدريس الحنفية بالجامع الأزهر، ثم ولى في أواخر عمره خطابة جامع طولون، وكان ابن الفرات ينقل عنه الكثير في تاريخه.

٨- العز بن جماعة^(٥). ذكر ابن الفرات أنه تتلمذ على يد الشيخ القاضي عز الدين أبي عمر عمر عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة^(٦).

(١) انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج٧، ٨، ص ٢٥٧، ٧٠.

(٢) المدرسة الأشرفية: تجاه القلعة أنشأها الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر بن قلاوون سنة سبعين وسبعمئة تقريبا انظر: مبارك، علي: الخطط التوفيقية الجديدة، المطبعة الكبرى الأميرية ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨ م، ط١، ج٢، ص ٢٨٥.

(٣) المدرسة الأقبغوية: أنشأها الأمير آقبا عبد الواحد المالكي الناصري وقد كانت عامرة الى أن هدمها ديوان الأوقاف، انظر: مبارك، علي: الخطط التوفيقية الجديدة، ج٢، ص ٢٥٧.

(٤) المدرسة الفاركانية: أنشأها الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني سنة ٦٧٦هـ في حارة الوزيرية على مذهب الحنفية انظر: العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ١٩٠.

(٥) انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص ٣٧٨-٣٨٢، ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص ٣١٣، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج٩ ص ٣٩، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦ ص ٢٠٨-٢٠٩، الشوكاني: البدر الطالع، القاهرة، ١٩٧٠م، ج١، ص ٣٥٩-٣٦٠، ابن فهد المكي: لحظ الألاحظ بذييل طبقات الحفاظ، ص ٣٦٣-٣٦٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص ٣٦٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١١، ص ٨٩-٩٠.

(٦) انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج٩ ص ٣٩، ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص ٣١٣.

وقال ابن حبيب (صاحب تذكرة النبيه) عن الشيخ العز بن جماعة : " كان إماماً عالماً محدثاً حافظاً ورعاً حسن السيرة والأخلاق كثير التواضع مجتهداً في إقامة الحق ونصرة الشرع الشريف كتب وقرأ وحَدَّث وأفتى وجمع وصنف ووُلِّي الحكم بالديار المصرية سبعا وعشرين سنة، وكانت وفاته سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥ م (١) .

وُدُن إلى جانب قبر الفضيل بن عياض رحمه الله(٢).

ومن شيوخ ابن الفرات بالإجازة (٣):

-الإمام المزي: جمال الدين أبو الحاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي المزي الدمشقي، وُلد سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٧ م، وتوفي سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١ م وقد ورد قول ابن حجر من معجمه والسخاوي في الضوء اللامع وأبي الطيب المكي(التقي الفاسي) في ذيل التقييد وغيرهم وأجيز لابن الفرات من المزي(٤)

(١) انظر: ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تح: أمين، محمد محمد ، القاهرة، ١٩٨٦م، ج ٣ ، ص ٢٩٧.

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي أبو علي شيخ الحرم المكي من أكابر العباد الصالحاء وكان ثقة في الحديث ، أخذ عنه خلق كثير منهم الإمام الشافعي وُلد في سمرقند سنة ١٠٥هـ / ٧٢٣م وتوفي في مكة انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ١ ص ٢٢٥ ، القرشي: الجواهر المضية، ج ١ ص ٤٠٩.

(٣) الإجازة: المصدر من أجاز، وهي لغة بمعنى أعطاه إجازة وعند المحدثين الإذن في الرواية لفظاً أو كتابة انظر: الفاروقي، محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون ، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣م ، ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٤) انظر: ابن حجر : المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج ٢، ص ٥١٦ ، والسخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٥١.

وقال ابن حجر في معجمه أيضاً : وقرأت عليه-أي ابن الفرات-(المنتقى من مسند أبي عباس السراج)(^١)، وهو ما فيه موافقات الستة، وتعاليق البخاري، والزوائد على الستة، وعوالي بن عيينة بإجازته له من المزي(^٢) .

-الإمام الذهبي(^٣): محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله أبو عبد الله التركماني الفارقي المقرئ الدمشقي الحافظ الشافعي المؤرخ، وُلد سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤ م، وتوفي سنة ٧٤٨هـ / ١٣٨٢ م.

-الشيخ البندنجي(^٤): علي بن محمد بن ممدود بن جامع شمس الدين أبو الحسن البغدادي الصوفي، وُلد سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٧ م(^٥) .

(١) وُلد سنة ٢١٦هـ / ٨٣١ م وتوفي سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥ م انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٦ ص ٢٩، كحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج ٩ ص ٣٨.

(٢) انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٤ ص ١٤٩٨، الكتبي: فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣م، ج ٤ ص ٣٥٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ١٩١، المقرئ: السلوك، ج ٢ ص ٦١٦، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥ ص ٢٣٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٧٦، النعمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ٣٥، الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢ ص ٣٥٣.

(٣) انظر: البغدادي: هدية العارفين، ج ٢ ص ١٠٤، الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ٣٢٦، كحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج ٨ ص ٢٨٩، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٢٦.

(٤) البندنجي: نسبة الى بلدة البندنجي من أعمال بغداد انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٤٥.

(٥) انظر: الذهبي: دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٤٣، اليافعي: مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٩٢، السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٥١.

وقال ابن حجر في معجمه: "وقرأت عليه-أي ابن الفرات- (المنتقى من مسند أبي عباس السراج) بإجازته له من البندنجي^(١).

وأكد أبو الطيب المكي هذه الإجازة فقال في ذيل التقييد: "وأجاز له من دمشق- فيما أخبرنا به المحدث خليل بن محمد الأقفهسي - علي بن محمد البندنجي^(٢).

وإضافة لما سبق ذكره يمكن أن نضيف ما أورده أبو الطيب المكي (التقي الفاسي) أن ابن الفرات أجاز له باستدعاء مؤرخ من دمشق سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م من جماعة كثيرين منهم: أحمد بن علي الجزري^(٣)، وأحمد بن رضوان بن الزنهار^(٤)، وأحمد بن السيف محمد المقدسي^(٥) ومحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدايم^(٦).

(١) انظر: ابن حجر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج ٢، ص ٥١٧.

(٢) انظر: أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١ ص ١٥٧.

(٣) هو أحمد بن علي بن حسن بن داود الجزري الحموي شهاب الدين الكردي أبو العباس الهكاري، وُلد سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥٢م وتوفي سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢٠٧، أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٤) هو أحمد بن رضوان بن إبراهيم بن أبي الزهر الدمشقي شهاب الدين أبو العباس المعروف بابن الزنهار ، وُلد سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦١م وتوفي سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م. انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٣١، أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١، ص ٣١٣.

(٥) هو أحمد بن السيف محمد بن أحمد بن عمر بن الشيخ بن أبي عمر المقدسي الصالحي شهاب الدين أبو العباس، وُلد سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٥م وتوفي سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١ ص ٢٤٥، أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١، ص ٣٧٠.

(٦) هو محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي شمس الدين أبو عبد الله الصالحي، وُلد سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦١م وتوفي سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٠٠، أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١، ص ١٠٤.

وعبد الرحمن بن تيمية^(١) ، وعبد الرحمن بن مناع التكريتي^(٢) وغيرهم.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ ابن الفرات مارس التصنيف والعمل بالتاريخ واعتمدها كهواية؛ وهذا ما يفسر عدم وجود تلاميذ له .

٢- حياته العلمية:

١- ثقافته وميوله:

ذكر خلال دراسة شيوخ ابن الفرات أنه نهج سيرة آبائه في اغتنام العلوم والآداب، فدرس علوم الحديث والفقه حيث حدّث بصحيح مسلم، والمنتهى من مسند أبي عباس السراج، والشفاء للقاضي عياض، ودلائل النبوة للبيهقي، والثواب لآدم بن أبي إياس، فابن الفرات من الشيوخ المحدثين وأكثرهم تشديداً على طريقة التعليم في عصره^(٣).

وأهله ثقافته وخبرته لتولي الخطابة في المدرسة المعزية^(٤) وعقود الأنكحة في مصر.

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني زين الدين بن شهاب الدين بن مجد الدين المعروف بابن تيمية الدمشقي الحنبلي، وأخو تقي الدين بن تيمية، وُلد سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٦ م وتوفي سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦ م انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٣٢٩، أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ٢ ص ٨٣-٨٤، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦ ص ١٥٢.

(٢) هو عبد الرحمن بن علي بن حسين بن مناع التكريتي أبو محمد الصالحي، وُلد سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٥ م وتوفي سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤ م انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٣٣٥، أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١ ص ٨٧-٨٨.

(٣) مصطفى، شاطر: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م، ج ٣ ص ١٢٨.

(٤) نسبة إلى المعز أيك التركماني [أول ملوك الترك بمصر] حيث بناها في رحبة الحناء بمصر مكان قلعة الروضة حيث أمر بهدمها انظر: المقريزي: الخطط المقريزية، ج ٢ ص ١٨٤.

ولازم مركز الشهود بقنطرة قديدار^(١) ، وناب في الحكم عن بعض قاضي القضاة الحنفية في حانوتى الملك وحدره البقرة ظاهر القاهرة^(٢) .

قال السخاوي كان لهجا بالتاريخ وكتابه فكتب فيه كتابا كبيرا جدا بيّض منه المئين^(٣) الثلاثة الأخيرة في نحو عشرين مجلداً ولو أكمله لكان ستين^(٤) .

فاطلع ابن الفرات بهذا المشروع التاريخي الرائع على تراث عظيم نقله في تاريخه حيث اعتمد في تسجيله للأحداث غير المعاصرة له على المصادر والنصوص الأقدم والمعاصرة للأحداث، وهكذا حفظ تراثاً رائعاً.

أمّا تسجيله للأحداث المعاصرة له فاعتمد على ما قرأ وسمع وشاهد ، لذا أخذ طابع الأصالة مما جعله موردا رئيسيا لكبار المؤرخين أمثال المقرئى وابن قاضي شهبه والبدر العيني والسخاوي وابن تغري بردي وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

وعليه يتبين أنه تمتع بثقافة عالية عامة وتاريخية، فقال ابن حجر في معجمه عن تاريخ ابن الفرات: " وكتابه كثير الفائدة فنياً الذي هو بصدد دراسته^(٥) .

(١) قنطرة قديدار: هي قنطرة قدادار التي ذكرها المقرئى في خطه فقال أنها قنطرة على الخليج الناصري يتوصل إليها من باب اللوق ويمشي فوقها الى بر الخليج الناصري وعُرفت هذه القنطرة بالأمير سيف الدين قدادار مملوك الأمير بزلغى انظر: المقرئى: الخطط المقرئية ، ج ٢ ص ١٤٨ .

(٢) انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨ ص ٥١ ، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤ ص ٧٢، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٤٧ ، ٢٩١ ، ٤٢١ ، ٤٧٦ .

(٣) المئين: جمع مئة، انظر : المعجم الوجيز، ص ٥٧١ .

(٤) انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨ ص ٥١ ، ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٥ ص ٢٦٨ .

(٥) انظر: ابن حجر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج ٢ ص ٥١٦ .

وقال ابن حجر في الدرر الكامنة : " وقد انتفعت بما تضمنته هذه المجلدات المبيضة في الاطلاع على كثير من الوقائع والتراجم، وقد سمعت عليه وقرأت^(١) .

وقال أيضا ابن حجر في مقدمة إنباء الغمر إنه انتفع بما شاهده أو ما وجده بخط من يثق به من مشايخه كالتاريخ الكبير للشيخ ناصر الدين بن الفرات فسمع عليه جملة من الحديث^(٢) .

والذي يثير الاستغراب اعتماد عالم كبير كابن حجر وهو من هو اسماً ومكانةً على ابن الفرات دلالة على ثقافة، ومكانة ابن الفرات في عصره ، ومن الدلائل على ثقافته أنه أرخ في تاريخه للنواحي السياسية والحربية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والكونية .

ومع أن تاريخ ابن الفرات تضمن كثيراً من النماذج الأدبية الشعرية والنثرية سواء في تأريخه للأحداث أم ترجماته للأعيان لكنه لم يستفد منه^(٣) ، ومع أن ابن الفرات درس وتفقّه المذهب الحنفي^(٤) وناب في الحكم عن بعض قاضي قضاة الحنفية مثل أبيه -درس في الحسامية الفقه الحنفي- إلا أنه كان متسامحاً لم يعرف عنه التعصب المذهبي ، والأدلة على ذلك:

(١) انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ص ١٦٤ .

(٢) ابن حجر: مقدمة إنباء الغمر، بيروت، ١٩٨٦ م ، مج ١، ص ٢-٣ .

(٣) انظر: الشماع، حسن: مقدمة تحقيق مخطوط تاريخ ابن الفرات، جامعة البصرة، ١٩٦٧ م، ج ٤ ص ٤ .

(٤) كان المذهب الحنفي هو المذهب السائد بين طبقة المماليك، انظر: عاشور، سعيد: مقدمة الجواهر الثمين، ص ٥ .

١- لم تورد المصادر شيئاً عن ذلك فإنه مع صداقته الحميمة لابن دقماق^(١) الذي كان حنفي المذهب أيضاً إلا أنه لم يتعرض لما تعرض له من المحن^(٢).

٢- جمع في كتابه ترجمات للأعيان من كل المذاهب دون تعصب أو إساءة إليهم ، بل ذكر تفاصيل أخبار بعض مشايخ المذاهب الأخرى وما تعرضوا له من محن وأنصفهم.

وقال ابن حجر العسقلاني في ذيل الدرر الكامنة عن ابن الفرات: "وكان ديناً خيراً سليم الباطن"^(٣).

هذا القول واضح في [تاريخ الدول والملوك] فهو مسلم ، مؤمن ، متحمس للإسلام غيور عليه ، والمثال واضح عند ذكره للفرنج والتتار فينعتهم بعبارته [لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم] ، وسبق أسماء قوادهم باللقب المعتاد [الملعون] وأما ملوك المسلمين وسلطينهم فدعا لهم بالرحمة.

(١) هو صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدير بن دقماق وُلد سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩ م وتوفي سنة ٨٠٩هـ /

١٤٠٦ م انظر: ابن حجر: مقدمة إنباء الغمر ، ج ١ ص ٢٣٤ ، ٣٦٠ ، ابن تغري بردي: الدليل

الشافعي ج ١ ص ٢٥ ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي، ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٠ ، السخاوي: الضوء

اللامع، ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ ، السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٢١ ، ابن العماد: شذرات الذهب

ج ٧ ص ٨٠ ، المقرئ: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج ١ ص ١٦٢ .

(٢) أورد المقرئ ترجمة لابن دقماق وكتب طبقات الحنفية في أربع مجلدات وامتنح بسببه فتعرض في أوله

الى ذكر مناقب أبي حنيفة فذكر ما لا يحمد من الطعن في حق غيره وأدعي عليه بما كتبه من طعن

بعض الأئمة وقيد الى السجن وكان القصد قتله لكن أطلقوه بفضل عناية الله انظر: المقرئ: درر العقود

الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) انظر: ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص ١٦٤ .

خلاصة القول إنّ ابن الفرات صادق وصريح في ذكر الحوادث وجمع الآراء وتوضيح الأمور الغامضة فهو مؤرخ بمعنى الكلمة (١).

مكانته ومؤلفه التاريخي:

تبوأ ابن الفرات مكانة عظيمة ، وخلّد اسمه في حقل صنع المصنفات التاريخية ، وحصل على الثناء والإعجاب من علماء عصره حتى بعد مماته.

فقال ابن حجر العسقلاني (٢) شيخ عصره الحافظ المسند الشامخ في مختلف المعارف وصاحب المصنفات الرائعة عن ابن الفرات في مقدمة "إنباء الغمر بأبناء العمر" حيث ورد فيه ما وجدته بخط من يثق فيه من مشايخه كالتاريخ الكبير للشيخ ناصر الدين ابن الفرات (٣) وكان ابن الفرات لهجا بالتاريخ وكتابه كثير الفائدة فنيا (٤).

وقال ابن حجر في ذيل الدرر الكامنة : وقد سمعت عليه وقرأت وكان ديناً خيراً سليم الباطن (٥)، وحسب ما أورده ابن حجر العسقلاني الذي اعتمد على ابن الفرات في كتاب [إنباء الغمر بأبناء العمر] أنّ ابن حجر أورد في ترجمة منهاج الدين الرومي وفيات سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨ م أنّه كان قليل العلم ، قدم القاهرة وتولى تدريس الحنفية بمدرسة أم الأشراف، فقال

(١) الشماع، حسن: مقدمة مخطوط تاريخ ابن الفرات، مج ٥، ج ١ ص (ج، د، هـ، و).

(٢) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني ابن حجر، وُلد سنة ٧٧٣هـ/ م وتوفي سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨ م انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٣٦ - ٤٠، السيوطي: حسن المحاضرة، ص ٥٥٧، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ص ٧٢، الشوكاني: البدر الطالع، ج ١ ص ٨٧، وغيرهم هناك مصادر كثيرة تحدثت عن القرن التاسع ترجمت لابن حجر .

(٣) انظر: ابن حجر: مقدمة إنباء الغمر، ج ١ ص ٢.

(٤) انظر: ابن حجر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج ٢ ص ٥١٦.

(٥) انظر: ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص ١٦٢.

ابن الفرات: حضرت درسه مرارا فلم ينطق بكلمة، بل إذا قرأ القارئ شيئاً استحسنه أو تكلم بكلام لا يفهم منه شيئاً^(١)، فاعتمد ابن حجر على ابن الفرات وعدّه من شيوخه.

أمّا المقرئزي^(٢) شيخ المؤرخين في القرن التاسع الهجري فذكره في [درر العقود الفريدة في ترجمة الأعيان المفيدة] كما نقل عنه السخاوي: "أنّه تفقه وكتب في التاريخ مسودة تبلغ مئة مجلد قام بتبويض نحو عشرين منها تم الاستفادة منها^(٣)، وأورد المقرئزي في درر العقود الفريدة ما يدل على اعتماده على ابن الفرات بقوله: حدثنا المقرئ شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان الأوحدي قال: حدثنا العدل المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات، قال حدثنا العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص خمسين حلقة للاشتغال بالعلم ولا تزال موجودة فيه دائماً^(٤)."

وما تقدم دليل كافٍ على اعتماد شيخ المؤرخين المقرئزي على ابن الفرات، وأطلق عليه "المؤرخ العدل"

وذكر ابن فهد المكي عن ابن الفرات أنه العدل المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن توفي بالقاهرة سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م^(٥).

(١) انظر: ابن حجر: مقدمة إنباء الغمر، ج ٢ ص ٣٧٩.

(٢) المقرئزي: (هو تقي الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) انظر: ابن حجر: مقدمة إنباء

الغمر، ج ٩ ص ١٧٠، ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١ ص ٦٣، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ١ ص ٣٩٤ - ٣٩٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥ ص ٤٩٠، السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٢١-٥٢، ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣٢١.

(٣) انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٥١.

(٤) انظر: المقرئزي: درر العقود الفريدة، ج ١، ص ٢٣٥.

(٥) انظر: ابن فهد المكي: لحظ الألفاظ، ص ٢٤٢.

وذكر أبو الطيب المكي (التيقي الفاسي)^(١) عن ابن الفرات في كتابه ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد أنه اشتغل بالعلم واعتنى عناية كثيرة بالتاريخ^(٢).

وذكر أيضاً أن ابن الفرات كان يُعطي الإجازة العلمية فأعطاه الإجازة هو وأبي الفتح بن بكر بن الحسين المراغي^(٣).

وأورد السخاوي^(٤) في كتابه الضوء اللامع ما ذكره شيخه ابن حجر العسقلاني عن ابن الفرات^(٥)، وقد ذكره أيضاً في كتابه "الإعلان بالتوبيخ" أن كتابته كانت كثيرة الفائدة فنيا^(٦).

(١) هو محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ٢٨، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ص ١٩٩، الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢ ص ١١٤، ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ٢ ص ٥٨٥، وأورد ترجمة لنفسه في كتابه ذيل التقييد، ج ١ ص ٦٠-٦٩.

(٢) انظر: أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ج ١ ص ١٥٧.

(٣) هو أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر بن محمد بن يونس القرشي العثماني المراغي القاهري الأصل المدني الشافعي المعروف بالمراغي ت ٨٥٩هـ وله من التصانيف "تلخيص أبي الفتح لمقاصد الفتح" انظر: خليفة، حاجي: كشف الظنون، ج ٦ ص ٢٠٠.

(٤) هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، وُلد سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧ م ، وتوفي سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦ م ، انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨ ص ١٩٤، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨ ص ١٥-١٧، مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون ج ٣، ص ١٧٧-١٨٢.

(٥) انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨ ص ٥١.

(٦) انظر: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ص ٣١٢.

وها هو ابن تغري بردي^(١) باسمه ومكانته ومصنفاته الرائعة يصف ابن الفرات في كتابه "الدليل الشافي" بالمؤرخ القاضي الفقيه الحنفي ناصر الدين بن الفرات^(٢) ، وذكر السيوطي في كتابه "حسن المحاضرة" أنه كان لهجا بالتاريخ فكتب تاريخا كبيرا جدا^(٣).

وقال ابن العماد الحنبلي^(٤) : إن ابن الفرات كان يتولى عقود الأنكحة، ويشهد في الحوانيت ظاهر القاهرة مع الخير والدين والسلامة^(٥).

وذكر ابن الغزي^(٦) في كتابه ديوان الإسلام أن ابن الفرات صنف تاريخا كبيرا.

فهذه الآراء للعلماء ومكانة ابن الفرات العظيمة جعلت مؤلفه [تاريخ الدول والملوك] يمثل دليلاً فعلياً لمكانته، ويُعدّ مصدراً أصيلاً من مصادر تاريخ الدولة الإسلامية في العصور الوسطى على مدى ثلاثة قرون (٥٠١-٧٩٩ هـ / ١١٠٧-١٣٩٧ م) ، فقام بتسجيل أحداث الحروب الصليبية في المشرق العربي، واهتم بتاريخ دولة المماليك بما أنه أحد أفرادها ، وذكر أحداث عصره بدقة معتمداً على ما سمع وقرأ وشاهد^(٧) ، فأصبح مصدراً أصيلاً ومورداً

(١) هو أبو المحاسن جمال الدين بن تغري بردي الظاهري الأتابكي ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م انظر: السخاوي: الضوء اللامع ج ١٠، ص ٣٠٥-٣٠٨ ، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ص ٣٦٧ ، ابن اياس: بدائع الزهور، ج ٣ ، ص ٤٥ ، مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣ ، ص ١٦٩-١٧٢.

(٢) انظر: ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج ٢ ص ٦٣٦.

(٣) انظر: السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١ ص ٥٥٦.

(٤) هو عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م

(٥) انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ص ٧٢ ، السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤ ، ص ٩٣.

(٦) هو الشيخ الإمام الرحالة المحدث المسند شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي ت ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م انظر: ابن الغزي: ديوان الإسلام، تح: سيد كسروی حسن، بيروت ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٤٣٥.

(٧) انظر: مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣ ، ص ١٢٨.

اعتمد عليه المؤرخون المعاصرون له كالمقريزي وابن حجر العسقلاني والبدر العيني والسخاوي وابن تغري بردي حيث نقلوا عنه مباشرة أحداث تلك المرحلة في بعض مؤلفاتهم التاريخية^(١).

وأثناء تسجيله للأحداث التي لم يعاصرها كانت يعتمد على المصادر والنصوص الأقدم والتي عاصرت الحدث، وجمع في الحادثة الواحدة مصادر كثيرة وهذه سمة إيجابية وسلبية لأنها تؤدي إلى الإطالة والتكرار. وإيجابية لأنها تؤدي إلى الإلمام بجميع الآراء ووجهات نظر المؤرخين من أجل الوصول إلى الحقيقة.

وقام ابن الفرات بتأريخ جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والحضارية، وجمع تراجم كثيرة لمشاهير الأعلام في كل سنة تحدث عنها، وذكر نماذج كثيرة لنماذج أدبية شعرية ونثرية.

وأورد بروكلمان أن ابن قاضي شهبة لخص تاريخ ابن الفرات في كتاب أسماه [المنتقى من تاريخ ابن الفرات]^(٢) حيث ذكر في أوله بخطه "المؤلف ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات الحنفي ولد سنة ٧٣٥هـ وكان مولعاً بكتابة التاريخ فقام بعمل مسودة ضخمة لو قام بتبويبها لبلغت مئة مجلد.

بالمجمل تبوأ ابن الفرات مكانة راقية وعالية فدرس وتفقّه وحَدَّث وناب في الحكم عن قضاة الحنفية وقام بتأليف هذا المؤلف الضخم [تاريخ الدول والملوك] الذي جمع فيه كل شيء من باب الهواية^(٣)

(١) عز الدين ، محمد كمال الدين : التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر ، دار إقرا ، بيروت ١٤٠٤هـ/

١٩٨٤م ، ط١ ، ص ٣٦٣.

(٢) انظر: بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، ج ٢ ص ٦٢.

(٣) للتأكيد على أن ابن الفرات كتب مؤلفه من باب الهواية أن المصادر لم تنسب إليه سوى (تاريخ الدول والملوك) انظر: مصطفى، شاكراً: التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت، ١٩٨٧م ط٣، ج ٣ ص ١٢٨.

ومما أورده ابن حجر عن اعتناء ابن الفرات بالتاريخ أنه كتب مسودة كبيرة جداً لو أكمل تبويبها لبلغت أربعين سَفْراً تضمن حوادث ووقائع وتراجم ووفيات لكنه توفي قبل أن يكمل عمله (١).

ونقل السخاوي ما أورده المقرئ عن ابن الفرات في كتابه "درر العقود الفريدة" أنه كتب في التاريخ مسودة تبلغ مئة مجلد قام بتبويب عشرين منها تمت الاستفادة منها (٢).

بينما ذكر ابن تغري بردي في كتابه المنهل الصافي أن ابن الفرات كتب تاريخاً كبيراً بلغ مئة مجلد قام بتبويب خمس وعشرين مجلدة منها (٣)

ومما سبق يتضح أنه:

- لم يبدع ابن الفرات في فنون أخرى غير فن التاريخ كما أوردت المصادر.
- لم يُنسب لابن الفرات غير هذا المؤلف كما أوردت المصادر المتوفرة .
- وهناك تفاوت بين المصادر في تقدير عدد المجلدات التي قام ابن الفرات بتبويبها بين عشرين وخمس وعشرين مجلدة.
- قام ابن الفرات بتبويب كتابه بطريقة عكسية، فأوردت المصادر أنه قام بتبويب الأجزاء المتأخرة قبل المقدمة (فيبّض المئة الثامنة ثم السابعة ثم السادسة ثم شرع في الخامسة، و عندما بدأ في الرابعة توفي، وبرّر ابن حجر ذلك في قوله عن ابن الفرات إنه بيّض المئة الثامنة، واعتذر بأنّ في الأوائل عدة تصانيف، ففيهم كثرة التصانيف مما جعلته يبدأ بطريقة عكسية .

(١) انظر: ابن حجر: مقدمة إنباء الغمر، ج ٥ ص ٢٦٧، ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص ١٦٤

(٢) انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨ ص ٥١.

(٣) انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة ١٩٨٥م، ج ٣ ص ١١٩.

- ومع إجماع المؤرخين على أنّ ابن الفرات ألّف تاريخاً كبيراً، لكنهم أغفلوا اسمه فالأجزاء الأولى سُمّيت [الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك]، وفي الأجزاء المتأخرة ورد اسمه [تاريخ الدول والملوك]، وهما تسميتان المؤلّف نفسه .

وهذا دليل على أنّ ابن الفرات لم يستقر على عنوان نهائي لكتابه (١).

وورد عند البغدادي في كتابه هدية العارفين (٢) اسم كتابين لابن الفرات هما:

- تاريخ البلاد والعباد

- تاريخ مصر الكبير

وعلى ما يبدو أنّه يقصد فيهما الكتاب نفسه [تاريخ ابن الفرات] الذي سلف ذكره (٣) ؛ لأنّ المصادر لم تُنسب لابن الفرات غير هذا الكتاب فهو احتوى على (تاريخ البلاد والعباد وتاريخ مصر) .

خلاصة القول إنّ ابن الفرات ذو مكانة عظيمة في مجال المصنفات التاريخية بمؤلفه [تاريخ الدول والملوك].

(١) انظر: مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣ ص ١٢٩، عبد البديع، لطفي: فهرس المخطوطات المصورة، ج ٢ ص ٦١، ١٧٨.

(٢) انظر: البغدادي: هدية العارفين، ج ٢ ص ٢٠٧.

(٣) انظر: مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣ ص ١٣٠، عز الدين، محمد کمال الدين : التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر، ص ٤٠.

والمستقرىء للقيمة العلمية للمخطوط يجد أنه:

مصدر أصيل من مصادر تاريخ الدول الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط في العصور الوسطى، والسمة الواضحة لديه هي الدقة والتفصيل للحوادث، وجمع مادة تاريخية عن مؤرخين سابقين ونقل منهم نقلاً حرفياً، وصحح جوانب تاريخية مهمة كان من سبقه مغفلاً لها حيث أسبغت على الوثائق والنصوص قيمة علمية عالية، وزادت الفائدة لدارسي العصر الذي أرخ له، وتكمن قيمته في دقة معلوماته والشمولية بذكر الأخبار والحوادث

فالدقة والتفصيل في تسجيل الأحداث التاريخية وتصحيح جوانب تاريخية مهمة كان من سبقوه قد أغفلوها، وشرح كثيراً من الوثائق السياسية والأحلاف العسكرية، وضمن كتابه العديد من الوثائق الرسمية للدولة المملوكية، تضمنت معلومات عن المؤسسات الاجتماعية، وأوضاع الفلاحين، ودور المرأة في حركة العصيان، والأعراب وعلاقتهم بالدولة الجركسية، وإشارته لأهل الذمة وعلاقتهم بالدولة المملوكية، والمنشآت الاجتماعية الخاصة بالمسافرين، واهتمام السلاطين بالصوفية.

مما لا شك فيه أن هذه الوثائق والنصوص تسبغ على تاريخ ابن الفرات قيمة علمية عالية وتزيد في الفائدة لمن يدرس العصر المملوكي، فكل هذا التراث الضخم من المؤلفات التاريخية المخطوطة التي خلفها الأسلاف لا نظير لها عند أمة من الأمم، وهو بمثابة الجذور والأصول الثابتة لهذه الأمة في إغناء التاريخ وقيمة المؤلفات التاريخية الإسلامية.

الحركة العلمية في عصره وموقفه منها

عصر الدولة المملوكية هو العصر الذهبي فيه نهضة كبرى بعد العصر العباسي الأول، واهتم الباحثون في معالم النهضة ومراكزها العلمية فازدهرت الثقافة المملوكية في شتى ضروب العلم والمعرفة .

واهتم المؤرخون في عصر المماليك بالحواليات والتراجم والسير والخطط والنظم، وأكبر دليل على عظم النهضة الفكرية آنذاك ظهور مجموعة من المؤرخين الكبار أمثال بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م)، والذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، وابن خلدون (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)، والقلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، المقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) .

وها هو ابن الفرات بدأ حياته منذ الصغر بدراسة علوم الحديث والفقه على يد مجموعة من علماء عصره، وبناء على هذه الثقافة تولى الخطابة في المدرسة المعزية وعقود الأنكحة في مصر، ولازم مركز الشهود بقنطرة قديدار .

وكان يحضر دروس العلم في الفقه الحنفي في مدرسة أم الأشراف وحضر كثيرا للشيخ زين الدين البسطامي^(١)، فرحل ابن الفرات إلى مكة سنة ٧٨٣هـ وهناك سمع صحيح البخاري على يد الشيخ البرهان الأميوطي في الحرم المكي^(٢).

وكانت علاقته وثيقة بابن دقماق حيث نقل عنه أشياء كثيرة، وهذا واضح في كتابه تاريخ ابن الفرات، ويُلاحظ ما أورده ابن حجر في مقدمة كتابه "إنباء الغمر" : وغالب ما أورد فيه أو تلففته ممن أرجع إليه أو وجدته بخط من أثق به من مشايخي ورفقتي كالتاريخ الكبير للشيخ

(١) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تح: قسطنطين زريق، ج ٨، ص ١٢٤، ١٢٦، ٢٠٦.

(٢) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٤٦٧.

ناصر الدين ابن الفرات وقد سمعت عليه جملة من الحديث، وكصارم الدين ابن دقماق وقد اجتمعت به كثيرا وغالب ما أنقله من خطه ومن خط ابن الفرات عنه^(١).

وكانت علاقته وثيقة مع ابن حجر العسقلاني والتقى المقرئزي والزين البسطامي.

لقد كان ابن الفرات من أوساط الشيوخ المحدثين وأوساط الموظفين حيث أضاف على طريقة التعليم في عصره بعض الحديث في مصر ودمشق وسمع من حفاظ عصره^(٢).

وما يثير الانتباه في حياته إقباله على فن التأريخ الذي كان سمة سائدة في عصره وتأليفه [تاريخ الدول والملوك] حيث قال ابن حجر عنه: "واعنتى بالتاريخ فكتب له مسودة كبيرة جدا لعله لو أكمل تبييضها لكانت في أربعين سفرا^(٣)"

وقال المقرئزي كما نقل عنه السخاوي عن ابن الفرات: "إنه تفقه وكتب في التاريخ مسودة تبلغ مئة مجلد بيّض منها نحو العشرين^(٤)"

السؤال المهم كيف كان ابن الفرات بمؤلفه يعبر عن روح العصر المملوكي؟

عمل علماء الدين الفقهاء والمحدثون والقضاة والمدرسون في التاريخ في العصر المملوكي وها هو ابن الفرات منهم حيث تولى الخطابة في المدرسة المعزية في القاهرة ولازم مركز الشهود وناب عن الحكم عن بعض قضاة القضاة الحنفي^(٥).

(١) ابن حجر العسقلاني: مقدمة إنباء الغمر، ج ١، ص ٢-٣.

(٢) مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣، ص ١٢٨.

(٣) ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص ١٦٣، ابن حجر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج ٢، ص ٥١٥.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٥١.

(٥) مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣، ص ١٨.

وتتميز التأليف التاريخي بالضخامة للمكانة الدينية الراقية لحضارة العصور الإسلامية فهي العصر الإسلامي المثالي ، وها هو ابن الفرات بمؤلفه خير دليل على ذلك ، فأجمع المؤرخون كابن حجر والمقريزي والسخاوي على أنه "كتب مسودة تبلغ مائة مجلد" .

وتتميز العصر المملوكي بإعطاء الحرية المطلقة للتأليف في التاريخ بدون قيود علوم الدين الأخرى ؛ لذا فهناك إقبال كبير على كتابة التاريخ لكن اللغة العربية كانت ضعيفة لديهم (١) . واعتمد المؤرخون اللاحقون على من سبقهم عند التأريخ للعصر المملوكي (٢) ، فها هو ابن الفرات يعتمد في تسجيله لأحداث العصر المملوكي غير المعاصرة له على من سبقوه أمثال : سيرة الملك الظاهر لابن شداد ، وزبدة الفكرة لبيبرس المنصوري وغيرهم .

واعتمد اللاحقون على تاريخ ابن الفرات حيث اعتمده ابن حجره والمقريزي والعيني والسخاوي وابن تغري بردي وغيرهم ، واتسم بعض مؤرخي هذا العصر بالضعف اللغوي فشاعت في كتاباتهم اللغة العامية واللحن المبتذل ، ومرد ذلك أنَّ الطبقة الحاكمة المملوكية كانت من الأعاجم لذلك كان الاهتمام بالعلوم الدينية أكبر من اهتمامهم باللغة الفصيحة ، فالكل مجموعون على القيمة العلمية وفائدة كتاب ابن الفرات إلا أنه كان بعبارات عامية جدا (٣) .

وسادت الروح الإنسانية العامة والروح الإسلامية الشاملة ، وأكدوا على أنَّ الأمة الإسلامية واحدة ضد الأعداء (٤) ، وتجلّى ذلك بوضوح عند ابن الفرات بتمجيده لانتصارات المسلمين وقادتهم وصبّه اللعنات على الكفار ، فشاع في تاريخه عبارات "التنثار المخذولين ، لعن الله من مضى منهم ، وخذل من بقى منهم" .

(١) مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣ ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣ ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٥١ .

(٤) مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣ ، ص ٧٩ - ٨١ .

هكذا يكون ابن الفرات بمؤلفه الكبير [تاريخ الدول والملوك] تعبيراً صادقاً عن تلك الحركة العلمية التي قامت في عصر المماليك الذي ما تزال أيادي المؤرخين والكتاب تتغنى ببطولاته وانتصاراته وموسوعاته العلمية وعلمائه.

الفصل الثاني: قسم التحقيق

١- وصف القطعة المحققة.

٢- منهج التحقيق في القطعة .

٣- أهم المصادر التي اعتمد عليها المصنف في القطعة:

- دراسة نسخة المخطوط: محتوياتها

- وصف المخطوط.

- أماكن وجود أجزاء من مخطوط ابن الفرات والمنشور من هذا المخطوط، وأماكن وجود النسخ المحققة منه.

- القيمة العلمية لتاريخ الدول والملوك.

وصف القطعة المحققة (٦١٥-٦٢٤هـ، / ١٢١٨-١٢٢٧م) .

المخطوط نسخة وحيدة كُتبت بخط المؤلف، وهو موجود ضمن مخطوطات مكتبة القصر الإمبراطوري بفيينا ثم استقر في المكتبة القومية بفيينا.

وشملت هذه القطعة المخطوطة المجلد الخامس من تاريخ الدول والملوك.

دُون ابن الفرات تاريخ كل قرن على حدة في كراسات قليلة الأوراق، وكتبه على نوع من الورق الأصفر السميك الخشن (الورق الحموي)، ومقاسه ٢٤ × ١٦ سم، وتتفاوت عدد أسطر الصفحات من ٢٥ إلى ٣٣ سطراً.

كتبها المصنف بخط نسخي ، وبجبر أسود داكن، ودُون رؤوس بعض الموضوعات وبداية بعض الفقرات بخط أكبر قليلاً من الخط الذي كتب به ووضعها في وسط السطر أحياناً، وترك هوامشاً تحيط بالصفحة من جهاتها الأربع تبلغ مسافات حوالى ٢ سم .

وتتفاوت إصابة المجلدات بالتلف من جزء إلى آخر، فهناك صفحات مطموسة، وهناك صفحات غير واضحة قليلاً. ويبدو أنَّ أجزاء المخطوط كانت موضوعة فوق بعضها بعضاً في مراحل حفظها بالمخازن.

وهناك تقديم وتأخير في بعض الصفحات، وسقطت بعض الأخبار منها.

وأجمع أغلب المؤرخين الذين ترجموا لابن الفرات أنَّ مؤلّف [تاريخ الدول والملوك] كان كبيراً جداً تبلغ مسودته نحو مئة مجلدة، وأنه لم يكمل تبليّضه، بل أتم المئة الثامنة ثم المئة السابعة فالسادسة فالخامسة فلما بلغ المئة الرابعة^(١) أدركته الوفاة، لذلك لا توجد سوى تسعة مجلدات^(٢) في مجموعة واحدة تضم تفصيلات عن الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية من سنة ٥٠١-٧٧٩هـ / ١١٠٧-١٣٩٦م.

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤ ص ٧٨-٨٢، خليفة، حاجي: كشف الظنون، ج ١ ص ٢٧٩.

(٢) النسخة الوحيدة للمخطوط موجودة بالمكتبة الوطنية بفيينا مع مكتبات أخرى في بلدان تم ذكرها في الشرح

أما الأسلوب المعتمد في هذا المخطوط فيتطابق مع القواعد العامة للكتابة السائدة في العصر المملوكي من حيث:

١- حالة الخط: لم يكن خطه جيداً ، إذ كان بعضه جيداً مقروءاً وواضحاً وكان بعضه الآخر سيئ غير مقروء فيه طمس وفراغات ، والخط عادي غير مضبوط رديء ويسوء لدرجة أن القارئ لا يعرف شيئاً أو لا يفهم شيئاً ، فبعض الحروف مطموسة وبعضها لا يكاد يُقرأ أبداً، وكتبه على ورق أصفر سميك خشن.

٢- الورق: كتب ابن الفرات تاريخه جاعلاً أحداث كل قرن على حدة في أوراق قليلة، وتتفاوت عدد أسطر الصفحات في المجلدات من ٢٥ إلى ٣٣ سطراً تكاد تكون كلماته متلاصقة لضيق المساحة بينهما، وتتفاوت إصابات المجلدات بالتلف من جزء إلى آخر ، وقد يعود في ذلك إلى حفظ الأجزاء حقبة من الفترات بالمخازن ، وهناك تقديم وتأخير (عدد أوراق المخطوط بالمجلد (٥) من [٦٠٠ - ٦٢٤ هـ / ١٢٠٣ - ١٢٢٧ م] هي نوع الورق) . A٤ (مقاسه) ٢٤ x ١٦

وأوراق المخطوط (أ-ب، أو و.ظ، أي وجه وظهر)، والمخطوطة غير مُرقمة أو مُرقمة بشكل غير واضح، لذا أعطيتها ترقيماً خاصاً جديداً، وهناك صفحات بيضاء ربما تركها للتعديل أو الإضافة ؛ لأن المخطوط مسودة ولم يكن قد تمّ تبليغه .

٣- اسم الناسخ: هي بخط يد المؤلف ابن الفرات ، وذكرت كلمات تدل على الصفحة التي بعدها وهناك صفحات مطموسة ، وأحياناً يضيف بعض الكتابات على هوامش الصفحة.

٤- لم يستخدم علامات الترقيم .

٥- عدد صفحات القطعة المحققة ١٠٠ ورقة [٢٠٠ صفحة] من سنة (٦١٥ - ٦٢٤ هـ / ١٢١٨ - ١٢٢٧ م) .

٦- عدد الأسطر من ٢٥ - ٣٣ سطراً في الصفحة الواحدة.

٧- لم يعتمد على تنقيط الألف، وقد تُرسم الألف المقصورة ممدودة أو بالعكس، وحُذفت الألف في وسط الكلمة مثل إسماعيل.

٨- أبدل الهمزة ياء في كثير من المواقع، فكتب سبعمائة بدلا من سبعمئة (وهذا ما يُسمى بالعربية تسهيل الهمز).

٩- عدم الاهتمام بمسألة تذكير العدد وتأنيثه، وإهمال تنقيط بعض الكلمات والحروف أو وضع النقاط في غير أماكنها الصحيحة.

١٠- استبدل التاء المربوطة بهاء (أي لم يضع نقاط).

١١- تكرار الحوادث والإطالة.

١٢- كتابة أبيات الشعر متصلة مع بعضها، فالشطران الأول والثاني متصلان، وكتب الأبيات متصلة وأحاط العنوان في أبيات الشعر بثلاث نقاط.

١٣- المخطوط غير مرقم بل اعتمدنا على ترقيم جديد بحكم ما هو موجود تحت أيدي الباحثين ليسهل تسجيلها في سجلات مكتبة القصر الإمبراطوري.

١٤- كانت المفردات مبعثرة ومدشوتة [متفرقة]، وفيه كثير من الأخطاء الإملائية والنحوية والعروضية، فهو لم يكن يعرف العربية جيداً، وخطه لم يكن جيداً، وعباراته عامية.

الأدلة على أصالة المخطوط: إنّ الخط الذي كُتبت فيه مادة المجلدات والذي لم يتغير والفراغات التي تركها المؤلف نفسه في نهاية بعض الأحداث التاريخية أو بين السطور في معظم المجلدات؛ لأنه لو كان منسوخاً بيد إنسان آخر لأكمل هذا النقص وملاً الفراغات أثناء النسخ، وأجمع المؤرخون الذين نقلوا عنه أخباراً عن الحروب الصليبية أو أشاروا إليه في بحوثهم ومنهجهم، فلا تخلو نصوصه من الكلمات والعبارات العامية التي كانت شائعة في ذلك العصر عند سرد الأحداث التاريخية نقلاً عن سابقه بذكر أسماءهم حيناً وإغفالها حيناً آخر، وذكره الكثير من الوثائق التاريخية في عصره، وترك فراغات في نهاية بعض الأحداث التاريخية للتعديل .

المنهج التاريخي والأسلوب المتبع

اعتمد في تسجيله للأحداث على ما شاهده وشارك فيه وعلى الرواية الشفهية التي قد يذكر فيها أحياناً الراوي ويمثلها متأثراً بأسلوب عصره ومعاصريه من مؤرخي العصور الوسطى معتمداً منهجهم .

ويُعدُّ تاريخ مصر في عصر الأيوبيين والمماليك من أهم المراحل التاريخية فهو حافل بالأحداث والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد أَرَّخَ له عدد كبير من المؤرخين، كان من أهمهم ابن الفرات محمد بن عبد الرحيم بن علي بن أحمد، فقد دَوَّنَ حوادث هذه الحقبة من الزمن، ولم يترك واقعة إلا أحاطها بالشرح المُفصَّل، وذكر الروايات المختلفة المتعلقة بها، ودَوَّنَ ابن الفرات النصوص الأدبية والوثائق والرسائل ذات المضمون السياسي والديني والتاريخي لهذا العصر .

وقد نقل ابن الفرات في كتابه هذا عن مصنفات من تقدّمه من المؤرخين نقلاً حرفياً ، فحفظ لنا نصوص عدد من الكتب المفقودة ممّا زاد في قيمة هذا الكتاب، ويمكن دراسته وضبط النص، واستدراك ما يمكن من مصادر أخرى، وإعادة تشكيل نص تراثي على درجة عالية من الأهمية أواخر العصر الأيوبي أو المملوكي على حسب ما هو موجود .

وفي عرضه للموضوع سرد الحادثة التاريخية نقلا عن سابقيه ، ولجأ إلى الإسهاب والتكرار الممل لدى القارئ العادي ، وقد يكون للتكرار إيجابية لدى المتخصصين في الدراسات التاريخية للوقوف على آراء متعددة تظهر الصورة التاريخية .

وتميز ابن الفرات في تعبيره الذي يكرره كلما ذكر حادثة عن الفرنجة فينهال عليهم باللعنات ويرجو لهم الخذلان قائلا: "لعن الله من مضى منهم وخذل من بقي منهم". وكلما ذكر أحد من أمرائهم أو قائد من قادتهم وصفه "بالملعون" ، فيعكس بذلك صورة واضحة عن مشاعر الكراهية تجاه الصليبيين ليس تعصبا؛ لأنهم غير مسلمين ، ولكن لأنهم دخلوا بلاد المسلمين بالقوة وبالسلاح ، واحتلوا بلادا ليست من حقهم ، فعبر عن ذلك ابن الفرات بردة فعله الواضحة في مؤلفه.

وهناك إضافات جانبية كتبها على الهوامش في متن المخطوط وهذا دليل على أن ابن الفرات راجع ما كتبه في تاريخه بنفسه ، وأضاف زيادات ، وفسر ما احتاج للتفسير .

ومع التأكيد أن النقد لا يغير من قيمة مجهوده العلمية وعمله ، فهو تميز بظاهرة لم يشاركه فيها أحد من مؤرخي عصره ولا من سبقه حيث استعمل أدب عصره من منظوم ومنثور في تراجم وفيات الأعيان ، فأضاف على مؤلفه طابعا خاصا إضافة لكثير من الوثائق التاريخية التي أوردها في مؤلفه

ومجلدات هذا الكتاب تسعة منها ثمانية في المكتبة الامبراطورية في فيينا، وواحدة في مكتبة الفاتيكان، وهي بخط المؤلف وبنسخة فريدة لا ثاني لها، وحظيت أجزاء فيينا بالعناية والتحقيق، وكانت مواضيع لعدد من رسائل الدكتوراه، قد نشر القسم الأكبر منها ، وما بقي من دون تحقيق هو القسم الثاني من المجلد الخامس من مخطوطة فيينا مع معظم مجلد الفاتيكان، ويضم الجزء الثاني من المجلد الخامس حوليات السنوات ٦١٥ - ٦٢٤ هـ | ١٢١٨ - ١٢٢٧ م.

أمّا عملي في التحقيق فقد كان قائماً على التحليل والاستقراء ومقابلة المنسوخ على المصادر الأخرى، ثم نسخت النص وفق قواعد الإملاء المتعارف عليها في عصرنا مستخدماً علامات الترقيم التي تُساعد على تقسيم النص وفهمه، وبعد ذلك قمت بـ:

- نسخ لنص المخطوط وتقييره وإعادة ترتيب أوراقه المدشوتة [المتفرقة] خرجتها من المصادر المعتمدة والمتوفرة الآن .
- عزو الآيات إلى سورها وبيان موضعها من السور القرآنية .
- تخريج الأحاديث الشريفة وذلك بالاعتماد على كتب الأحاديث والسنن.
- تخريج الأبيات الشعرية من دواوين الشعر .
- شرح الألفاظ الغريبة وإظهار معاني بعض المصطلحات غير الواضحة (المبهمة) ما أمكن وذلك بالرجوع إلى الكتب المختصة.
- شرح الأحداث المبهمة واستيفاء كامل الخبر فيها من المصادر التاريخية والإشارة إلى مصدرها .
- التحقق من نسبة الأماكن وتحديدها بالرجوع إلى كتب المعاجم الجغرافية .

وما يُلاحظ على هذا المخطوط التفصيل الدقيق الذي تتم به أخباره والجهد الذي بذله المؤلف لإيراد كل تفاصيل صغيرة وكبيرة مما بلغه من حوادث السنين أو من سير الأعيان، وتمت مقارنة ما أورده المؤلف بما وصلنا من مؤلفات ذلك العصر، غير أنّ هذه القطعة وحيدة كُتبت بخط المؤلف ولا يوجد لها نسخة أخرى للقيام بالمقارنة .

ويُلاحظ سرد ابن الفرات للحوادث المعاصرة التي شاهدها أو اشترك فيها، وكان يشرحها بتفصيل دقيق حتى يكاد يُتابعها يوماً بيوم.

وكتاب تاريخ الدول والملوك كأكثر المصادر العربية القديمة كُتبت دون تقطيع إلا في بعض المواضع الخاصة، وقُسم إلى فقرات بحسب الأيام أو الشهور التي يروي أخبارها تسهيلاً لمطالعته والوقوف على الحوادث بحسب تواريخها، وفي أعلى كل صفحة كُتبت تواريخ الحوادث

التي تجري فيها في الحسابين الهجري والميلادي، ويُلاحظ أنَّ ابن الفرات قد ميّز العناوين والأسماء بكتابتها بخط غامق اللون.

وتتبع أهمية كتابه في دقة المؤلف بذكر الأخبار والحوادث حسب الأيام والشهور والسنوات، واعتمد على الاقتباس^(١)، وأخذ رواياته من أكثر من مصدر، ومن ترجموا لابن الفرات ذكروا أنه لم يكن يُحسن الإعراب وعبارته عامية جداً، لذا وقع في اللحن الفاحش، واعتمد في تأليفه على قاعدة أكثر المؤرخين في عصره والسابقين له فقام بترتيب تاريخه بحسب تعاقب السنين مع تفصيل الأحداث والوقائع، ثم ذكر سير من توفي في كل سنة من العلماء والشعراء والأدباء، ومع ضياع معظم هذا الكتاب التاريخي المفيد فقد حُفظت بعض أقسامه في نسخة واحدة فريدة لا تزيد على عشرة مجلدات تضم أخبار السنوات من سنة ٥٠١-٧٩٩هـ/ ١١٠٧-١٣٩٦م، ولا تخلو هذه النسخة من النقص ومن السقط في بعض السنوات.

وكثير من المؤرخين ذكروا الحروب الصليبية إلا أنَّ ابن الفرات جمع ما ذكره هؤلاء وأفاض عليها من توجهاته الدينية والسياسية وبذلك كان للعاطفة دورها في أسلوبه ونقل الحوادث بأمانة^(٢)، وكلما ذكر قادة من قواده ينعته بلفظ الملعون دلالة على شعور الكراهية والاحساس بالنفور تجاه هؤلاء الصليبيين وأمرائهم.

وهناك إضافات جانبية ذكرها ابن الفرات على هوامش المخطوط مما يعطي انطباعاً بأنَّ المؤرخ راجع ما كتبه في تأريخه بنفسه وفسّر كل الألفاظ الغريبة واستعمل أدب عصره من منظوم ومثنو في تراجم وفيات الأعيان ونعتوه بالتعصب^(٣) ويُؤخذ عليه التكرار والإسهاب مما يجعل القارئ يتملل.

(١) أبي شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج ١، ص ١٠٩.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٧٨.

(٣) خليفة، حاجي: كشف الظنون، ج ١، ص ٢٧٩.

وحدث تقديم وتأخير في بعض الصفحات وسقطت بعض منها فمثلاً : سقطت أخبار سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م ، وسقطت أحداث سنتي ٦١٩هـ / ١٢٢٢م ، وسقطت أحداث سنتي (٦١٩ ، ٦٢٠هـ / ١٢٢٢-١٢٢٤م) وأول سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٣م ، وحدث تداخل فيما بينها بعضها واختلطت الأحداث ببعضها ، وانتقلت الأوراق التي دونت فيها إلى مكان آخر .

و تم التأكد من نسبة المخطوط إلى مؤلفه وهو أمر مؤكد لاشك فيه أشرف عليه الأستاذ الدكتور سهيل زكار .

وتمت الإشارة إلى كل إضافة للنص إن وجدت ووضعها بين [] والإشارة إلى ذلك في الهامش وإلى مصدر الزيادة أو التصويب.

وضبط الكلمات التي تُبْهَم على القارئ من الأسماء والألفاظ العربية والأعجمية ضبطاً شكلياً حتى لا يلتبس أمرها على القارئ.

وتمت مطابقة الحوادث والأخبار الواردة في المخطوط مع ما ورد في المصادر التاريخية المعاصرة للأحداث ، وأشير إلى الفروق والاختلاف بين مخطوط ابن الفرات والمصادر الأخرى.

وردت النصوص المنقولة إلى مصادرها الأصلية.

التعريف بالتراجم من المصادر التاريخية والإشارة لمصادر ترجمة الشخصيات.

وتوضيح بعض الأحداث غير الواضحة في النص وموازنتها بالمصادر الأخرى .

والتعريف بالكتب التي وردت في الكتاب مع وصف موجز لها.

والإشارة إلى ما لما سقط سهواً ، والتنبيه على الأوهام التي وقع فيها المؤلف .

وإثبات جميع التواريخ الواردة وفق التقويمين الهجري والميلادي.

ووضعت فهارس فنية تسهل على القارئ البحث في الكتاب، وتم الحرص على عدم إثقال النص بالحواشي لكن غنى النص بالشخصيات المهمة والكثيرة والألفاظ والمصطلحات الغربية الرائجة التي تحتاج للتعريف جعلت الحواشي في بعض المواضيع كبيرة.

وهناك عدم انتظام في جمع الكراريس، فتقدمت بعض الصفحات وتأخرت أخرى، ومع إنكار أهل البحث التاريخي ما اشتهرت به عبارة ابن الفرات من عامية فجّة فإنهم اعترفوا بأهمية كتابه، فجرى ابن الفرات في تأليفه على قاعدة أكثر المؤرخين في عصره، فرتّب الأحداث التاريخية حسب السنين، وأورد الوفيات في آخر كل سنة، وما حفلت به الأجزاء المطبوعة من الوثائق التي تتمثل في المراسلات والمكاتبات بين سلاطين المماليك والأمراء الفرنجة في الغرب والأمراء المسلمين في الشرق وملوك التتار وعقود الصلح والهدنة مع الصليبيين ومنشورات الإقطاعات.

ولا يخفى على الناظر في الكتاب اعتماد ابن الفرات على ابن واصل الذي نقل عنه نقلاً حرفياً دقيقاً، فهذا السبب لم يكن يذكر اسمه دائماً، بل يقول قال علماء التاريخ رحمهم الله تعالى، والأغلب أنه كان يقصد بهذه العبارة ابن واصل.

أماكن وجود مخطوطة ابن الفرات:

نقل المخطوطة من مصر تفككت بعض الأجزاء وتبعثر بعضها الآخر ووزع بين متاحف الدول ومكتباتها، ومنها :

-مكتبة الفاتيكان: يوجد فيها مجلد يحتوي أخبار سنة ٦٣٩-٦٥٩هـ / ١٢٤١-١٢٦٠م).

-المكتبة الوطنية بباريس: يوجد فيها مجلد يضم أخبار سنتي ١١-١٢هـ / ٦٣٢-٦٣٣م .

-المتحف البريطاني: يوجد فيها مجلد يحمل عنوان [الطريق الواضح المسلوك إلى تراجم الخلفاء والملوك]، وهذه النسخة ذات صلة بالنسخة الأصلية الموجودة في فيينا^(١).

ما نُشِر من مخطوط ابن الفرات [تاريخ الدول والملوك]

١- قسطنطين زريق: حقق القسم الأول من المجلد التاسع الذي يشتمل على حوادث السنوات من ٧٨٩-٧٩٢هـ، وتم نشره في الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٣٦م .

أما القسم الثاني فاشتركت معه نجلاء عز الدين وتضمن حوادث السنوات من ٧٩٣-٧٩٩هـ ونشرته الجامعة الأمريكية في بيروت.

٢- حسن الشماع: قام بتحقيق القسم الأول من المجلد الرابع، وهو أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة فيينا سنة ١٩٦٦م، ونشرته جامعة البصرة كاملاً في جزئين سنة ١٩٦٩م.

٣- أحمد الشامي: قام بتحقيق ونشر القسم الأول من المجلد الأول، وهو أطروحة دكتوراه في جامعة فيينا سنة ١٩٧١م.

٤- أمّا المجلدات الباقية بدون تحقيق فأُسند دراستها وتحقيقها إلى بعض طلاب الدراسات العليا في كلية الآداب- جامعة الزقازيق، وتولى الدكتور أحمد الشامي الإشراف عليها.

د- وفاته ومآل كتابه:

توفي ابن الفرات رحمه الله بعد أن ترك للأمة تاريخاً وعلماً ينتفع به ، وتجمع المصادر أن وفاة ابن الفرات كانت في ليلة عيد الفطر سنة ٨٠٧هـ / ٤٠٥م،^(٢) وله اثنتان وسبعون سنة.

(١) زريق، قسطنطين: مقدمة المجلد التاسع من تاريخ ابن الفرات، الشماع، حسن: مقدمة المجلد الرابع من

تاريخ ابن الفرات

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة، ص١٦٣، السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤ ص٧٨، المقرئ: المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢ ص ٢٥٦، بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ج ٢، ص ٥٠.

وللأهمية الكبرى لتحقيق المخطوطات ولرغبة الإنسان في التطور والاستفادة من تجارب السلف وخبراتهم ونجاحاتهم وتجنب إخفاقاتهم انتقلت هذه النسخة الوحيدة من المخطوط بعد وفاته إلى ولده القاضي الشيخ عز الدين عبد الرحيم، ولم يكن مهتما بعلم التأريخ لصعوبة التأليف فيه، فتخلص منها وباعها كما ذكر السخاوي، ثم وصلت النسخة إلى يد حفيد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

النص المحقق

القسم الثاني من المجلد الخامس من تاريخ الدول والملوك (مخطوطة فيينا)

[١-و] ذكر استيلاء عماد الدين زنكي الثاني^(١) على قلعة كواشي^(٢)

في آخر هذه السنة^(٣) وأول السنة التي بعدها تسلم الملك عماد الدين زنكي من الملك أرسلان شاه الأتابكي، قلعة كواشي سلمها أهلها إليه، فأرسل الأمير بدر الدين لؤلؤ أتابك الموصل إلى الملك مظفر الدين كوكبوري^(٤) صاحب أربل^(٥) يذكره العهود والأيمان، ويطلب منه إعادة كواشي، فلم تقع الإجابة إلى ذلك فأرسل حينئذ الأمير بدر الدين لؤلؤ إلى السلطان الملك

(١) - كان من خيار الملوك وأحسنهم شكلاً وسيرة وأجودهم طوية وسريرة، وكان شديد المحبة للعلماء ولاسيما الحنفية، وقد ابتنى لهم مدرسة بسنجار وشرط لهم طعاماً يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم. انظر: الصلابي (علي محمد محمد): الأيوبيون بعد صلاح الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ١، ج ١، ص ٤٥، وابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ج ١٦، ص ٦٨١.

(٢) قلعة كواشي: بالفتح وشينه معجمة: قلعة حصينة بالجلال شرقي الموصل ليس لها طريق لغير راجل واحد كانت قديماً تسمى أردمشت. انظر: ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ م، ج ٤، ص ٤٨٦.

(٣) أي سنة ست عشرة وستمئة. انظر: ابن واصل (محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم ت ٦٩٧هـ): مفرج الكروب، تح: حسنين محمد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، -المطبعة الأميرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م، ج ٤، ص ٣١.

(٤) مظفر الدين ملك شجاع وفيه عسف في استخراج الأموال من الرعية، وكان يحتفل بمولد النبي ﷺ، وينفق فيه الأموال الجلية. انظر عن (كوكبوري بن علي) في: مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٨٠-٦٨٣، وابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ٣، ص ٤٩٩.

(٥) أربل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع ولقلعتها خندق عميق، وهي في طرف من المدينة وسور المدينة يقطع في نصفها وهي شبيهة بقلعة حلب انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٨٦.

الأشرف بن الملك العادل، وهو نازل بظاهر حلب، يستتجده ، فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى. ^(١)

وحج بالناس في هذه السنة أمير الحاج العراقي ^(٢) الخليفة العباسي، وخرجت هذه السنة، وجميع ملوك الممالك الأيوبية على ما كانت عليه في السنة الماضية.

ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم:

إبراهيم بن عبد الله ^(٣) بن عبد الرحمن الغرناطي المالقي وفاة، يُكنى أبا الحسن، ويُعرف بابن الكاتب من أهل غرناطة من بيت طيب. وأصاله وحسب، ذكره القاضي ابن خميس، وقال في حقه: كان معدوداً في جملة النبهاء ومحسوباً في جملة الشعراء والأدباء، وشعره مطبوع نشأ بمالقه وأقام بها، ثم ارتحل عنها، ثم عاد إليها. ومن شعره قصيدة يخاطب بها بعض إخوانه:

أأنت على العهد الذي أنا ذاكرُ أم الود يُنسى بالبعد عهوده
- ومنها:

وجدت تذكراً لأيماننا الأولى مضت واعتقاد البين يملئ جديده

^(١) ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج ١٠، ص ٣٢٠.

^(٢) وهو مجاهد الدين ياقوت الرومي الناصري. انظر: ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٧٨٤هـ / ١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: جمال الدين الشيال، وفهيم شلتوت، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ج ٦، ص ١٩٤.

^(٣) لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة بين يدي.

- ومنها:

وما زلت أوليه الجميل ترفقا نسل به من جانييه حقوده
تبق باعتقادي واعتقد صدق مقولي بخير سجايا المرء صدق محيده
وهاك على حكم الزمان فكاهاة تصدق بها من راق نظم قصيدة
توفي في سنة ست عشرة وستمئة هذه السنة بمالقه ^(١).

أحمد بن سلمان ^(٢) بن أبي بكر بن سلامة البغدادي الحريري يكنى أبا العباس، ويُعرف بابن الأصفر سمع الحديث ببغداد من أبي بكر أحمد بن علي بن الأشقر الدلال، والزاهد أبي [٢-و] العباس أحمد بن أبي غالب بن الطلاية وغيرهما، وحدث ببغداد والموصل، وُلِدَ في يوم عاشورا سنة خمس وثلاثين وخمسمئة، وتوفي في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ست عشرة من هذه السنة بالموصل ودُفن بها رحمه الله تعالى.

(١) مدينة مالقة: يفتح اللام والقاف مدينة بالأندلس حسنة عامرة أهلة كثيرة الديار متسعة الأقطار بهية كاملة سنية أسواقها عامرة ومتاجرها دائرة ونعمها كثيرة، ولها فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إلى رية وتينها يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند، وهو من أحسن التين طيبا وعذوبة ولمدينة مالقة ربضان كبيران ربض فنتالة وربض التبانين، وشرب أهلها من مياه الآبار، وماؤها قريب الغور كثير عذب، ولها واد يجري في أيام الشتاء والربيع وليس بدائم الجري. انظر: الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي المعروف بالشريف (ت: ٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٥٦٥، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٧.

(٢) انظر المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج٤، ص٤٢٤-٤٢٥، ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص٩٨-٩٩، والذهبي: العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، لبنان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٣، ص١٦٨.

الحسن بن هبة الله^(١) بن الحسن بن علي بن الدَّوامي البغدادي، يُكنَّى أبا علي، ويُلقب

فخر الدين، كان ذو فضل مشهور، وبیت مذكور بالمخزن، ووكيلاً للخدمة الشريفة الناصرية، وهو أحد الأعيان الفضلاء، والصدور النبلاء، والشعراء الفصحاء، والأدباء الظرفاء.

فمن شعره قوله: (٢)

هو مطلقٌ بي وساق
أضعافِ حمل النياق
بين الرسل والأعناق
لحبي يهذب الأخلاق
مخصر العذارين أسود الأحداق
حلو الوصال مُرَّ المذاق
بعذب من ريقه البَراق
دون البرامسة والخنفاق

شق يوم النوى على المشتاق بغداد
حاملاً من هوى الأحبة مع ضعف قواه
يوم سارت بهنَّ ممتدة الأعناق
رُبَّ يوم أحد أخلاف الهوى فيه
أبيض الثغر أحمر الخد
كاذبٌ في وعوده صادق الأبعاد
كم غنينا عن الأباريق والراح
فتنقضى عمر التواصل والعناق
وقوله:

كدت أخفى عنه لما زارني من طول
ذبت حتى ما يرى الناظر في غير رسم
دهمتني منه شهب تسرع الفتك بهم

حبذا طيف سلم حينه في إشراك حلم
يا عظيم القدر إن الحب قد أنحل
أه من سيفي أو نصيبي فقد شبَّ بقلبي

(١) الحسن بن هبة الله بن الحسن بن علي بن الحسن الرئيس أبو علي بن الدَّوامي البغدادي: أحد الأعيان وحاجب الحجاب، أجاز له أبو محمد سبط الخياط وأبو سعد البغدادي، قرأت عليه: أخبركم الأرموي حضوراً. فذكر حديثاً. وتوفي في رجب سنة ست عشرة وستمئة. وسمع حضوراً من أبي الفضل الأرموي. وأجاز له: أبو محمد سبط الخياط وأبو سعد أحمد بن محمد البغدادي وجماعة آخرون. وولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة. وكان صاحب الحجاب ببغداد ووكيل أمير المؤمنين. (. والدَّوامي: نسبة إلى خدمة الدَّوامية سرية القائم بأمر الله. توفي في رجب انظر: تكملة المنذري ج ٢، ص ١٦٧٨، والذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام، ص ٢٦٤، والمختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الديبثي، ج ١، ص ١٦٨، والسمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت ٥٦٢هـ): الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م، ج ٥، ص ٣٨٨، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٣٩٤، ٣٩٥.

(٢) لم أجد تخريجاً للأبيات حسب المصادر المتوفرة بين يدي.

دع فضول العيش تسلم من أذى عمرهم
لا تقد يا ذا النهى يوما لغير الله بأثم
وإذا ما شئت أن يعرف في الناس بحلم
وُلد^(١) في سنة ثمان وخمسمئة وتوفي في شهر رجب الفرد من سنة ست عشرة من هذه السنة،
ودفن بالشونيزية. (٢)

حسن بن عبد الله^(٣) بن الخير التونسي الدمياطي وفاة يُكنى أبا علي ويُعرف بالطويل.

قال الحافظ أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري^(٤) رحمه الله: سمعتُ الشيخ العارف أبا
علي حسن التونسي المعروف بالطويل، [٢-ظ] وقد سَلَمَ عليه الوزير الصاحب أبو محمد عبد الله
بن علي وقال له كيف حالك؟ فقال: ما حالٌ من ينتظر سفرا طويلا بلا زاد، وقبرا موحشا بلا

(١) ذكر المنذري أنه ولد سحرة الخميس الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة
وتوفي في السادس من رجب انظر: المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٤، ص ٣٩٥.
(٢) الشونيزية: بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة وياء مثناة من تحت ساكنة وزياء النسبة: مقبرة ببغداد
بالجانب الغربي دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين: الجنيد، وسرى السقطي، وجعفر الخلدی، وغيرهم.
وفيها مسجد الجنيد وعنده خانقاه للصوفية. انظر: ابن شمائل (عبد المؤمن بن عبد الحق): مرصد الاطلاع
على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ٨٢١.
(٣) في شعبان توفي غازياً بثغر دمياط، وهو في حصر العدو. انظر: المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٤،
ص ٤٠٧.

(٤) الحافظ الكبير الإمام شيخ الإسلام زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المصري
الشافعي. ولد بمصر في غرة شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمئة، وتفقّه وطلب هذا الشأن فبرع فيه وتخرج
بالحافظ أبي الحسن بن المفضل وولي مشيخة الكاملية، وانقطع بها عشرين سنة، وكان عديم النظير في
معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه متبحراً في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله قima بمعرفة غريبه إماما
حجة بارعا في الفقه والعربية والقراءات ورعا متبحرا. قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في حقه: كان أدين
مني وأنا أعلم منه. ألف الترغيب والترهيب وشرح التنبيه وغير ذلك. مات يوم السبت رابع ذي القعدة سنة ست
 وخمسين و ستمئة. انظر: السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ١، ص ١١٨.

مؤنس، والقدوم على الله تعالى بغير حجة، توفي الشيخ حسن المذكور في شعبان سنة ست عشرة هذه السنة بثغر دمياط^(١)، وهي محاصرة^(٢).

داود بن^(٣) أحمد بن محمد بن منصور بن ثابت^(٤) بن الحارث بن ملاعب البغدادي الأزجي، الدمشقي وفاة، يُكنى أبا البركات، ويُعرف بالريب^(٥) الوكيل، سمع الحديث ببغداد من أبي الفضل محمد بن عمر الفقيه، ومحمد بن ناصر الحافظ، وأبي القاسم نصر بن نصر العُكبري، وأبي الكرم بن الشهرزوري^(٦)، وأبي بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني، وغيرهم، وحدث ببغداد. ودمشق وُلِدَ في نصف المحرم سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة، وتوفي في شهر رجب الفرد سنة ست عشرة هذه السنة بدمشق رحمه الله تعالى.

(١) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر وهي من ثغور الإسلام عندها يصب نهر النيل هدمها الصليبيون سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م. انظر: القزويني (أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ج ١، ص ٢٤، والمقرئ: الخطط: ج ١، ص ٢٢٣ وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٠٢.

(٢) انظر: الدينوري: عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٩٦.

(٣) انظر: ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٣، ص ٤٠٢، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٤ ص ٣٩٨ - ٣٩٩، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٦٧، وابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٧٨٤ هـ / ١٤٧٠ م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٤٦ وأبي شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٢٣.

(٤) وردت نابت عند ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٤٦.

(٥) ورد عند أبي شامة: الذيل على الروضتين، ج ٦، ص ١١٩ وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١٢٣.

(٦) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمدان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٤٠.

عبد الله بن أبي عبد الله^(١) الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين، العكبري الأصل، البغدادي المولد والدار والوفاء، يُكْنَى أبا البقاء، يُلقَّب مُحِبُّ الدين الحاسب الفرضي النحوي، اللغوي الفقيه الحنبلي المذهب الضريع، كان إمام مسجد ابن حمدي ببغداد بالريحانيين منها، ومتقدم الأضراء، وكان شيخ زمانه، وقد بدا وكأنه منحة الدهر، وحسنة العصر، إمام في كل علم من النحو، واللغة، والفقه، والفرائض، والكلام، يقرئ ذلك كله، فهو الجامع لأشتات العلوم. قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان^(٢): لم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه، وكان الغالب عليه علم النحو، أخذ النحو عن أبي محمد بن الخشاب^(٣)، وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد، وسمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن

(١) ولد سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م وقرأ القراءات على أبي الحسن علي بن عساكر، وقرأ النحو على أبي محمد بن الخشاب وأبي البركات بن نجاح، وتفقّه على القاضي أبي يعلى الصغير محمد بن أبي خازم بن أبي يعلى وأبي حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني، وبرع في الفقه والأصول. انظر: المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ص ٣٧٨-٣٧٩، والذهبي: تاريخ الإسلام، ص ٢٧٠، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٠٠-١٠١، وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٥٥، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٢٨. وقد ذكر اسمه: "أبو البقاء عبد الله بن الحسن بن عبد الله العكبري الضريع النحوي، وشذرات الذهب، ج ٥، ص ٦٧ وأبي شامة: ذيل الروضتين، ص ١١٩-١٢٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٨٥، والعيني: عقد الجمان، ج ١٧، ص ٣٩٧-٣٩٨، والدر الثمين، ص ٣١٨.

(٢) شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَلْكَانٍ الأَرْبَلِيِّ الشَّافِعِيِّ أَخَذَ الْأُئِمَّةَ الْفُضَلَاءَ وَالسَّادَةَ الْعُلَمَاءَ وَالصُّدُورَ الرُّؤَسَاءَ ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ جُدِّدَ فِي أَيَّامِهِ قَضَاءُ الْقَضَاةِ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ انظر: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٧١.

(٣) أبو محمد بن الخشاب: هو عبد الله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي، اشتهر بالأدب والنحو والتفسير والحديث والفرائض والحساب كما حفظ القرآن الكريم بالقراءات الكثيرة شرح كتاب "الجمال" لعبد القاهر الجرجاني، وسمّاه "المرتجل في شرح الجمال"، وشرح كتاب "اللمع" لابن جني "ولكنه لم يكمله، ولد سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م، وتوفي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ببغداد انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٠٢-١٠٤.

البطي^(١)، ومن أبي زرعه^(٢) طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرهما، واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا به، واشتهر اسمه في البلاد [٣-٥] وهو حيٌّ وَبَعْدَ صَيِّئُهُ. ^(٣)

وقال غيره: قرأ الأدب على علي بن عبد الرحيم بن القصار^(٤)، وأدرك ابن الخشاب^(٥) وأخذ عنه، وقرأ على أبي البركات يحيى بن نجاح^(٦)، وقرأ الفقه على الشيخ أبي حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني^(٧) الفقيه الحنبلي، وكان الشيخ أبو الفرج بن الجوزي^(٨) يفرع إليه فيما يشكل عليه عليه في علم العربية، وكان الشيخ أبو البقاء المذكور ورعاً ديناً صالحاً متقلِّد حسن الأخلاق،

^(١) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْبُطِّي، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ وَأَسْمَعَ وَرَجُلٌ إِلَيْهِ وَقَارِبَ التَّسْعِينَ رَجَمَهُ اللَّهُ. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٤٣٩.

^(٢) طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ أَبُو زُرْعَةَ الْمُقْدِسِيِّ الْأَصْلُ الرَّازِيُّ الْمَوْلَدُ الْهَمْدَانِيُّ الدَّارُ، وَلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِينَ، وَأَسَمَعَهُ وَالِدُهُ الْخَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْكَثِيرَ، وَمِمَّا كَانَ يَرْوِيهِ مَسْنَدُ الشَّافِعِيِّ تَوَفَّى بِهِمَدَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعِ رَجَبِ الْآخِرِ، وَقَدْ قَارَبَ التَّسْعِينَ. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٢٨.

^(٣) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٠٠.

^(٤) ابن القصار: هو أبو الحسن علي بن أحمد البغدادي قاضيها الفقيه الأصولي النظار صاحب تصانيف، وكان ثقة قليل الحديث مات سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة. انظر: أبو الفضل (عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي ت ٥٤٤ هـ) : الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفحاء، عمان، ط ٢، ١٤٠٧ هـ، ج ٢، ص ١٤٧.

^(٥) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب، مولده سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وكانت وفاته عشية الجمعة ثالث شهر رمضان سنة سبع وستين وخمسمئة ببغداد بباب الأرج بدار أبي القاسم بن الفراء، ودفن بمقبرة أحمد بباب حرب، وصلى عليه بجامع السلطان يوم السبت انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٠٢، ١٠٤.

^(٦) يحيى بن نجاح بن مسعود بن عبد الله اليوسفي أبو البركات البغدادي المؤدب. محدث نحوي لغوي شاعر. انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٨٩، والذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٩، ص ٣٨٩.

^(٧) أبو حكيم النهرواني: إبراهيم بن دينار الحنبلي الزاهد الفرضي أحد من كان يضرب به المثل في الحلم والتواضع. أنشأ مدرسة بباب الأرج، وقد اجتهد جماعة على إغضابه فلم يقدروا، وكان بصيراً بالمذاهب. انظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢٥.

^(٨) أبو المفرج بن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الجوزي، قال عنه الذهبي الإمام العلامة الحافظ المفسر شيخ الإسلام مفخرة العراق جمال الدين، ويرجع في نسبه إلى الفقيه القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٧٠٦.

قليل الكلام في ما لا يجدي نفعاً لم يخرج من رأسه كلمة إلا في علم، أو فيما لا بُدَّ له من مصالح نفسه، وكان رقيق القلب سريع الدمعة.

وكان إن أنشد شيئاً من أشعار المتأدبين الرقيقة تتحدر دموعه على شيبته، وكان قد تفرد في عصره بالعلوم خصوصاً علم العربية والفرائض، فكان الناس يقصدونه لأجلها من أقصى الشرق والغرب.

ذكر استيلاء التتار على همذان وما فعلوه في طريقهم

لما ملك التتار الري وفعلوا ما قدمنا شرحه [٨-١٠] فارقوها، ومضوا مسرعين يطلبون السلطان علاء الدين خوارزم شاه؛ لأنهم لم يعرفوا له خبراً، فلم يَمروا بقرية إلا أحرقوها وقتلوا أهلها، وسبوا نساءهم وذريتهم، وتركوا كل ما في طريقهم قائماً صفصفاً، ثم قصدوا همذان، فلما قاربوها خرج رئيسها إليهم ومعه الحمل من الأموال والثياب والدواب^(١) وغير ذلك وطلب الأمان لأهل بلده فأمنوهم، وتركوا لهم بها شحنة^(٢)، ثم قصدوا زنجان^(٣) فملكوها وقتلوا من فيها.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤٥.

(٢) شحنة: لفظ فارسي تركي يُطلق على طائفة من المحاربين مهمتهم حراسة البلد ومنشأتها، فالشحنة هو موظف يتولى سلطات إدارية وأمنية في المدن والمراكز الحضرية الأصغر من المدن. انظر: البغدادي (الخطيب): معجم المصطلحات، ص ٢٦٩-٢٧٠، والصلابي (علي محمد محمد): الأيوبيون بعد صلاح الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت، ط ١، ج ١، ص ٣٧٦.

(٣) زنجان: إحدى المدن الكبرى في أقصى شمال بلاد الجبل وعلى الحدود الجنوبية لأذربيجان وتنتسب إليها جبال زنجان. انظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٨، ص ٦١٠، والقلقشندي (أبو العباس شهاب الدين أحمد ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٦٩ والنسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٤٩، : ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٢، ابن كثير: التعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية، ج ٢، ص ٣٨.

ذكر قتال التتار وأهل قزوین وصلحهم وصاحب أذربيجان^(١)

لمّا ملك التتار زنجان قصدوا قزوین^(٢)، فاعتصم أهلها بمدينةنتهم، فحاصروها ثم هاجموها كالشياطين، واقتتلوا هم وأهل البلد في البلد بالسكاكين، وقتل من الفريقين ما لا يُحصى، وذكر أنه عدّ قتلَى أهل قزوین فكانوا أربعين ألفاً، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قصد التتار أذربيجان وأهلكوا كل من كان في طريقهم من أهل القرى والمدن، وكان صاحب أذربيجان السلطان أوزبك بن البهلوان^(٣) أحد غلمان السلجوقية، فلم يخرج إليهم. لإنشغاله بالشرب واللهو، وإنما أرسل إليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب حملها إليهم، فساروا إلى ساحل البحر. لأن البرد كان فيها اشتدّ، فطلبوا أن يشتوا في أماكن قليلة البرد كثيرة المرعى، وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى^(٤).

(١) أذربيجان: بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم وهي جمهورية إسلامية تقع غربي بحر قزوین يحدها من الغرب أرمينيا ومن الشمال الغربي جورجيا ومن الشمال داغستان ومن الجنوب إيران وأذربيجان في الإقليم الخامس، طولها ثلاث وسبعون درجة وعرضها أربعون درجة انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٨.

(٢) قزوین: بالفتح ثم السكون وكسر الواو وياء مثناة من تحت ساكنة ونون: مدينة مشهورة بينها وبين الرّي سبعة وعشرون فرسخاً وإلى أبهر اثنا عشر فرسخاً، وهي في الإقليم الرابع طولها خمس وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٤٢ والهمداني (أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي): الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تح: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥ هـ، ج ١، ص ٧٧٦.

(٣) ورد اسمه "يزيدك بهلوان" عند النسوي: سيرة السلطان جلال الدين. انظر: الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط ٢، ١٩٨٠ م، ج ١، ص ٢١.

(٤) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤٦، والحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ج ١، ص ٢١.

ذكر ما اتفق بين التتر والكرج^(١) من القتال

لما سار التتار - لعن الله تعالى من قضى منهم، وخذل من بقي منهم - إلى ساحل البحر كما قدمنا شرحه وصلوا [٨-ظ] إلى موكان[موقان]^(٢)، ومروا في طريقهم بأطراف بلاد الكرج فخرج لهم نحو عشرة آلاف من الكرج فقاتلهم فانهزمت الكرج وقتل أكثرهم، فأرسلت الكرج إلى السلطان أوزبك صاحب أذربيجان يطلبون منه الصلح والاتفاق معهم على دفع التتر عن البلاد، فاصطلحوا ليجتمعوا إذا انحسر الشتاء^(٣)، وكذلك أيضاً راسلوا السلطان الملك الأشرف بن الملك العادل صاحب خلاط^(٤) والبلاد الشرقية، وظنوا جميعهم أن التتر يصبرون إلى دخول الربيع، فلم يفعلوا، وساروا إلى بلاد الكرج^(٥)،

قال صاحب المعجم^(٦): لقد طال تأسفي على الشيخ أبي البقاء بعد وفاته، كيف لم أقصر زماني زماني كله على المقام عنده، والقراءة عليه فما كان رحمه الله إلا كالعافية لا يعرف مقدارها إلا عند فقدها، وسألته عن تصانيفه فأمر ولده بإملاء ذلك عليّ، فأملى عليّ كتاب إعراب القرآن العزيز^(٧)، وكتاب متشابه القرآن، كتاب عدد آيات القرآن، كتاب تفسير القرآن، وكتاب التعليق في الفقه، وكتاب المرام في نهاية الأحكام في المذهب، وكتاب إعراب الحديث، وكتاب مسألة

(١) الكرج: جورجيا الآن. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٠.

(٢) موقان: بالضم ثم السكون والقاف وآخره نون انظر: ياقوت الحموي، ج ٥ ص ٢٢٥.

(٣) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤٦.

(٤) خلاط أو أخلاط: بكسر أوله مدينة بأرمينية الوسطى كانت ملكاً للأشرف موسى بن الملك العادل أيوب

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢١٣.

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) هو ياقوت الحموي صاحب المعجم. انظر: ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري

الحنفي ت ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر،

ج ١٦، ص ٤٣٩.

(٧) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٠٠.

في قوله: {إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءُ} ^(١)، وكتاب الناهض في الفرائض، مذاهب الفقهاء، وكتاب البلغة في الفرائض على مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه خاصة، وكتاب التلخيص في الفرائض أملاه على أبي الفرج بن الجوزي. ^(٢)

ومن خط ابن الجوزي كتاب الاستيعاب في أنواع الحسنات، كتاب مقدمة في الحساب، وكتاب شرح الفصيح مستوفى أملاه على يوسف الحربي ^(٣).

ونقد كتاب شرح الحماسة يتضمن لغتها ومعانيها وأخبارها ولم يتعرض فيه للإعراب أفرد له كتاباً، وكتاب لغة الفقه أملاه على ابن النجار ^(٤)، كتاب شرح المقامات الحبرية ^(٥)، كتاب المصباح في شرح الإيضاح، والتكملة كتاب الإفصاح عن معاني أبيات [٣-ظ] الإيضاح.

(١) انظر: البخاري، برقم ١٢٨٤، مسلم، برقم ٩٢٣.

(٢) هو محي الدين يوسف بن الشيخ عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي البكري البغدادي الحنبلي أستاذ دار المستعصم بالله، ولد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م، واشتغل بالفقه والأصول والخلاف، وأنشأ مدرسة بدمشق هي: المدرسة الجوزية، قُتل سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م عندما دخل هولاكو بغداد، له مصنفات عديدة أهمها " الإيضاح في الجدول. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٨، ص ٣٠٦ - ٣٠٨، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ١٥٦ - ١٥٧، والزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٢١٥.

(٣) يوسف بن عمر بن حسين أبو يعقوب المقرئ الحربي والد يعقوب المذكور أنفاً. شيخ صالح سمع أبا الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف، سمع منه عبد المغيث بن زهير ومكي الغراد وجماعة، توفي يوسف الحربي في ذي القعدة سنة ست وأربعين وخمسمئة، وكان ذا عبادة وورع عليه آثار الولاية بادية. انظر: الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله بن الدبيثي، ج ١، ص ٣٧٤.

(٤) ابْنُ النَّجَّارِ الْحَافِظُ صَاحِبُ التَّارِيخِ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ مَخَاسِنَ بْنِ النَّجَّارِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ الْحَافِظُ الْكَبِيرُ سَمِعَ الْكَثِيرَ وَرَحَلَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَلَدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَمِئَةَ وَشَرَعَ فِي كِتَابَةِ التَّارِيخِ وَعُمُرُهُ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً، وَالْقُرَاءَاتِ وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَشَايخِ كَثِيرًا حَتَّى حَصَلَ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ شَيْخٍ مِنْ ذَلِكَ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ امْرَأَةٍ وَتَعَرَّبَ ثَمَانِيَّةً وَعَشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ جَاءَ إِلَى بَغْدَادَ وَقَدْ جَمَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٩٧، والدر الثمين، ص ٨٠-٨١.

(٥) الحبري: هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحبري البصري، كان أحد أئمة عصره، اشتهر بالمقامات التي اشتملت على شيء كثير من كلام العرب، مولده سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م وتوفي سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦٣-٦٧ وابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار وممالك الأمصار، السفر الثاني عشر، ص ٣٩.

كتاب الإشارة في النحو، مختصر كتاب التلخيص في النحو، ومقدمة كتاب التلخيص في النحو ومقدمة أخرى، وكتاب مسائل الخلاف في النحو، وكتاب القوافي، وكتاب شرح أبيات كتاب سيبويه، وكتاب مسائل نحوية مباشرة، كتاب شرح هداية أبي الخطاب، وكتاب شرح خطب ابن نباتة^(١).

وعدة كتب غيرها من الكتب اختصرت ذكرها، وقال استشهدته بيتاً من شعره، فقال: وقتي أعز من أي فخر في قول الشعر، ولا عرف لي الشعراء إلا أربعة أبيات نسيت أبياتاً منها.

فاستشهد فيه ذلك يمدح الوزير نصير الدين بن مهدي العلوي^(٢) وزير الخليفة الناصر لدين الله العباسي^(٣): [الخفيف]

(١) ابن نباتة: هو أبو يحيى بن نباتة خطيب الخطباء عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي الحذاقي نسبة إلى حذاقة بطن من قضاة، وقيل قبيلة من إياد اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار ولى خطابة حلب لسيف الدولة وفي خطبه دلالة على قوة علمه وسعته وقوة قريحته، واجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة الحمداني، وهو من أهل ميفارقين (بديار بكر)، وكان خطيب حلب وكان تقياً صالحاً، وله خطبة تعرف بالنامية، ويروى أنه رأى الرسول في المنام، وسمّاه الرسول -ﷺ- خطيباً وتقل في فيه فضل ثمانية عشر يوماً لا يستطعم فيها طعاماً ولا شرباً من أجل تلك التقلّة وبركتها. تُوفي بحلب سنة (٣٧٤ هـ = ٩٨٤ م)، وكان مولده في سنة (٣٣٥ هـ = ٩٤٦ م) ودفن بميفارقين. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ٢٩٥، وابن نباتة (عبد الرحيم بن محمد ت ٣٧٤ هـ): ديوان خطب ابن نباتة، تح: ياسر محمد خير المقداد، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ط ١، ص ١٦، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٧٣، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٣٩٧.

(٢) انظر: العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ت ٧٤٩ هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط ١، ١٤٢٣ هـ، ج ٩، ص ٤٦٤.

(٣) الخليفة أبو العباس: أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستجد بالله يوسف بن المقتفي محمد ابن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي الهاشمي العباسي البغدادي، وكانت أم الناصر أم ولد تركية اسمها زمرد خاتون جلبها الجلابون من بلاد الترك الشرقية إلى أن استقر بها المقام في دار الخلافة إذ أصبحت جارية الخليفة المستضيء بأمر الله ثم اعتقها وتزوجها. انظر: الصلابي (علي محمد محمد): الأيوبيون بعد صلاح الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ١، ج ١، ص ٣٧٢، وابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ج ٣، ص ٢٣٥، وابن الساعي: تاريخ ابن الساعي، ص ٣١٤.

بك أضحي جيد الزمان محلي
لا يجاريك في نجاريك خلق
عشت تحيي ما قد أميت من الفضل
ولد الشيخ أبو البقاء المذكور^(٢) في سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة وتوفي في شهر ربيع الأول،
وقيل: في ليلة الأحد ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة هذه السنة ببغداد ودُفِنَ بباب حرب
رحمه الله تعالى.

العُكْبَرِي بضم العين المهملة، وسكون الكاف، وفتح الباء الموحدة، وبعدها راء هذه النسبة إلى
عُكْبَرَا،^(٣) وهي بلدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ^(٤)، خرج منها جماعة من العلماء والله
أعلم.

علي بن المحدث بهاء الدين القاسم^(٥) بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر الدمشقي، ويُكنى أبا
القاسم، سمع الحديث بدمشق من والده وخلق كثير، وسمع بمكة والمدينة وحلب والجزيرة،
وخراسان، وغيرها من البلاد، وُلِدَ في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمسمئة، وتوفي في

(١) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٤٨٢، وابن الدميّاطي (أحمد بن أيّك بن عبد الله الحسيني
ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٠٤.

(٢) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ٢٧٠، والمنذري (زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي
ت ٦٥٦هـ): التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد معروف، مطبعة الآداب في النجف ١٣٩١هـ / ١٩٧١م،
ج ٤، ص ٣٧٩، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ص ٣٢٢، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٨٥.
(٣) عكبرا: مدينة صغيرة على شرق دجلة بين بغداد والموصل. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٦،
ص ٢٥٨.

(٤) الفرسخ: يُعادل ٣ ميل أي ٥٥٤٤ متر.

(٥) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ٢٨١-٢٨٢، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٨٠، وأبو
شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٨٤، وقد ذكر ترجمته ضمن سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م وابن خلكان:
وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣١١، وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٥٥ واسمه عنده "أبو
الحسن علي بن القاسم بن الحسن الدمشقي الحافظ بن الحافظ بن الحافظ المعروف بابن عساكر"، وابن الوردي:
تنمة المختصر، ج ٢، ص ٢٠٦، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٤، ص ٣٨٤-٣٨٥.

الثالث عشر من جمادى الأول سنة ست عشرة هذه السنة [٤-و] ببغداد بعد عودته من الرحلة من خُراسان^(١)، ودُفن من يومه بمقبرة الشونيزية^(٢).

علي بن إسماعيل بن علي بن حسن بن عطية الصنهاجي^(٣) التلكاتي الأبياري، يُكنى أبا الحسن نزيل الإسكندرية، الفقيه المالكي المذهب، سمع بالإسكندرية من الفقيه أبي الطاهر بن عوف، ومن أبي القاسم مخلوف بن علي المعروف بابن جاره، وحدث وَتَقَّه بالإسكندرية على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، على الفقيه أبي الطاهر بن عوف وغيره ، ودرس بالمدرسة المعروفة بالزكي التاجر^(٤)، وله تصانيف. ولد بأبيار من الديار المصرية في سنة سبع وخمسين وخمسمئة تقديراً، وتوفي في السادس من شهر رمضان سنة ست عشرة هذه السنة بـثغر الإسكندرية.

أَبْيَازُ بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وبعدها ياء مثناة من تحتها وبعد الألف راء مهملة بلدة مشهورة بغربي الفسطاط بالديار المصرية.

(١) وردت [من أثر جراحات من الحرامية] . انظر: الذهبي في تاريخ الإسلام ، (الورقة ٢٢٩ باريس ١٥٨٢).

(٢) وردت ترجمتها عند ابن شمائل (عبد المؤمن بن عبد الحق): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٨٢١.

(٣) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٢٨٠، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج٤، ص٤٠٩.

(٤) انظر: شذرات الذهب، ج٥، ص١٠٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١١٦، والذهبي: العبر،

عز بن فضائل بن عثمان المصري وفاة^(١) الشيخ الناسخ سمع الحديث من أبي الحسن علي ابن محمد بن رستم الخراساني^(٢) الشاعر المشهور، وعُرف بابن الساعاتي. توفي في الحادي عشر من شهر رمضان سنة ست عشرة هذه السنة بمصر رحمه الله تعالى.

عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي الدمشقي وفاة،^(٣) يُكنى أبا بكر نزيل دمشق كان مشهوراً بالصلاح، وانتفع به جماعة من الفقهاء، وُلد على ما قيل في سنة ست عشرة وخمسمئة، وتوفي في سنة ست عشرة هذه السنة بدمشق ودُفن بمقابر الصوفية.

محمد بن أحمد بن علي بن محمد الغنبري الواسطي^(٤)، ويُكنى أبا شجاع ويُعرف بابن دواس القنا، الأديب الشاعر كان اسمه مقاتلاً، فغيّره بمحمد، وُلد في سنة أربع وخمسين وخمسمئة، وتوفي في ليلة سلخ شعبان سنة ستة عشرة هذه السنة بواسط رحمه الله تعالى [٤-ظ].

(١) انظر: المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٤، ص ٤١١، ٤١٢، وأبو المعالي (ركن الدين الملقب بإمام الحرمين ت: ٤٧٨هـ): نهاية المطلب في دراية المذهب عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تح: عبد العظيم محمود الديب، دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ج ٢، ص ٦٩.

(٢) علي بن محمد رستم الخراساني: بهاء الدين أبو الحسن بن الساعاتي الشاعر صاحب "الديوان" المشهور. شاعر محسن فائق النظم لطيف المعاني، ولد بدمشق في حدود سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة. وكان أبوه يعمل الساعات بدمشق فبرع هو في الشعر ومدح الملوك، وسكن مصر. وروى عنه من شعره جماعة منهم: الشهاب القوسي وغيره. وهو أخو الطيب العلامة فخر الدين رضوان، وله "ديوان" منتخب، و"ديوان" كبير في مجلدتين. توفي في رمضان. ذكره المنذري وابن خلكان. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٣٤٢.

(٣) عتيق بن أحمد بن عبد الباقي. الزاهد الصالح أبو بكر الأندلسي اللورقي نزيل دمشق. شيخ معمر يقال: إنه عاش مئة سنة. صحب الزهاد وتآدب بأدابهم وانتفع به جماعة صحبوه. وقبره بمقابر الصوفية على الطريق وهو حجر نحت عليه تاريخ وفاته. ذكر وفاته المنذري. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٤٨٣، التلمساني) شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ ت ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ٢، ج ٢، ١٩٩٧م، ص ١٥، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٥، ص ١١٥.

(٤) قرأ الأدب على الكمال أبي البركات الأنباري وأبي الحسن علي بن العصار، وانقطع إلى الشيخ مصدق بن شبيب وبرع في العربية وحَدَّث بواسط وله شعر حسن توفي في سلخ شعبان. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٤٨٥، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٤، ص ٤٠٧.

محمد بن عبد المحسن ^(١) بن محمد بن منصور بن خلف الأنصاري الأوسي الكفرطابي الأصل،
الدمشقي المولد، يُكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن الرِّفاء الفقيه الشافعي المذهب تَقَّه على مذهب
الإمام الشافعي رضي الله عنه، وولي القضاء والأوقاف بحماه، وولي أيضاً قضاء بارين؛ قلعة
من أعمال حماه، وله شعر حسن ^(٢)، وُلد في الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ست
وستين وخمسمئة بدمشق.

وتوفي في الحادي والعشرين من شعبان المحرم سنة ست عشرة هذه السنة ببارين ^(٣) رحمه الله
تعالى.

المبارز بن خُطْلخ الحلبي العزيزي ^(٤) أحد أمراء الدولة المشهورين، كان قد تقدّم في الأيام
العزيزية ^(٥) كثيراً بالديار المصرية، ثم خرج من مصر إلى الشام، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى

(١) عاش خمسين سنة روى عنه ولده ذكر الذهبي أنه توفي في الحادي والعشرين من شعبان المحرم بينما ذكر
المنذري أنه توفي في الحادي والعشرين من شهر رمضان. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ٢٨٨، والمنذري:
التكملة لوفيات النقلة، ج ٤، ص ٤١٢-٤١٣، والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٢٦-٢٨.

(٢) ذكر الصفدي منه: كأنّ الهلال هلال السما. . . وقد لاح في قمص من سواد حبيب أمات بهجرانه. . .
محباً وداري بلبس الحداد انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ٣١.
(٣) بارين: بكسر الراء وياء ساكنة والنون، والعامة تقول بعرين: قلعة ومدينة بين حلب وحماة من جهة الغرب
وتُعد من أعمال حماة انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٢٠-٣٢١، وشيخ الربوة أبي طالب
الأنصاري (شمس الدين أبو عبد الله محمد): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية،
١٨٦٥م، ص ١٩٧.

(٤) من كبراء الأمراء العزيزية في دولة الملك العزيز صاحب مصر ثم قدم مصر فأقام فيها مدة ثم عاد إلى
مصر عند نزول الفرنج على دمياط توفي في ذي الحجة انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ٢٩١، وابن واصل:
مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٣-٣٢، والصلابي: الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج ١، ص ١٦٩، والمنذري:
التكملة لوفيات النقلة، ج ٤، ص ٤٢٣.

(٥) المدرسة العزيزية: تقع شرقي التربة الصلاحية بالكلاسة بجانب الجامع الأموي من جهة الشمال تنسب إلى
بانيها الملك العزيز عثمان ت ٥٩٥هـ ١١٩٨م ابن صلاح الدين، وكان أول من أسسها أخيه الملك الأفضل ثم

مصر في النجدة عند نزول العدو من الفرنج على بحر دمياط المحروس، وبقي بها إلى أن توفي في السادس من ذي الحجة سنة ستة عشرة هذه السنة رحمه الله تعالى في نوبة شرف الدين بن شيخ الإسلام عفا الله عنه آمين [٥-و].

ملكة خاتون^(١) بنت الملك العادل سيف الدين بن أبي بكر محمد بن نجم الدين أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبيَّة تلَقَّب عصمة الدين أخت الملك الكامل صاحب الديار المصرية، والده الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور صاحب حماة لمَّا سافر الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور صاحب حماه إلى الديار المصرية نجدة لخاله الملك الكامل صاحب مصر كما قدمنا شرحه^(٢) توفيت والدته عصمة الدين ملكة خاتون^(٣) في

= أتمها هو فنسبت إليه. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٢٠٦، والنعمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٢٩٠، وابن طولون: قضاة دمشق، ص ٥٦.

(١) ست الشام خاتون: أخت السلطان الملك العادل واقعة المدرستين، فدفنت بالبرانية كانت سيدة الملكات في عصرها كثيرة البر والصدقات وكان بابها ملجأ كل قاصد في حاجة إلى الدولة، ووقفت على المدرستين أوقافا كثيرة عامرة توفيت في سادس عشر ذي القعدة. انظر: المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٤، ص ٤٢١-٤٢٢، وأبي الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج ٢، ص ٣٧٩، والذهبي: تاريخ الإسلام، ص ٢٦٧-٢٦٨، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٠٧، ج ٢، ص ٤٨٠، ج ٣، ص ٢٤٤-٢٤٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٩-٨٠، والنويري: نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٩٦-٩٧، والنسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٩٩، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٤، ص ٤٢١-٤٢٢، وأبي شامة: ذيل الروضتين، ص ١١٩، وشذرات الذهب، ج ٥، ص ٦٧، وسبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م): مرآة الزمان، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، ج ٨، ص ٦٠٦، ٦٠٧، والعيني: عقد الجمان، ج ١٧، ص ٤٠٠.

(٢) الحملة الصليبية الخامسة: (١٢١٦ - ١٢٢١م). وكانت مؤلفة من ألمان ومجر حيث دعا إليها البابا هونوريوس الثالث وكان هدفها الاستيلاء على مصر، واستولى الصليبيون خلالها على دمياط، ولكنهم لم يلبثوا أن أخلوها وانتهت الحملة بالإخفاق، وقد خلد أولفر أعمال الحملة الصليبية الخامسة في كتاب أطلق عليه "تاريخ دمياط"، وبدأ البابا ينشر خططه العزيزة عليه للدعوة إلى حملة صليبية جديدة انظر: زكار (سهيل): الموسوعة الشامية، ج ٣٣، ص ١٣-١٤، وكرد علي (محمد بن عبد الرزاق بن محمد ت ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م): خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط ٣، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ج ٢، ص ٧٩.

(٣) خاتون: لفظ تركي معناه سيدة ويُستعمل في الغالب في معاني التبجيل والاحترام.

هذه السنة، حزن عليها زوجها الملك المنصور حزناً عظيماً، ولبس الحداد وأمر بصعود أكابر حماه إلى القلعة المحروسة، فصلّوا عليها وجعل الملك المنصور عزاءها بالمدرسة المنصورية^(١)، وجلس عن يمينه المحراب، وعليه الكآبة والحزن العظيم^(٢) وهو لابس الحداد ثوباً أزرق، وعمامة وعمامة زرقاء، وإلى جانبه ولده الملك الناصر صلاح الدين قليج أرسلان، وعليه أيضاً الحداد وإلى جانب الملك الناصر أخوته من الخاتون، ويليهم أخوته من الحظايا، وعليهم جميعهم الحداد، وقرأت القراء بين يدي الملك المنصور، ووعظت الوعاظ، وأنشدت الشعراء المراثي، وكان قد اقترح عليهم أن ينظموا المراثي على وزن قصيدة لأبي العلاء المعري ورويتها التي أولها:

يا ساهر البرق أيقظ راقداً السَّمرِ لعلَّ بالجرعِ أعواناً على السَّهر^(٣)
فعمل كل منهم قصيدة على هذا الوزن والروي، وأجود قصيدة عملت قصيدة حسام الدين الكردي^(٤)، خوشترين بن تليل؛ وهو جندي كردي، وكان شاعر مجيداً، غير أنه كان أكن لحانا^(٥).

(١) [المدرسة التقوية] انظر: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٥.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤، ص ٧، ٦٥، وتاريخ أبي الفداء، ج ٢، ص ٣٩٧، والمختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٢٤، وابن فضل الله العمري: مسالك الأبيصار في ممالك الأمصار، ج ٢٧، ص ٢٣٨.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ٦٥، و شروح سقط الزند السفر الثاني، القسم الأول، ص ١١٤.

(٤) ورد في مفرج الكروب " حسام الدين خوشترين بن تليل " وهو جندي كردي من أمراء الخليفة سيّره الخليفة إلى إلى همذان فلم يتم له أمر، واختلف أصحابه عليه فاستحيا أن يعود إلى بغداد، وسار إلى الشام فمرض بها ثم مات سنة ٥٩٤ هـ ١١٩٧ م، وكان شاعراً مجيداً غير أنه كان لحاناً. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٦، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٤٥.

(٥) اللحن. لقد أقر علماء العربية بوجود خلاف بين القبائل المتكلمة بلهجات عربية شمالية، وقد أشرت إلى مواضع ذكرها في هذا الباب، وكشف علماء النحو عن خلاف في قواعد النحو في مثل اختلاف القبائل في =

فإذا نظم أجاد وأحسن، ووصف لبس الملك المنصور في الحداد^(١)، وأبدع في المعنى.

ومطلع القصيدة: [البحر البسيط]^(٢)

الطرف في لجة، والقلب في سعر	له دخان زفير طار بالشرر
ظلمت ما بين إنكار ومعرفة	أقلب الطرف بين الخبر والخبر
حتّى رأيتُ نجومًا أطلعت شفقا	على شمس وجوه في دجى شعر
من كل بيضاء خود خلته جمدت	من السكينة أو ذابت من الخفر
ما كنت أعلم أنّ الخطب متصل	بأفضل الناس من أنثى ومن ذكر
أباد ألفا من الدنيا بواحدة	شلت يدها فما أمضاه في العير ^(٣)
فليفل الدهر بي ما شاء بعدهم	ها قد أمنت فلا ألوى على حذر
فقل لمن راح يرجو طيف من ظعنوا	لما غدا الطرف موقوفا على السهر
ناشدتك الله لا تنسى الوداد فقد	بانست سعاد وهذا آخر الخبر
لم يبق يخفق قلب بعدما ظننت	ألا وفيه لها بيت والفجر

=التذكير والتأنيث كما في مثل الطريق والسوق والسييل والتمر فهي ألفاظ مؤنثة عند أهل الحجاز وهي مذكورة عند قبائل أخرى وكشفوا عن أمور أخرى إن تكلم المتكلم أو كتب بها عدّ صدور ذلك لحناً منه فهل يعد العربي المتكلم بلهجة من هذه اللهجات المخالفة مخالفاً لقواعد العربية؛ أي لحنًا انظر: علي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، ط٤، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج١٧، ص١٧.

(١) انظر: أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ١، وص ٣٩٤، العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٢٧، ص ٢٣٨، والكندي (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين ابن الوردي المعري): تاريخ ابن الوردي الناشر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٣٦.

(٢) انظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٢٧، ص ٢٣٨ ووردت الأبيات عند ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٦-٦٧، وأبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط١، ج ١٣، ص ٢٤.

(٣) العير السيد والملك وعير القوم سيدهم . انظر ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ٣٠٠.

وفيها: [٥-ظ] [البحر البسيط]

ما كنت أعلم أن الشمس قد غربت
حتى رأيت الدجى ملقى على القمر^(١)
فقلت: (٢)

قل للغزاة أيُّ الروع تفرها
ملك على كل خطب جلّ أصغره
وراح من دونها للطعن أسد شرى
صيد إذا شهروا أسيافهم كتبوا
أين التباغة الصّيد الإلى هدروا
ورثاها السلطان الملك المنصور صاحب حماء زوجها من قصائد من جملتها قصيدة فيها: (٣)

وكنيت بعصمة الدين المهني
فصرت بها المعزى من جميع الجهات
ولم أك للحداد أخا لباس
ولكني أذبت سواد عيني
ومنها: (٤)

وها أنا منك في أصفاد حزن
وأبكى كلما غنى حمام
وتبكي الصالحات عليك حزنا
لغير سماع نوح لا أواتي^(٥)
وأندب في العشية والغداة
بكاء الأمهات على البنات

(١) انظر: ابن كثير: المختصر في أخبار البشر، ج ١، ص ٣٩٥ ووردت عند ابن واصل: مفرج الكروب من قصيدة طويلة.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٦-٦٧.

(٣) انظر الصلابي: الأيوبيون بعد صلاح الدين، ط ١، ص ٣١٢.

(٤) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٨-٦٩.

(٥) وردت [لا أو اتى] انظر: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٩.

فلا كنّ الليالي إذ أرتني سراك إلى ذراك بلا أناة (٦-و)
ولا كان الحمام فكل شمل به متجرع كأس الشتات^(١)

ذكر الحوادث في سنة سبعة عشرة وستمئة

دخلت هذه السنة والفرنج-لعن الله من قضى منهم، وخذل من بقي منهم-متملكون لثغر دمياط،
والملك الكامل في مقابلهم محارب لهم، مُجدّ في قتالهم، ورُسله متواصلة إلى الملوك لاستدعاء
النجدة، ثم كان ما سنذكره إن شاء الله تعالى^(٢).

"ذكر استيلاء التتار-لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم-على سمرقند^(٣) وما فعلوه

بأهل الإسلام"

لما ملك التتار - لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم - بخارى^(٤)، وفعلوا ما قدمنا
شرحه توجهوا إلى سمرقند، واصطحبوا معهم من أهل بخارى أسارى مشاة، ومن عجز عن
المشي قتلوه، ووصلوا إلى سمرقند، وأحاطوا بها خمسون ألفاً من الجند ومن العامة ما لا
يحصى كثرة، فخرج إلى قتالهم شجعان البلد، ولم يخرج معهم أحد من العسكر لما دأخلهم من
الرعب، فقاتلهم هؤلاء الذين خرجوا، واندفعت التتر بين أيديهم وهم يتبعونهم، وأكملت التتر لهم
كمينا، فلما تجاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوه عن آخرهم، فضعفت

(١) وردت الستات انظر: مفرج الكروب، ج٤، ص٦٩.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص٧٠.

(٣) مدينة سَمَرْقَنْد: من أهم بلدان ما وراء النهر، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان مادة سمرقند، ج٥،

ص٧٩.

(٤) مدينة بخارى: حاضرة بلاد ما وراء النهر انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان مادة بخارى، ج٥، ص٧.

نفوس من بالبلد من الجند فطلبوا الأمان من التتر طمعاً في أن يسلموا؛ لكونهم من الترك فأعطاهم التتار الأمان ففتحوا لهم الأبواب، وخرجوا إليهم بأهلهم وأموالهم، فقال لهم التتر: ادفعوا إلينا سلاحكم وأموالكم ودوابكم ونحن نسيركم إلى مأمنكم ففعلوا ذلك، فلما أخذوا ذلك منهم قتلوه عن آخرهم، [٦ظ] وفي اليوم الرابع نادوا في البلد ليخرج أهله بأجمعهم ومن تأخر قُتل، فخرج الجميع ففعل التتر بهم فعلهم بأهل بخارى بذلوا فيهم السيف، وسبوا النساء والذرية، وارتكبوا من النساء العظائم، ورجالهم ينظرون ولا يستطيعون الدفع، ثم أحرقوا البلد وجامعه، وكان ذلك في شهر الله المحرم من شهور هذه السنة، هذا كله والسلطان علاء الدين الخوارزمي مقيم بمنزلته .

وكُلِّما اجتمع عنده^(١) عسكر سيره إلى سمرقند فيرجعون ولا يقدر على الوصول إليه^(٢).

(١) يُقال أنّ جنكيز خان قد سوى مدينة بخارى بالأرض، ونقل كل صنّاعها المهرة لاسيما منهم نسّاجي الحرير والقطن وألحقهم بخدمة أقربائهم كما أنه نقل عمال البساتين المهرة من أهل سمرقند ليزينوا عاصمة المغول على نمط منتزهات سمرقند. انظر: سليمان أحمد عبد الكريم: المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس دار النهضة، ط١، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٤.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٤٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤١.

ذكر لقتال التتر السلطان علاء الدين الخوارزمي^(١) وهزيمته منهم، وبعض شؤونه، ووفاته

لما ملك التتار سمرقند كما قدمنا شرحه سِيرَ الملك جنكيز خان ملك التتار عشرين ألفاً من التتار، وأمرهم بطلب السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن خان^(٢)، وتُسمى هذه الطائفة عندهم المغربة^(٣)؛ لأنهم ساروا غربي خراسان، وأوغلوا في البلاد الإسلامية كما سنذكره أن شاء الله تعالى، فقصدوا أولاً مكاناً يسمى بنج آب^(٤) ومعناه خمسة مياه، فلما وصلوا إليه لم يجدوا سفينة تجيزهم نهر جيحون^(٥) فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار لئلا يدخلها الماء. ووضعوا فيها سلاحهم، وأمتعتهم وألقوا الخيل في الماء وتعلّقوا بأذناب خيلهم، وشدّوا تلك الحياض إلى أنفسهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض فعبروا كلهم دفعة واحدة كأنهم شياطين [٧-و]، ولم يشعر السلطان خوارزم شاه علاء الدين إلاّ وهم معه على أرض

(١) محمد بن محمود علاء الدين الترجماني المكيّ الخوارزمي: فقيه حنفي، مات في جرجانية خوارزم. انظر:

الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس): الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج ٧، ص ٨٦.

(٢) الشُّطْرَانُ علاء الدين خوارزم شاه بن تكش بن ألب رسلان وهو من قادة المسلمين الكبار كان عالماً بالفقه والأصول محباً للعلماء من أهل العبادة والزهد، وكان يحب أهل الدين من ولد طاهر بن الحسين وهو صاحب خوارزم وبعض بلاد خراسان والري وغيرها من الأقاليم المتسعة، وهو الذي قَطَعَ دَوْلَةَ السلاجقة، وكان عادلاً حسن السيرة له مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْمُوسِيقَى حَسَنَ الْمُعَاشَرَةِ فَقِيهاً عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ وَيَعْرِفُ الْأُصُولَ، انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ج ١٣، ص ٢٢ =

وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٣٤-٣٣٥، والذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ٥٠-٥١، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٧٦، وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٥٣، وابن سباط: صدق الأخبار، ج ١، ص ٢٧٤.

(٣) يقصد ابن واصل بالطائفة المغربة: طائفة التتر التي سارت غربي خراسان، انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٥٧.

(٤) وذكر ياقوت الحموي (معجم البلدان) وابن عبد الحق البغدادي (مراصد) قرية تسمى بنج من نواحي سمرقند وخمس قرى متقاربة تسمى بنج ديه من نواحي مرو الروذ بخراسان.

(٥) جَيْحُونُ: بالفتح وهو الآن نهر أموداريا انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان - مادة جيحون، ج ٢، ص ١٩٦، ج ٢، ص ٣٥٠.

واحدة^(١)، فولّى منهزماً لا يقوى على شيء، وتفرق أصحابه أيادي سبأ^(٢)، وذهب كل فريق إلى جهة، خذلانا من الله تعالى وقصد السلطان علاء الدين خوارزم شاه، مدينة نيسابور^(٣) فاجتمع إليه بها بعض العسكر.

فلم يشعر إلا وأوائل التتار قد وصلوا إليه فرحل من بين أيديهم منهزماً إلى ما زندران^(٤). فرحل التتار في أثره طالبين له فكان كلما رحل من منزلة نزلوها، ووصل السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد إلى الري، وهي من عراق العجم، ثم منها إلى همذان، والتتار في أثره، ففارقها في نفر يسير لينكتم خبره، وعاد إلى ما زندران، ثم قصد مرسى على بحر طبرستان^(٥) تُعرف بآب سكون^(٦).

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤٢.

(٢) مثل كانت العرب تضربه في سبأ فتقول: تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٩٤.

(٣) نيسابور: وهي إحدى المدن الأربع التي هي قواعد خراسان، ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فاكهتها وبساتينها ومياهها وحسنها، وتخرقها أربعة من الأنهار وأسواقها حسنة متسعة ومسجدها بديع وهو في وسط السوق ويله أربع من المدارس يجري بها الماء الغزير، وفيها من الطلبة خلق كثير يقرأون القرآن والفقه وهي من حسان مدارس تلك البلاد. انظر: ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧، ج ٣، ص ٥٦، والدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٥٤ وما بعدها.

(٤) مدينة مازندران: بعد الزاي نون ساكنة ودال مهملة، وراء وآخره نون: اسم لولاية طبرستان، وهو إقليم واقع في شمالي مرتفعات البرز ويشرف على بحر قزوين. والمنطقة الجبلية التي تحيط بجنوب بحر الخزر (قزوين) تضم بلدانا واسعة وحصونا كثيرة من أعيان مدنها آمل، وهي قاعدة المنطقة وتعرف الجبال التي تمتد حولها بجبال ألبرز، ويطلق على طبرستان اسم (مازندران) أيضا، وكانا اسمان مترادفين. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١، وبلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٠٩.

(٥) بحر طبرستان: بَحْرُ الْخَزَرِ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٢، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ت ٩١١هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ١٣.

(٦) أَبْسُكُونُ: بفتح الهمزة وسكون الألف وفتح الباء الموحدة والسين المهملة ساكنة وكاف مضمومة وواو ساكنة ونون ورواه بعضهم بهمزة بعدها باء ليس بينهما ألف وقد ذكر في موضعه: بليدة على ساحل بحر طبرستان=

فنزل في السفن، ومضى إلى قلعة له في البحر فاعتصم بها،^(١) وكان السلطان علاء الدين محمد يُعرف بخوارزم شاه، وكل من ولى من بيته السلطة يدعى بخوارزم شاه، علماً ككسرى وقيصر، وكان علاء الدين ملكاً جليلاً عظيم المقدار، غزير الفضل، يحب العلماء، ويعظمهم جداً، وكان قد اعتنى بالإمام فخر الدين بن خطيب الري صاحب التصانيف البديعة. والعلوم الجمّة، وكان ينزل إلى داره ماشياً، ويجلس بين يديه، ويتعلم العلم منه، وكانت مملكته من حد العراق إلى تركستان^(٢) من بلاد الترك مُضافاً إلى مُلك غزنة وبعض الهند وسجستان^(٣) وكرمان^(٤)، وطبرستان^(٥) وغير ذلك من الممالك.

وبالجملة لم يملك أحد بعد انقراض دولة السلجوقية مثله، غير أن السعادة أدبرت عنه وزال بزواله [٧-ظ] مُلك الملة الإسلامية في جميع هذه الممالك، فسبحان من لا يزول مُلكه، ولما

=بينها وبين جرجان ثلاثة أيام وإليها ينسب بحر أبسكون. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩٤ وجرجان: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان، يعدّها بعضهم من أعمال طبرستان وبعضهم يعدها من أعمال خراسان، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩-١٢٢.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠، ص ٣٤٢.

(٢) تركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣.

(٣) سجستان: بكسر أوله وثانيه وسين أخرى مهملة وتاء مثناة من فوق وآخره نون: وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة جنوبي هراة بين الهند والسند وخراسان أرضها سبخة رملية ومدينتها العظمى بست ذهب بعضهم إلى أن سجستان اسم للناحية وأن اسم مدينتها زرنج وبينها وبين هراة عشرة أيام وثمانون فرسخاً وهي جنوبي هراة والرياح فيها لا تسكن أبداً ولا تزال شديدة تدير رحيهم وطحنهم كلّ على تلك الرحى. وطول سجستان أربع وستون درجة وربع، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وسدس، وهي من الإقليم الثالث انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٠، والقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١، ص ٢٠١، واليعقوبي: البلدان، ص ٥٨. وبست: مدينة بين سجستان وغزنة وهراة انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٧٠.

(٤) كرمان: ناحية مشهورة شرقها مكران وغربها فارس وشمالها خراسان وجنوبها بحر فارس. انظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١، ص ٢٤٧.

(٥) طبرستان: بلاد معروفة وواسعة بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل والعجم يقولون مازندران انظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١، ص ٤٠٣، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣.

وصل السلطان علاء الدين خوارزم شاه إلى هذه القلعة واعتصم بها أدركه أجله فتوفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ذكر استيلاء التتار على ما زندران

لما ملك التتار الري وفعلوا ما قدمنا شرحه، فدخلوها مسرعين يطلبون السلطان علاء الدين خوارزم شاه فقصدوا ما زندران، فملكوها مع صعوبة مسالكها وحصانتها، وأن المسلمين في أول الإسلام لما ملكوا بلاد العجم لم يقدروا على دخولها وقنعوا من أهلها بالجزية، إلى أن ملكت في خلافة أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي^(١)، وهؤلاء التتار الملاعين ملكوها في أسرع وقت، وقتلوا بها، وسبوا وأخربوا البلاد، وقتلوا العباد، فإننا لله وإن إليه راجعون.

ذكر استيلاء التتار على الري^(٢)

لما ملك التتار -لعن الله من قضى منهم، وخذل من بقي منهم، ما زندران، وفعلوا ما قدمنا شرحه، وسلخوا نحو الري، فرأوا في الطريق والدة السلطان علاء الدين بن خوارزم شاه، وكانت

(١) وهو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أبو أيوب. كان مولده بالمدينة في بنى جذيلة، ونشأ بالشام عند أبيه وروى الحديث عن أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الإفك رواه ابن عساکر من طريق ابنه عبد الواحد ابن سليمان عنه انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٠١.

(٢) مدينة الري: بفتح أوله وتشديد ثانيه وهي الآن ضاحية لمدينة طهران انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٦، وج ٢، ص ٨٩٢.

قاصدة أصبهان^(١) وهمذان، لما بلغها ما جرى على ولدها فأخذوا ما معها، ووجدوا معها من المتاع ونفائس الجواهر ما ملأ أعينهم، وسيروا الجميع إلى ملكهم جنكيز خان، وهو نازل بسمرقند، ثم وصل هؤلاء إلى الري، وقد انضاف إليهم من عساكر المسلمين والكفار والمفسدين خلق كثير، فملكوا الري ونهبوا وسبوا وقتلوا.

ذكر استيلاء التتار على همذان^(٢) وما فعلوه في طريقهم

لما ملك التتار الري وفعلوا ما قدمنا شرحه [٨-٩] فارقوها، ومضوا مسرعين يطلبون السلطان علاء الدين خوارزم شاه؛ لأنهم لم يعرفوا له خبراً، فلم يَمروا بقرية إلا أحرقوها وقتلوا أهلها، وسبوا نساءهم وذريتهم، وتركوا كل ما في طريقهم، قائماً صفصفاً، ثم قصدوا همذان، فلما قاربوها خرج رئيسها إليهم بالجند والأموال والثياب والدواب وغير ذلك، وطلب الأمان لأهل بلده فأمنوهم، وتركوا لهم بها شحنة، ثم قصدوا زنجان^(٣) فملكوها وقتلوا من فيها.

(١) أصْبَهَانُ: بفتح وكسر الهمزة والفتح أكثر، مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها وتُعرف الآن بشهرستان، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان مادة أصفهان، ج ١، ص ٢٠٦، ٥٩٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢١٩.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) انظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ط ٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج ٨، ص ٦١٠.

ذكر ما آل إليه أمر الأمير عماد الدين بن المشطوب^(١) بعد نفيه من الديار المصرية

لما نفى الأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب من الديار المصرية كما قدّمنا شرحه، وقدم إلى حماه وأقام بها أياما عند صاحبها السلطان الملك المنصور، ثم حدّثته نفسه بالفساد، وأنه يملك بعض الأطراف، ويتغلب عليه لما يعلمه من شجاعته، وانقياد أكثر الأكراد الهكارية^(٢) ^(٣) وغيرهم إليه، لما يتحققونه من كرمه وبذله فخرج من حماه.

وصحبه القاضي نجم الدين أبو البركات عبد الرحمن بن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون^(٤) الذي كان قاضي حماه، وحسّن له عماد الدين أن يصبح له يحكمه فيما يملكه من

(١) ابن المشطوب: هو عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وكان مقدما عظيما في الأكراد الهكارية وهو أكبر أمير بمصر وله لفيف كثير وجميع الأمراء ينقادون إليه ويطيعونه لا سيما الأكراد توفي سنة ٦١٩هـ / ١٢٤١م توفي سنة ٦١٩هـ / ١٢٤١م (بقية أخباره في سنة ٦١٧هـ / ١٢٣٩م انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٠٦، ابن كثير: البداية والنهاية، تح علي شيري إحياء التراث العربي، ج ١٣، ص ٩٦.

(٢) الهكارية: بلدة وقلعة فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم: الهكارية انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٠٨.

(٣) طائفة من الأكراد الهكارية تقطن في المنطقة المعروفة بهكاري إلى الشمال في نهر الخابور الذي يصب في أعالي دجلة، وكانت قلعة أشب مركزهم الرئيسي وتنتشر حولها عدة قرى زراعية ترتبط بها وتؤمن لها التموين الغذائي انظر: الصلابي: السلطان الشهيد عماد الدين زنكي شخصيته وعصره مؤسسة، اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ج ١، ص ٨٣.

(٤) القاضي شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون أحد أئمة الشافعية له كتاب " الإنصار " وقد ولي قضاء القضاة بدمشق ثم أضر قبل موته بعشر سنين، فجعل ولده محيي الدين مكانه تطيبا لقلبه وبلغ القاضي شرف الدين ثلاثا وتسعين سنة ونصفا ودفن بالمدرسة العسرونية التي أنشأها غربي سوق باب البريد قبالة داره بينهما عرض الطريق وكان من الصالحين والعلماء العاملين رحمته الله. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٦٠٩، والنعمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٥٣، وأبي شامة: الذيل على الروضتين، ج ٢، ص ١٥٠، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٥٥، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ١١٠.

البلاد، وأنه لا يخرج عن رأيه فسافر معه، وانضم إلى الأمير عماد الدين جماعة من المفسدين حتى صار في نحو ثمانمئة فارس^(١)، وألفي راجل استخدمهم من أهل الجبل والمعرفة^(٢) وغيرها، فراسله الملك الأشرف بن الملك العادل ليصل إليه، ويقطعه بعض البلاد، وكان الملك الأشرف نازلاً بظاهر حلب، فامتنع عماد الدين من الوصول إليه، وقصد جهة بلاد الروم. ووقع على جشار^(٣) حلب، فأخذ منه جملة، فركب الملك الأشرف في العسكر خلفه، وقطعوا عليه الطريق عند الساجور^(٤)، وطلب منه أن يخدمه، ويكون من جملة أصحابه فأجاب إلي ذلك، فأقطعه الملك الأشرف رأس عين^(٥) وسيّره إليها^(٦).

وقال صاحب نظم السلوك^(٧) في تاريخ الملوك ما صيغته دخلت سنة سبع عشرة وستمئة والمسلمون في المنصورة قبالة الفرنج والتحم القتال بينهم براً وبحراً^(٨).

(١) ذكر ابن نظيف في التاريخ المنصوري أنهم سبعمئة فارس.

(٢) معرة النعمان: بليدة بين حلب وحماة انظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١، ص ٢٧٢، وابن كثير: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية، ج ٢، ص ٣١٩ ومعرة مصرين: بليدة وكورة من نواحي حلب وتُعد من أعمالها انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٥.

(٣) الجشار: مكان رعي الماشية من خيل وغيرها انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٨ ص ٧، والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٤٩٠، حاشية ٢.

(٤) نهر الساجور. يصب من جبال الروم آخذاً شرقاً حتى يُحاذي مَنبج. ثم يصب في الفرات. ويتشعب منه شعب ولولاها لم يُذكر الساجور. وهو نهر يسمّى قُوق يمدّ من مغاربه إلى أن ينزل حلب. ويسقي الأرض والمزارع. ويتناها إلى شرقي قنسرين. انظر: العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ١، ص ٢١.

(٥) رأس عين: ويقال رأس العين كوباني حالياً انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣، وج ٢ ص ٧٢.

(٦) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ٧٧ - ٧٨.

(٧) صاحب نظم السلوك (المقريزي) ووردت الرواية عند المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦١.

(٨) ابن العميد: تاريخ الأيوبيين، ص ٧.

وقال: وفي هذه السنة اجتمع جماعة من الأمراء على أن يخلعوا الملك الكامل من السلطنة، ويولوها الملك الفائز^(١) أخاه وكان اجتماعهم من جهة الأمير عماد الدين بن المشطوب، فإنه كان أساس هذه الفتنة، ووافقه الأمير عز الدين الحميدي^(٢)، والأمير أسد الدين الهكاري^(٣)، والأمير مجاهد الدين^(٤)، وجماعة من الأمراء، فبلغ ذلك الملك الكامل، فركب وجاء إليهم ودخل ودخل عليهم وهم مجتمعون والمصحف قدامهم، وهم يستحلفون للملك الفائز،^(٥) ثم يحلفوا له فلما رأوا الملك الكامل [٢٢-و] تفللوا، وخرج بعضهم من تحت أذيال الخيمة، وأفكر الملك الكامل أنه غلَطَ في دخوله عليهم فخرج ومضى إلى خيمته، وسير إليهم الأموال وطيب نفوسهم، وزاد في أخبازهم وأنعم عليهم فطابت نفوسهم.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٨٧، وأبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٨٦، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٤٠١، والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٢٠٦، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٢) أبو بكر بن إلياس بن محمد بن سعيد بن محمد بن هارون. الفقيه المعمر الصالح عز الدين الحميدي الكردي الرسعني الحنبلي. روى عن: الفخر بن تيمية والمجد القزويني. سمع منه البرزالي وابن سيد الناس وابن حبيب وجماعة. وكان فقيهاً بالقاهرة بالمدرسة الصالحية وساكناً بمسجد في الشارع. فيه دين وورع وتوفي في السنة قبل رجب. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٦٠.

(٣) ابن واصل: مفرج الكرب، ج ٤، ص ١٦.

(٤) الأمير مجاهد الدين الوزيري: نزار بن مأمين الكردي أخذ مَقَدِّمِي جَيْشِ الشَّامِ قبل نُورِ الدِّينِ وَبَعْدَهُ، وَقَدْ نَابَ فِي مَدِينَةِ صَرْخَد، وكان شهماً شجاعاً كثير البر والصدقات وهو واقف المدرسة المجاهدية بالقرب من الغورية جوار الخيمين، وله أيضاً المدرسة المجاهدية داخل باب الفَرَادِيسِ الْبَرْزَانِيَّ وَبِهَا قَبْرُهُ. وَلَهُ السَّبْعُ الْمَجَاهِدِيُّ دَاخِلَ بَابِ الزِّيَادَةِ مِنَ الْجَامِعِ بِمَقْصُورَةِ الْخَضِرِ تَوَفَى بِدَارِهِ فِي صَفَرٍ مِنْهَا فَحُمِلَ إِلَى الْجَامِعِ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى مَدْرَسَتِهِ وَدُفِنَ بِهَا دَاخِلَ بَابِ الْفَرَادِيسِ، وتأسف الناس عليه. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٠٢.

(٥) يوجد اختلاف عند ابن كثير: البداية والنهاية ذكر أن أمر تنصيب الملك الفائز كان خدعة من الفرنج ليذهب الملك الكامل ويستولوا على المنطقة بلا متاعب أما عند ابن الفرات ذكر أنه صحيح وذهب الملك الكامل ووجدهم يحلفون اليمين بالولاء للملك الفائز.

وفي غضون ذلك وصل صاحب صفى الدين عبد الله بن شكر من آمد^(١) إلى خدمة السلطان الكامل، فإنه كان سير بعد وفاة أبيه طلبه، فحضر فركب السلطان وتلقاه وأكرمه واحترمه، ثم بعد ذلك استشاره في أمر الملك الفائز، فأشار أن يمضي إلى ملوك الشام والشرق ويطلبهم لنجدة السلطان على العدو فحسن هذا عند السلطان، وأصغى إليه، ثم عرف صاحب ما يحتاجه من النفقات والكلف بسبب العدو، فضمن صاحب تحصيل كلما يحتاج إليه وشرع في مصادرة أرباب الأموال من التجار والكتاب ، وقرّر على الأملاك مالا، وأحدث ابن شكر^(٢) حوادث كثيرة، وحصل أموالا كثيرة.

وقال وفيها سير السلطان الملك الكامل أخاه الملك الفائز إلى ملوك الشام والشرق يستتجدهم على العدو، ومضى ومات، ولم يعد إلى ديار مصر.

وقال وفيها وصل الملك المعظم شرف الدين عيسى^(٣) صاحب دمشق فعزّفه السلطان الملك الكامل ما اعتمده الأمير عماد الدين بن المشطوب والأمراء، وأن ابن المشطوب هو رأس الفتنة فاتفقوا على إخراجهم من البلاد فركب الملك المعظم وأخرج ابن المشطوب إلى الشام انتهى كلامه.

والأظهر أن ذلك كله كان قبل هذه السنة كما قدّمنا شرحه والله أعلم.

(١) آمد: وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا، وهو بلد قديم حصين ركين، فيه بساتين ويحيط به نهر كالسور انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٦٦.

(٢) ولد الوزير صفى الدين بن شكر سنة ٥٤٨هـ وتوفي سنة ٦٢٢هـ انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١٠٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٠٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٦٣، وابن شاکر الکتبی: فوات الوفيات، ج ١، ص ٢١٩، وابن عینین: دیوان ابن عینین، ص ٤٥.

(٣) انظر: الذهبي: العبر، ص ١٩٤، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١١٥، واليافعي: مرآة الجنان، ج ٤، ص ٥٧، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٦٩.

وفي هذه السنة كانت وفاة الحسن المنعوت بالجلال مقدّم الإسماعيلية، أتى بعده ولده محمد والله أعلم [٢٢-ظ].

وخرجت هذه السنة والفرنج متمكون لدمياط وقد طمعوا في ملك الديار المصرية، وعزموا على التّقدم إلى المسلمين ليدفعوهم عن منزلتهم، ويتملكون البلاد، وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى. وقال صاحب نظم السلوك ^(١) بما صيغته: وخرجت هذه السنة والفرنج قبالة المسلمين على رأس بحر أشموم ^(٢) ودمياط، وكانت الأسعار قد غلت، وبلغ القمح ثلاثة دنائير ^(٣) لكل إردب، فالله يحسن العاقبة، وحجّ بالناس في هذه السنة أمير الحاج العراقي من جهة الخليفة العباسي. ولمّا جرى ما قدمنا شرحه من استيلاء عماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان ^(٤) شاه الأتابكي على كواشي، وامتناع مظفر الدين بن نور الدين صاحب أربل ^(٥)، وعماد الدين المذكور، من ردها إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومكاتبة بدر الدين لؤلؤ [٩-ظ] الملك الأشرف مستجيراً به سار حينئذ الملك الأشرف من حلب في عساكره وعبر الفرات ونزل حرّان، هذا ما كان من الملك الأشرف.

(١) صاحب نظم السلوك هو المقرئ. انظر: المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٦٠.

(٢) أشموم: بلدة بمصر قرب دمياط، ويقال لها: " أشموم طنّاج" انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٠.

(٣) انظر: المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٦٠.

(٤) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤ ص ١٤٢، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣١٢-

٣٢٢، وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٥٢ وقد ذكر وفاته سنة ٦١٦هـ ١٢١٩م.

(٥) السلطان الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبرى بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني صاحب إربل وابن صاحبها ومُصَرِّها الملك زين الدين علي كوجك، وكوجك هو اللطيف القُد كان كوجك شهماً شجاعاً مهيباً تملك بلاداً كثيرة ثم وهبها لأولاد صاحب الموصل، وكان يوصف بقوة مفرطة وطال عمره وحج هو والأمير أسد الدين شيركوه بن شاذي وتوفي سنة ثلاثة وستين وخمس مئة. انظر: الصلابي: الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج ١، ص ٣١٤.

وأما ما كان من مظفر الدين صاحب أربل، فإنه راسل الأمراء الذين مع الملك الأشرف يستميلهم إليه ويفسدهم على الملك الأشرف، وراسل ملوك الأطراف يحسن لهم الخروج عليه، وكاتب صاحب ماردين^(١)، واستماله، وكذلك كاتب صاحب آمد فمالا إليه، فكان ممن أجاب مظفر الدين إلى ما طلب الأمير عماد الدين بن المشطوب لما في نفسه من الغدر والفساد، ووافق على ذلك الأمير عز الدين محمد ابن بدر الحميدي^(٢) وغيرهما، ففارق هؤلاء الملك الأشرف، ونزلوا بدنيسر^(٣) تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد، ويمنعوا الملك الأشرف من التوجه إلى الموصل ليساعد صاحبها بدر الدين لؤلؤ، فلما اجتمعوا هناك عاد صاحب آمد، وهو الملك الصالح نور الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان الأرتقي^(٤) إلى موافقة الملك الأشرف، واستقر الصلح بينهما، وسلم إليه الملك الأشرف حاني^(٥).

(١) قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة تشرف على دنيسر ودارا ونصيبين وفضاء واسع وأمامها ربض عظيم في أسواق كثيرة وخانات ومدارس وخانقاهات انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٦، والقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ص ٣٢٠، ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ص ٧٠، ابن البيبي (يحيى بن محمد): الأوامر العلانية في الأمور العلانية، ص ١٢٧.

(٣) دنيسر: بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٧٨.

(٤) صاحب آمد الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق، وكان شجاعاً محباً للعلماء وكان مضاجباً للأشرف موسى بن العادل جيئ إلى خدمته مراراً، وملك بعده ولده المسعود، وكان بخيلاً فاسقاً فأخذه معه الكامل وحبسه بمصر ثم أطلقه فأخذ أمواله وسار إلى التتار، فأخذته منه وردت ترجمته ضمن وفيات سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج ١٣، ص ١١٠، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣ ص ١٦٢، أبو شامة: الذيل على - الروضتين، ج ٥، ص ١٨٨-١٨٩، والنويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٩، ص ١١١، ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص ٩٣ وقد أورد ترجمته ضمن سنة ٦١٨ هـ ١٢٢١ م.

(٥) حاني: مدينة في ديار بكر انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٨.

وجبل جور^(١)، وضمن له أخذ دارا^(٢) وتسليمها إليه ولما فارقهم صاحب آمد، انحل أمرهم، واضطر بعض أولئك الأمراء إلى طاعة الملك الأشرف وبقي الأمير عماد الدين ابن المشطوب وجمع قليل، فسار إلى نصيبين ليسيّر منها إلى أربل وينضم إلى مظفر الدين صاحبها، فقصد ابن صبره^(٣) والي نصيبين فيمن عنده من عساكر الملك الأشرف، واقتتلوا فانهزم الأمير عماد الدين بن المشطوب، وتفرق عنه أكثر من كان معه من الجند ومضى منهزماً [١٠-و] فاجتاز بطرف بلد سنجان^(٤)، فسيّر إليه صاحبها فروخ شاه محمود بن قطب الدين^(٥) محمد بن عماد الدين زنكي، وكان موافقاً للملك الأشرف وبدر الدين لؤلؤ عسكراً فهزموه، وأخذوه أسيراً وحملوه إلى سنجان، فلما صار عنده حسن إليه مخالفة الملك الأشرف وبدر الدين لؤلؤ والخروج عليهما فأجابه إلى ذلك، وكتب الملك الأشرف إلى صاحب سنجان يستدعي منه إرسال الأمير عماد الدين ابن المشطوب إليه فامتنع من ذلك^(٦) وأطلق عماد

(١) جبل جور: اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي أرمينية انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢ ص ١٠٢.

(٢) دارا: بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين من بلاد الجزيرة انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢ ص ٤١٨-٤١٩، ٥١٦.

(٣) قال أبو شامة: إنه حين مات جاءته حيّة فنهشت أفخذه ويقال: إنها التفت في أكفانه وأعوى الناس دفعها. قال: وقيل لي: إنه كان رافضياً خبيثاً مدمناً خمر. قبحه الله. انظر: ذيل الروضتين "تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص ٢٠٠، والعيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ١، ص ٧٤، والذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٨، ص ٢٥٦.

(٤) سنجان: بكسر أوله وسكون ثانيه ثم جيم وآخره راء: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهي في لحف جبل عال ويقولون: إن سفينة نوح عليه السلام لما مرّت به نطحته فقال نوح: هذا سنّ جبل جار علينا فسميت سنجان انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٦٢، ١٥٨.

(٥) محمود بن قطب الدين: هو محمود بن قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن زنكي آخر ملوك البيت الأتابكي بسنجان انظر: ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ٣، ص ١٩٣-١٩٤، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٧٤.

(٦) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٧١، ٧٢.

الدين فانضم اليه جمع كثير من المفسدين، فقصد بهم عماد الدين البقعا^(١) من أعمال الموصل، ونهبوا عدة قرى، وعاد بهم إلى سنجار، ثم سار بهم إلى تلعفر، وهي لصاحب سنجار ليقصد بلد الموصل، وينهبوا تلك الناحية، ولما سمع به بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، سير إليه عسكرا من الموصل فقاتلوه فمضى منهزماً، وصعد إلى تلعفر [تل أعفر]^(٢) فنارلوه، وحاصروه بها، ثم سار إليه الملك بدر الدين لؤلؤ من الموصل يوم الثلاثاء لتسع بقين من شهر ربيع الأول من شهور هذه السنة^(٣).

وجد في حصره والزحف اليه مرة بعد أخرى، فنزل إليه بالأمان فأكرمه وقدم له مقدمة سنينة، واستصحبه معه إلى الموصل، ولما دخل مع بدر الدين لؤلؤ الموصل فرح الناس به، ودعوا له لمحبتهم له.

وفي اليوم الثالث من دخول بدر الدين الموصل قبض على ابن المشطوب، وغدر به، وحبسه وسير إلى الملك الأشرف بن الملك العادل يعرفه بذلك، ففرح بالقبض عليه وشكره عليه، ثم كان ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(١) البقعاء: كورة كبيرة بين الموصل ونصيبين قصبته برقعيد فيها قرى كثيرة بناؤها كله قباب انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٢، ٧٠١.

(٢) تل أعفر (يعفر): قلعة حصينة وريض بين سنجار والموصل وسط واد فيه نهر جار انظر: ياقوت

الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٩، ج ١، ص ٨٦٣.

(٣) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ص ٣٢٠.

ذكر استيلاء الملك الأشرف على سنجار

كما قدمنا أن السلطان الملك الأشرف بن الملك العادل [١٠-ظ] صاحب البلاد الشرقية وصل إلى حرّان^(١)، وإن جماعة من أصحابه، وأمرائه خامروا عليه، ثم اتفق ما قدمنا شرحه من عود صاحب آمد إلى موافقة الملك الأشرف واستقرار الصلح بينهما، وانحلال أمر من خامر من الأمراء، واضطرار بعضهم إلى طاعة الملك الأشرف فلما اطمأن الملك الأشرف رحل من حرّان إلى دنيسر، فاستولى عليها وعلى بلد ماردين لميل صاحبها إلى مظفر الدين صاحب أربل، كما قدمنا شرحه على البلاد، وأقطعها، وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين، وحضر عند الملك الأشرف صاحب آمد فوقع الصلح بين الملك الأشرف وصاحب ماردين على أن يكون رأس العين^(٢) للملك الأشرف، وكانت قبل ذلك لصاحب ماردين، وأخذها الملك الأشرف منه،^(٣) وأقطعها لابن المشطوب كما قدمنا شرحه وعلى أن يكون لصاحب آمد المؤزر، ويحمل صاحب ماردين للملك الأشرف ثلاثين ألف دينار ثم سار الملك الأشرف إلى نصيبين^(٤) يريد الموصل، فأتاه رسل الملك الأمجد عمر بن قطب الدين صاحب سنجار يطلب منه الرقة، لينزل له عن سنجار وهذه من جملة سعادة الملك الأشرف، فإن أباه الملك العادل نازلها في

(١) حرّان: قرية صغيرة في تركيا يعتقد أن بقاياها في تل أبيض في محافظة الرقة، انظر: ياقوت الحموي:

معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥، وابن كثير: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج ١ ص ٤٥٠.

(٢) رأس العين: مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين وديسر وهي إلى دنيسر أقرب انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣ ص ١٤، والحميدي: الروض المعطار، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣) أخذ الملك الأشرف رأس العين من صاحب ماردين على مال حمله إليه انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٧٣.

(٤) نصيبين: هي مقابل مدينة القامشلي السورية وهي بالقرب من جبل ماردين انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٦ ج ٤ ص ٧٨٧، والصلّابي: الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج ١، ص ٨١٤، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ٣، ص ١٢٤.

جميع ملوك البيت الأيوبي ما عدا الملك الظاهر صاحب حلب، وكان معه عسكره نجده له، وجد له في قتالها المدة المتطاولة فلم ينل منها غرضاً، وأخذها الملك الأشرف عفواً بلا تعب، وكان السبب في الذي فعله الملك الأمجد عمر بن قطب الدين^(١)، صاحب سنجار الخوف من الملك الأشرف وثقاته ونصحائه خانوه [١١-و]؛ لأنه كان يتهدهدهم، فطلبوا التغدي به قبل أن يتعشى بهم.^(٢) وبلغه ذلك فخاف منهم فراسل الملك الأشرف في النزول عنها، وتسليمها إليه فأجيب إلى ذلك، وتسلم الرقة، وسلم سنجار إلى الملك الأشرف في مستهل جمادى الأولى، ثم أخذت الرقة من الملك الأمجد عمر لقطع رحمه وقتله أخاه شاهان شاه كما سبق ذكره^(٣) والملك الأمجد عمر بن قطب الدين^(٤) المذكور هو آخر ملوك البيت الأتابكي بسنجار- فسبحان الباقي بغير زوال- واجتمع للملك الأشرف ملك خلاط وبلاد الجزيرة وسنجار.

ذكر وصول الملك الأشرف بن الملك العادل إلى الموصل واستقرار الصلح مع صاحب أربل

بعد أن ملك الأشرف بن الملك العادل الأيوبي سنجار كما قدمنا شرحه سار يريد الموصل، وقدم بين يديه العساكر فكان يصل منهم كل يوم جمع كبير، ثم وصل هو في آخرهم يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الأولى من هذه السنة، وكان يوم وصوله إليها يوماً مشهوداً، ووردت رُسل

(١) عمر بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن عماد الدين زنكي بن أفسنقر انظر: أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ١ ص ٣٩٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩ ص ٣٢٨، المقريزي: السلوك، ج ١ ص ٢٠٤، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٤٠٠، أبي شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٢٢.

(٢) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٢١، ٣٢٢، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٧٤.

(٣) ذكر أبو الفداء في حوادث سنة ٦١٦هـ أن قطب الدين وثب على أخيه عماد الدين شاهنشاه وذبحه وملك سنجار انظر: أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٢٢.

(٤) انظر: أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج ٢، ص ٤٠٨، العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٢٧، ص ٢٤٨.

ال خليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين^(١)، ومظفر الدين بن زين الدين^(٢) صاحب أربل في الصلح، وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها إلى بدر الدين^(٣) أتابك أربل ما عدا العمادية^(٤) فإنها تبقى في يد عماد الدين بن أرسلان شاه مع الذي كان بيده من جهة والده فوقع الاتفاق على ذلك بعد شهرين لما في الصلح من المصلحة الشاملة، وليقع التفرغ لجهاد الفرنج ودفعهم عن مدينة دمياط بالديار المصرية، ثم جعل لتسليم القلاع يوما معلوما.

وجاء عماد الدين زنكي للملك الأشرف ليكون رهنا عنده أيضا إلى حين تسلم القلاع، وسُلمت قلعة العقر^(٥) وقلعة شوش^(٦)، ثم أخذت الرقة من الملك الأمجد عمر بعد ذلك -كما سنذكره إن شاء الله تعالى^(٧).

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٧٥.

(٢) كوكبوري انظر: أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٢٥.

(٣) بدر الدين لؤلؤ انظر: أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٢٥.

(٤) العمادية: قلعة حصينة مكينة عظيمة في شرق الدجلة وشمالي الموصل ومن أعمالها عمرها عماد الدين زنكي بن آق سنقر في سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م وكانت قبلها حصنا للأكراد فلكبره خربوه فأعاد زكي وسماه باسمه وكان اسم الحصن الأول آشب. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٤٩، وابن شمائل: مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج ٢، ص ٩٥٩، وأبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٧٥.

(٥) العقير: قلعة حصينة في جبال الموصل أهلها أكراد وهي شرقي الموصل تعرف بعقر الحميدية أي انها تنسب إلى الحميدية وهم طائفة من الأكراد. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ط القاهرة، ج ١ ص ٥٥، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٩٦.

(٦) شوش: قلعة عظيمة عالية جدا قرب عقر الحميدية من أعمال الموصل قيل هي أعلى من العقير وأكبر ولكنها في القدر دونها انظر: ابن واصل: مفرج الكروب ج ١ ص ٥٥، ابن الفرات، تح: حسن الشماع، ص ١١٢.

(٧) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٢٢، وابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ج ٥ ص ٣٢٠.

[١٢ - و] وكان الرسول في ذلك الحاجب علي الموصلي، وهو أكبر أصحاب الملك الأشرف وأصله من الموصل وترقى عنده وممن علت منزلته عنده جدا، فلما قدم الحاجب علي علي الملك بدر الدين لؤلؤ، أحضر إليه عماد الدين ابن المشطوب^(١) فحين رآه الحاجب علي قال له: " وقع زريق في القفص "^(٢)، فقال عماد الدين: " إنما وقع غدرا " فحمله الحاجب علي إلى الملك الأشرف، فأمر بحبسه في جب بحرّان فلم يزل فيه في أسوء حال إلى أن مات في الجب في سنة تسع عشرة وستمئة، ولقاه الله سبحانه وتعالى عاقبة ما فعله بالمسلمين بدمياط وسعيه الردي، إلى أن كادت ديار مصر تنتزع من أيدي المسلمين، وأطلق الملك الأشرف الجماعة الذين قبض عليهم ابن صبره لما حارب بن المشطوب، وقبض على القاضي نجم الدين بن أبي عصرون، ووجد معه حرمدان^(٣) فيه الأيمان التي استحلف بها من وافق ابن المشطوب.

وكتب الأمراء والملوك الواصلة إليه فشفع فيه فخر الدين بن شيخ الشيوخ صدر الدين وكان ورد رسولا إلى الملك الأشرف، وهو قريب القاضي نجم الدين؛ لأنّ أم فخر الدين هي ابنة شهاب الدين بن أبي عصرون، فأطلقه الملك الأشرف لأجل فخر الدين، فورد إلى حماه وتوفي بها في سنة اثنتين وعشرين وستمئة.^(٤)

(١) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٨.

(٢) بالبحث في كتب الأمثال والمعاجم وكتب اللغة لم يستدل على هذا المثل.

(٣) الحرمدان: لفظ فارسي معناه المحفظة الخاصة التي يحمل فيها الفرد أوراقه ونقوده، انظر المقرئزي:

السلوك، ج ١، ص ٦٩٧.

(٤) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٧٦، ٧٧، وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣

ص ١٢٥، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٢٢.

ذكر بعض خبر الملك المنصور صاحب حماه وسيرته ووفاته

كان الملك المنصور ناصر الدين^(١) محمد بن عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الأيوبي صاحب حماه، ملكاً شجاعاً مقداماً عالماً فاضلاً، شاعراً يحب العلماء والفضلاء وأهل الأدب والشعراء، ويحب سماع المديح، ويجيز عليه [١٢-ظ] الجائزة الكبيرة، ويحب أن يكون في بلده من كل طائفة من أهل العلم أفضلهم وأشهرهم، فوفدوا إلى بابه من كل قطر، وممن ورد عليه الإمام سيف الدين أبو الحسن علي الأمدي^(٢)، وكان إماماً عظيماً متقدماً في أصول اللغة والفقه وعلم المنطق وسائر العلوم الحكيمة، وكان عالماً في هذه العلوم، عظم في الآفاق صيته، واشتهر ذكره، وصنف التصانيف البديعة في جميع هذه العلوم أورد فيها على الإمام فخر الدين الرازي^(٣)، والإمام أبي حامد الغزالي وغيرهما من أكابر المتقدمين،

(١) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٤٦، وأبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٥٧-١٥٨، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٧٧-٨٤، وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٠٠-٤٠١، والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٢٠٥.

(٢) علي بن محمد بن علي الأمدي الرئيس موفق الدين الكاتب. كان متعياً لنظر الدواوين الكبار. وطال عمره وتقلب في الخدم. ثم صار إلى نظر الكرك والشوبك، ومات هناك في ذي الحجة وله خمس وثمانون سنة انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٥٠، ص ١٦٤.

(٣) فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن خطيب الري الفقيه الشافعي صاحب التصانيف المشهورة والفقه والأصول كان إمام الدنيا في عصره انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٦٧، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ١٩٧، المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ١٨٦، ١٨٧، أبي شامة: الذيل على الروضتين، ج ١، ص ٢٠٤-٢٠٦، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٤٨-٢٥٢، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ١٦٩، ورضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص ١٩٧.

وبين بطلان أقاويلهم، ولما قدم حماه بنى له الملك المنصور مدرسته المعروفة به التي بالقرب من الباب الشمالي المعروف بباب الجسر^(١).

وأجرى له الجامكية^(٢) والكثيرة^(٣)، وواظب إحضاره إلى محلته والاشتغال عليه بجميع فنونه، وورد عليه من الشعراء المجيدين جماعة فأجرى عليهم الجامكيات والجرايات.

واستخدمهم وولي قضاء بلده القاضي ضياء الدين بن الشهرزوري^(٤) قاضي القضاة ببغداد وسائر البلاد الإسلامية وهذا شيء لم يتفق لغير الملك المنصور، وولي أيضا القضاء له القاضي نجم الدين أبو البركات عبد الرحمن الشيخ الإمام شرف الدين بن أبي عصرون، وكان عظيما جليلا معظما عند الملوك بسبب والده الشيخ شرف الدين قاضي القضاة، كان بدمشق ومثولي المدارس النورية وأوقافها بالشام جميعه، وكان في خدمة الملك المنصور ما يناهز مائتي معمم من الفقهاء والنحاة وأهل اللغة والمشتغلين بالعلوم الحكيمية والمهندسين والمنجمين

(١) باب الجسر يُقال له باب السر والموقع ما يزال معروفاً في حماه انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١٢، ص ٤٧.

(٢) الجامكية: لفظ مشتق من جامه بمعنى اللباس أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي، وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة، والجمع: جامكيات جوامك جماكي. انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٦٥، قلعجي (محمد رواس قنبيبي و حامد صادق): معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج ١، ص ١٥٨، دهمان (محمد أحمد): معجم الألفاظ التاريخية، دار الفكر المعاصر، ص ٥١، والمقريزي: السلوك، ج ١ قسم ١ ص ٥٢.

(٣) الجراية: الجاري من الوظائف انظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣ - ١٤١٤ هـ، ج ١٤، ص ١٤٢، والجوهري: الصحاح، ج ٦، ص ٢٣٠١.

(٤) ابن الشهرزوري: هو القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري الشافعي تفقه ببغداد ثم قدم الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين الذي أرسله عدة مرات رسولا إلى الخليفة العباسي ببغداد. وقد ولي قضاء الشام ثم انتقل إلى الموصل وولى قضاءها ثم قلد قضاء القضاة ببغداد واستعفى وعاد إلى حماه قاضيا إلى حين وفاته = سنة ٥٩٩ هـ انظر: السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٢٩٨ وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ١٨٣ ١٨٤، وأبي شامة: الروضتين في أخبار النورية والصلاحية، ج ١، ص ١٣٤ وج ٢، ص ١٣٩، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٩٧.

والشعراء والكتّاب والأفاضل. وكان يُكثر مطالعة الكتب ومراجعتها، واستحضر العلماء والبحث معهم، وجمع في خزانته من كتب العلوم ما لا [١٣-و] مزيد عليه، واعتنى بها جداً، وصنف عدة من التصانيف منها كتاب طبقات الشعراء، وكتاب مضمّار الحقائق في التاريخ^(١)؛ وهو نحو عشرين مجلداً وصنّف غير ذلك، وكانت له أشعار حسنة جمعت في ديوان، وسنذكر بعضها إن شاء الله تعالى، وخدم الملك المنصور عدّة من أكابر الأمراء المشهورين بينهم الأمير شمس الدين بن قليج^(٢)، والأمراء من بني برطاس^(٣)، وكل منهم كان أميراً جليلاً، وكان له العسكر الكثير المجل، وكان موكبه من أجّل المواكب تجذب السيوف الكثيرة بين يديه، ويركب في خدمته جمع كثير من المعتمدين من الفضلاء، والأمثال من أهل البلد، فكان موكبه يضاهي موكب عمه الملك العادل صاحب الديار المصرية، والبلاد الشامية، وابن عمه الملك الظاهر صاحب حلب^(٤).

(١) هو كتاب مضمّار الحقائق وسر الخلائق والكتاب لا يوجد منه الآن سوى جزء واحد نشره الدكتور حسن حبشي (القاهرة ١٩٦٨).

(٢) سيف الدين بن قليج الأمير الكبير صاحب القليجية. توفي في شعبان بدمشق. ودفن بترتبه التي في مدرسته بدمشق. وقد عمل نيابة دمشق. وكان أبوه من الأمراء الظاهرية الحلبية. واسم سيف الدين: علي. كتب عنه القوصي شعراً وذكره في معجمه وقال: كانت مدرسته دار خالد بن الوليد. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص١٦٥.

(٣) بُرطاس: بالضم: اسم لأمة لهم ولاية واسعة تعرف بهم تنسب إليها الفراء البرطاسية، وهم متاخمون للخزر وليس بينهما أمة أخرى وهم قوم مفترشون على وادي اتل. وبرطاس: اسم للناحية والمدينة، وهم مسلمون ولهم مسجد جامع، وبالقرب منها مدينة تسمى سوارا فيها أيضاً مسجد جامع وبالقرب منها مدينة تسمى سوارا فيها أيضاً مسجد جامع ولأهل برطاس لسان مفرد ليس بتركي ولا خزي ولا بلغاري انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج١ ص٣٨٤، والقزويني: (زكريا بن محمد بن محمود ت٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر - بيروت، ج١، ص٥٧٩.

(٤) المَلِكُ الْعَزِيزُ الظَّاهِرُ صَاحِبُ حَلَبَ مُحَمَّدُ بْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ غِيَاثِ الدِّينِ غَازِي بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ قَاتِحِ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ وَهُوَ وَأَبُوهُ وَابْنُهُ النَّاصِرُ أَصْحَابُ مُلْكِ حَلَبَ مِنْ أَيَّامِ النَّاصِرِ، وَكَانَتْ أُمُ=

مع سعة مملكتيهما وقلة مملكته بالنسبة إليهما^(١)، وكان مؤثراً لعمارة بلده وتحصين أسواره والعناية به فبنى بظاهر حماه الجسر المعروف بالحديد خارج الباب المعروف بباب حمص، وخرَّب أسوار قلعة حماه التي كان بناها والده، وكانت من لبن، وبناها الملك المنصور كلها بالحجر والكلس حتى كان في غاية الحسن، وعمق خنادقها جداً، ووسعها، وجعل^(٢) في القلعة من الزردخانة^(٣) والمؤن والذخائر ما لا مزيد عليه حتى صارت تضاهي قلعة حلب التي تُضرب بها الأمثال، بل أجود وأحصن.

وبنى بظاهر حماه الشمالي مدرسة عند قبر والده [تقي الدين] رحمه الله تعالى، ووقف عليها وقفاً جليلاً، وكان للملك المنصور بعد وفاة والده من البلاد حماة والمعرة وسلمية ومنبج^(٤) وقلعة نجم^(٥).

=العَزِيزُ الْخَائُونُ بَنَى الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ وَكَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ كَرِيمًا عَفِيفًا انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٧٠.

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨١.

(٢) الملك المنصور.

(٣) الزردخانة: دار السلاح كلمة فارسية مركبة وقد أطلقها المقريزي على السلاح نفسه. في السلوك ج ١ ص

٣٠٦. يقال لها أيضاً ((السلاح خاناه)) وتشتمل على أنواع السلاح وصانع السلاح يسمى الزرد كاش انظر:

السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ت ٩١١ هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد

أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط ١، ١٣٨٧ هـ -

١٩٦٧ م، ج ٢، ص ١٣١، وابن شاکر الکتبی: فوات الوفیات، ج ١، ص ٤٠٨، والمقريزي: السلوك، ج ١،

ص ٣٠٦.

(٤) منبج: مدينة كبيرة في فضاء واسع من الأرض بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشر

فراسخ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٥) قلعة النجم: كانت قلعة حصينة مطلة على الفرات عليه جسر تعبده القوافل من حران إلى الشام. انظر:

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩١، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨٠، والقزويني: آثار

البلاد وأخبار العباد، دار صادر - بيروت، ج ١، ص ٢٤١.

فلما حاصر قلعة بعرين [بارين]^(١)، وكانت بيد عز الدين إبراهيم بن المقدم^(٢) وفتحها وملكها ألزمه عمه الملك العادل أن يردّها عليه. فامتنع من ذلك وعوّض ابن المقدم عنها منبج، وقلعة نجم [١٣-ظ] وهما خير من بعرين ، لكنّه اختار عليهما بعرين؛ لأنّها بالقرب منه.

وكان مع قلة بلاده يداريه عمه الملك العادل، وابن عمه الملك الظاهر، ويخاف كل منهما أن يميل مع الآخر عليه، وجرت له حروب مع الفرنج وانتصر فيها عليهم.

وقد قدمنا ذكر ذلك، وظهرت فيها شجاعته وفروسيته، وكان رحمه الله تعالى متصدّيًا لتدبير المملكة والرعية، من حين يُصلي الصبح إلى أن يدخل الليل، وترد عليه القصص والمهام في جميع النهار، ويقضي أشغال الرعية، ولا يحتجب عنهم في أكثر أوقاته.

وقال الملك المنصور من قصيدة مطلعها: ^(٣)

سحا الدموع فإنّ القوم قد بانوا	وأقفر الصبر لما أقفر البان
أتسعداني بوجد بعد بينهم	فالشان لما نأوا عني له شان
يا ظبية البان هل وصل يسربه	لينجلي بلذيذ الوصل أشجان

منها:

لا تبعثوا في نسيم الريح نشركم فإنني من نسيم الريح غيران

(١) قلعة بعرين: بارين أو بعرين ما تزال تحمل الاسم نفسه وهي تابعة لمحافظة حماه انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٢٠-٣٢١، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٨٦، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨١.

(٢) إبراهيم بن المقدم: هو فخر الدين إبراهيم بن الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم كان صاحب منبج وقلعة بارين وعدة حصون وكان له بها نواب، توفي بدمشق سنة ٥٩٧هـ ١٢٠٠م ودُفن بمدرسته خارج باب الفراديس انظر: أبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ٣٢، والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٨٩ والنعمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٤٦٠-٤٦١.

(٣) انظر ابن شاکر الکتبی: فوات الوفيات، ج ٤ ص ١٢، ١٣، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨١.

وفي الهودج أقمار وغزلان
سحًا ورؤى ثراهم أينما كانوا

كيف السلو ولي قلبٌ يخالفني
سقاهم الغيث في قبلي كاظمة

وقال من قصيدة يفتخر فيها: ^(١)

زور وقائله ينمي إلى الكذب
ما نلته قط من عجم ومن عرب
أصل ومن بعده بالعلم والأدب
أكرم بذلك من مجد ومن حسب
يا حسنها رتبة تعلو على الرتب
لنا عبيد وليس الرأس كالذنب
حامى الحقيقة يوم الجفل اللّجب] ١٤-
فصرتُ أدعى لديهم جالب الرعب
رأس السنان وحدّ المخذم الذرب
بالسابريّة والمأذى واليلب
كانوا لدين الهدى كالواحد الحذب
مؤيد بجميل النصر مُرتقب
فضلٌ على الأنجم السيّارة الشهب

وكل فخر سوى فخري فمختلق
أنا الذي لم ينل في الورى أحد
سموت فيهم بأصل لا يقاومه
بآل شادي ملوك الناس كلّهم
أيوب جدي حقيقا حين تنسبني
نحن الملوك الذرى والناس كلهم
كم قد أبدت بسيفي كل مفتخر
وكم تركت بني الافرنج في رعب
وكم أبحتهم يومي وغى ولعا
وكم جررت إليهم جفلا لجبا
كفعل آبائي الغر الذين هم
من كل محتسب في الله منتسب
أغرّ أبلج وضّاح لغرّته
وقال من قصيدة مطلعها ^(٢):

إنّي من قومٍ كرامٍ شمّ
من كل ذي بأس شجاع شهم

يامن يباريني ويذكر اسمي
بحار جود وجبال حلم

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨٢.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨٣-٨٤.

يذب عن هام العلى ويحمي
كم رتبة فوق السماء والنجم
ينبيك من معرفتي وفهمي
وحزمهم قلامه من حزمي
ينفذ في الصخر الصلاد الصم
على العفاة بالنوال الجم
يسبح من عطائها في يم
يكلم قبل ضربه ويدهمي
ربّ حسودٍ لي ولا أسمى
أغفل عنه غفلة الأصم
لوحلّ من خوفى محل العصم
أدرسته بهمتي وعزمي ومنها:

ومن محلّى في الورى وعظمى
أيوب جدّي يا سديد الفهم
من مثنا في عربها والعجم
وقوله في صدر كتاب كتبه إلى عمه الملك العادل رحمهما الله تعالى [١٤-ظ]

سلام محب في الولاء محقق
وينشد بيتا قيل في مدح مجد كم
تقول لي الآمال إن كنت نازلا
وحكى الملك المنصور: أنه رأى في منامه شخصاً ينشد قصيدة مدحاً فيه فلما انتبه من منامه لم
يحفظ إلا بيتا واحدا منها

وهو:

ملك إذا سمته القوافي وأفأك منها بألف فاء
فضم إليه الملك المنصور أبياتا على الروي والوزن منها^(١)

يا ملكا من يديه يدي
ومن غدا بابه يسمي
أوفى الوري نائلا وعهدا
أحيا الوري جوده فأضحى
قد بذل الجود منه حتى
فصيفه صيفنا ولكن
أسنى الوري محتدا وفرعا
مهابة في علاه جلت
والاسم منه إذا ابتلينا
في كفة الحيدري سيف
تخاله في الحروب يدي
ومنها:

لا ينتهي جود راحتيه
لله من مالك كريم
رقا علوا على البرايا
سما وحاز العلياء حتى
يعطي عطاء بلا امتنان

ومن شعر الملك المنصور أيضاً: [١٥-و]^(١)

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ٨٤ - ٨٦.

دع الوقوف بتسأل على طلل
وذكر سلمى وسعدى والرباب
ومل إلى العز بالجرد العتاق وبالبيض
لم ترض خيلي إذا ما الحرب حوّلها
عن من سرى عنه بالوخادة البزل
وما يعلو الغصون من الأقمار في الكلل
الرقاق وما أعددت من أسل
الوفاء نعلا سوى ما عزّ من مقل

ومن شعره أيضا:

وجود سـلالة الصّـهـباء
وللحظـات في خـديـه
وليس يصـدّها عـنـه
لثـام حـين يـلتـثم
عـنـد وـجـوده عـدم
أنـى حـلّ مـزدحم

أصاب الملك المنصور ناصر الدين بن محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه المذكور حمى حاده محرقة وتأت به إلى أن ورم دماغه واشتعل ذهنه^(١). وأوصى في مرضه بإخراج جميع من في حبسه، وقال: "في حبسنا من ظلمناه وفيه من ظلمنا بأخذ مالنا، وأعتق جميع مماليكه وإمائيه وأثمانهم تجلّ عن الحصر، وتوفي في ذي القعدة من سنة سبع عشرة هذه السنة بقلعة حماه، وكانت مدة مرضه إحدى وعشرين يوماً، ومدة ملكه ثلاثين سنة؛ لأنّ والده توفي كما قدّمنا شرحه في سنة سبع وثمانين وخمسمئة، وكان عمر الملك المنصور خمسين سنة، وترك أولاده الذكور وهم الملك المظفر محمود^(٢)، والملك الناصر قليج

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨٥.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٧٧.

(٣) هو تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي صاحب

حماة و هو ابن أخ السلطان صلاح الدين اشتهر بشجاعته في الحروب مع الفرنج، وكان كثير الإحسان للعلماء والفقراء وبنى عدة مدارس وناب عن عمه صلاح الدين بالديار المصرية في بعض الأوقات أثناء غيابه ثم أعطاه حماة توفي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وكان فارساً مهيباً انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٣٤٤-٣٤٤ وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٥٧-١٥٨ وابن خلكان: وفيات =

أرسلان، والملك العزيز، والملك المجاهد، والملك المسعود، والملك الموحد، والملك المعز والملك الصالح، وعدة بنات، والله أعلم.

ذكر تملك الملك الناصر بن الملك المنصور الأيوبي حماه وبلادها

لما توفي الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين [١٥-ظ] عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي بن مروان الأيوبي، صاحب حماه، كما قدّمنا شرحه كان ولده الأكبر -المعهود إليه بالسلطنة- بحماه الملك المظفر تقي الدين محمود، بالديار المصرية في معسكر خاله الملك الكامل بن الملك العادل صاحب الديار المصرية في مقابلة الفرنج، وكان الملك الناصر قليج أرسلان بجبله عند خاله الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق، وكان بالساحل منازل لحصون الفرنج.

وكان قد فتح قيسارية^(١) وهدمها وقصد عثليث^(٢) ونازلها.

وكان الوزير بحماه زين الدين بن فريج^(٣) فاتفق هو وجماعة من أرباب الدولة على استدعاء الملك الناصر قليج أرسلان، وتسليم الملك إليه لما يعلمونه من لين عريكته وشهامة الملك المظفر وقوة بأسه، وقصدوا أن تكون بأيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤوا، فكتبوا إلى الملك

=الأعيان، ج ٣، ص ٤٥٦-٤٥٧، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١١٣-١١٤، والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ١٠٧، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٤٦، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٢٨٩.

(١) قَيْسَارِيَّة: انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان مادة قيسارية، ج ٤، ص ٤٢١، وابن كثير: تقويم البلدان، ص ٢٣٩، ومحمود (شفيق جاسر أحمد): الممالك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين في الشام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٢١، ١٤٠٩هـ، ج ١ ص ١٢٧.

(٢) عثليث: اسم حصن بسواحل الشام ويُعرف بالحصن الأحمر انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: مادة

عثليث، ج ٤، ص ٨٥، والصلابي: الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج ١، ص ٢٣٠.

(٣) انظر العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٢٧، ص ٢٤١.

الناصر يستدعونه ليملكوه، فلما أتته كتبهم عرف بذلك السلطان الملك المعظم صاحب دمشق فمنعه من التوجه إليهم إلا بشرط أن يحلف له على مال يحمله إليه، فحلف له على ذلك قيل: مبلغه كان أربعمئة ألف درهم، فأذن له في التوجه إلى حماه، فقدم إليها واجتمع بالوزير زين الدين بن فريج والجماعة الذين كاتبوه فاستحلفوه على ما أرادوا، فحلف لهم فأصعدوه القلعة وأظهروا أن والده حي وأنهم جمعوا بينهم وبينه، وأنه عهد إليه بالسلطنة ثم أخرجوه من القلعة راكبا بالسناجق السلطانية، ونادوا في البلد بشعاره، وحنثوا في أيمانهم التي حلفوها لأخيه الملك المظفر تقي الدين محمود.^(١)

وقال الشيخ محمد بن نظيف الحموي^(٢) [١٦-و] كان ولي عهد المنصور والموصي له ولده الكبير أي من ابنة السلطان الملك العادل، وهو الملك المظفر تقي الدين محمود، وكان غائباً عند موته بنجدة كان بها عند خاله الملك الكامل بدمياط، وكان قبل موته بيسير قد سیر المعظم صاحب دمشق طلب نجدة منه بولده الناصر قليج أرسلان إلى الثغر من بلاد الفرنج، فجهزه إليه بعسكر أيضاً ثم بعد تجهيزه بيسير مرض الملك المنصور وبعد أن كان ولده المذكور تشوش في طريق دمشق فسیر إليه بأن لا يرجع: "بل تسير إلى خالك المعظم تعرفه، وتتم ومهما رسمه تفعله" ثم سار ونزل القابون في مرضه.

فأرسل المعظم إليه بأن "تعبر البلد، وتبعث من معك من العسكر"، ففعل ذلك وجدّ المرض بأبيه بحماة فسیر إلى المظفر بمصر يستدعيه ثم خاف مفاجأة الموت فبعث إلى الناصر طلبه مرة ومرة ومرة ومرة، ثم كتب إليه خطه بوصله وكان قد وكل عليه بدمشق، فكتب خطه للمعظم

(١) انظر: المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٦٠ وعند ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨٦.

(٢) انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ٩١، ٩٢.

بجمله من مال وعسكر أن قدر الله ولايته، فأذن له فوصل، فاجتمع عليه الأمراء وحلفوه لأخيه المظفر بتمام وصية أبيه له، وأفردوا له المعرة، وحلفوه وحلفوا له على المعرة لا غير وكان مريضاً، فأدخلوه إلى حماة، يبيت تلك الليلة، ويسير إلى المعرة، ثم بدا لهم رأي في طلوعه إلى القلعة وتمليكه إياها، فأطلع إليها وتملكها. ووصل المظفر الموصى له من مصر، وأقام بدمشق أياماً، وأحسن إليه خاله المعظم وردّه إلى مصر تعصباً لما كان تقرر مع الناصر كما تقدم شرحه. (١)

وكان عمر الملك الناصر قليج أرسلان لما استولى على مملكة حماه نحو سبع عشرة سنة (١٦-ظ)؛ لأن مولده في سنة ستمئة، ولما استقر الأمر للملك الناصر بحماه استوزر صاحب زين الدين بن فريج (٣) مدة ثم بعد ذلك تغير عليه وأبعده، وتقدم عنده رجل من أهل حماه فقيه يُعرف بشهاب الدين بن القطب، وكان أبوه رجلاً كبيراً في العلم والفتوى، وكان ابنه شهاب الدين المذكور عنده نباهة في الفقه، والحديث، والأدب، وكان سافر إلى العراق واشتغل ببغداد مدة، ثم قدم إلى حماه، وصار معيداً بالمدرسة السلطانية المنصورية عند الشيخ سيف الدين الأمدي (٤).

(١) انظر: ابن نطف: التاريخ المنصوري، ص ٩١، ٩٢.

(٢) انظر: العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٢٧، ص ٢٤٢، ٢٤٣، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨٦.

(٣) زين الدين بن الفريج: لم يتم العثور على ترجمة له في المصادر المتوفرة بين يدي.

(٤) سيف الدين الأمدي: هو علي بن محمد بن سالم التغلبي الفقيه و ولد بآمد بعد سنة ٥٥٠هـ ١١٥٥م ورحل الى بغداد وأخذ الفقه عن شيوخها ثم انتقل الى الشام بعدها رحل الى مصر وتولى الإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي و فحسده بعض فقهاء مصر واتهموه بفساد العقيدة واعتناقه لمذهب الفلاسفة فاضطر إلى ترك مصر فرحل الى الشام واستقر بحماة و توفي بدمشق سنة ٦٣١هـ ١٢٣٣م وترك مصنفات عديدة أهمها: "رموز الكنوز" ودقائق الحقائق وغيرها انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ٣٦٤، وابن =

واتفق أنه وليّ أُمراً وخان فيه فحبسه الملك المنصور بجامع القلعة، وكان أخوه^(١) فقيهاً فاضلاً في مذهب الشافعية، يُقال له عماد الدين وولاه الملك المنصور أيضاً بحماه ولمّا حبس شهاب الدين بالقلعة كان يجتمع به الملك الناصر بن الملك المنصور بجامع القلعة، ويتحدث معه فأنس به جداً ، وصار يكثر التردد إليه.

فقال له شهاب الدين ابن القطب^(٢) يوماً: أأبشرك ببشارة؟ فقال: ماهي؟ فقال: " إنك تلي الملك بعد أبيك، ولأيله أخوك الملك المظفر تقي الدين"، فقال له الملك الناصر: " من اين لك هذا؟ فقال: إنّي سمعت في النوم قائلاً ينشد لي أبياتاً من الشعر في النوم فيها ذكر هذا وأنشده أبياتاً من جملتها^(٣)

وليس يملك من أولاده أحدٌ إلا قليج الذي لا يملك النّشبا
ففرح الملك الناصر بذلك ووعدّه أنه إذا وقع ذلك أحسن إليه ويحكمه في دولته، فلما ولي الناصر الملك أخرجه من الحبس، وأقطعه إقطاعاً جليلاً فنزع شهاب الدين عن رأسه [١٧و] العمامة، ولبس الشربوش^(٤)، وتزيّياً بزي الجند، ففوّض إليه الملك الناصر ولاية المعرة^(٥)، فتصرّف فيها تصرف الملوك في ممالكهم، ثم نزل عن ولاية المعرة، وصارت إليه أتابكية العسكر بحماه، والنظر في أكثر الأمور، وإلى أخيه عماد الدين القضاء بحماه ثم غضب بعد

=قاضي شهبة ((أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م):

طبقات الشافعية، ج ٢ ، ص ٩٩-١٠١ ، والنعمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ، ص ٢٩٨.

(١) أخوه عماد الدين.

(٢) شهاب الدين بن القطب انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ٨٧.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ٨٨.

(٤) الشربوش: قلنسوة طويلة تلبس بدل العمامة وكانت شارة الأمراء انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ،

ص ٨٨.

(٥) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥ ، ص ١٥٥.

ذلك الملك الناصر عليهما واعتقلهما، ثم أطلق عماد الدين وبقي شهاب الدين في حبسه على أقبح حال إلى أن ملك الملك المظفر حماه، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

هذا ما اتفق من هؤلاء وأما الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور فإنه لما بلغه وفاة والده واستيلاء أخيه الملك الناصر على ملك حماه، استأذن خاله الملك الكامل في التوجه إلى حماه لمناسبة أنه إذا وصلها سلمت إليه لما علمه من حلف أهلها وأكابر دولتها له فأذن الملك الكامل في ذلك فسار مسرعاً، فلما وصل إلى الغور وجد به خاله الملك المعظم صاحب دمشق فسأله عن سبب تقدمه فذكر له أن مقصودة التوجه إلى حماه ليملك بلاد والده.

فقال له الملك المعظم: " أن أخاك الملك الناصر قد ملكها وأطاعه أهلها، والملك عقيم^(١)، وأخاف عليك أن وصلت إلى حماه أن يعتقلك أخوك، والمصلحة أن تتجاوز إلى دمشق، ولا تتجاوزها، فقدم إلى دمشق ونزل بدار والده بها المعروفة بدار ابن الزنجيل^(٢)، وقتل بها رجلاً من أصحابه يُعرف بابن الفصافصة، ذكر أنه كان يكتم عنه خبر مرض والده حتى مات، وجرى ما جرى من ملك الملك الناصر، ثم رجع الملك المظفر إلى مصر فأقطعه خاله الملك الكامل صاحب الديار المصرية بها اقطاعاً، وأقام في خدمته إلى أن جرى من الأمر (١٧-ظ)^(٣) - ما سنذكره إن شاء الله تعالى -

(١) المُلْكُ عَقِيمٌ أي لا يَنْفَعُ فِيهِ النَّسَبُ لأن الابن يَقْتُلُ على المُلْكِ أباه والأب ابنه. انظر: الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم.): كتاب العين تح: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج ١، ص ١٨٥.

(٢) تقع قرب الجامع الأموي في دمشق انظر: أبو الفداء: تاريخ ابن الفداء، ج ٣، ص ١٢٦، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨٩.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨٩.

ذكر تملك التتار فرغانة^(١) والترمز^(٢) وكلاية^(٣)

كنا قدّمنا أن الملك جنكيز خان ملك التتار -لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم- لما خرج إلى بلاد الإسلام، وملك ما ملك من البلاد، وقتل من قتل من العباد، أقام بسمرقند، وسير الطائفة التي يقال لها المغربة وهي التي سارت غربي خراسان، وتوغلت في البلاد التوغل العظيم الهائل الذي لم يسمع أن طائفة توغلته، وفعلت فيه ما فعل هؤلاء في مدة قريبة، وقد قدمنا من خبرهم ما فيه كفاية وسنذكر بعض ما فعلوه إلى أن عادوا إلى ملكهم جنكيز خان إن شاء الله تعالى، وأما جنكيز خان ملك التتار فإنه بعد مسير هذه الطائفة الخبيثة اللعينة التي يقال لها المغربة قسم أصحابه عدة أقسام، فسير قسماً إلى بلد فرغانة ليملكوها، وسير قسماً إلى ترمذ وقسماً إلى كلاية وهي قلعة حصينة إلى جانب نهر جيحون، فسارت كل طائفة إلى الجهة التي أمروا بقصدها، ونازلوها، واستولوا عليها، وفعلوا من القتل، والاسر، والنهب، والتخريب، مثلما فعل أصحابهم المغربة الذين قدمنا ذكرهم، فعليهم الجميع لعنة الله وملائكته ورسله، ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين، ولما ملكوا فرغانة والترمذ وكلاية وفعلوا ما قدمنا شرحه عادوا إلى ملكهم جنكيز خان لعنه الله تعالى وهو بسمرقند والله أعلم.^(٤)

ذكر مسير التتار إلى خوارزم وإلى خراسان

- (١) فرغانة: بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر تقع على ضفة نهر سيحون الشمالية متاخمة لبلاد تركستان انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥٣، والقزويني: آثار البلاد، ص ٣٠٦، وكلي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٢٠.
- (٢) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن راقية على نهر جيحون من جانبه الشرقي متصلة العمل بالصغانيان ولها روض يحيط بها سور وأسواقها مفروشة بالآجر ولهم شرب يجري من الصغانيان وهي مشهورة على شرقي جيحون وهي قاعدة طخارستان انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦.
- (٣) كلاية: هي قلعة حصينة على جانب جيحون من أحسن القلاع وأمنع الحصون. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٥٧.
- (٤) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٥٧.

قيل إن جنكيز خان ملك التتر وهو بسمرقند جهاز جيشاً عظيماً، وقَدَّم عليه أحد أولاده إلى خوارزم، وبعث جيشاً آخر إلى خراسان فعبروا جيحون وقصدوا بلخ، وتسلموها في هذه السنة سنة سبع عشرة، وجعلوا فيها شحنة، ولم يتعرضوا لنهبها، وكذلك فعلوا ببلاد أخرى، وأخذوا رجال هذه البلاد ليقاتلوا بهم من امتنع عليهم.

ذكر مسير التتار إلى الطالقان^(١) وامتناعها عليهم، ومسير جنكيز خان ملك التتار إليهم.

لَمَّا ملك التتر بلخ، وجعلوا فيها شحنة من جهتهم، وملكوا بعدها ما ملكوا، ساروا إلى الطالقان^(٢)؛ وهي ولاية تشتمل على عدة بلاد، وفيها قلعة حصينة يقال لها منصوركوه لا تُرام علواً وارتفاعاً وبها مقاتلة في غاية الشجاعة، فحاصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها الليل والنهار فلم ينالوا منها غرضاً، فأرسلوا إلى اللعين جنكيز خان ملكهم يعرفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لحصانتها وكثرة مقاتليها وشجاعتهم، فسار بنفسه وبمَن عنده من جموعه إليها وحصرها ومعه خلق من المسلمين أسرى مكرهين على القتال، فأقام على حصارها أربعة أشهر أخرى، وقتل من التتر عليها خلق كثير، ثم امر اللعين جنكيز خان أن يجمع له من الحطب والأخشاب ما أمكن جمعه، وصاروا يعملون صفاً من خشب، وفوقه صفاً من تراب، ولم يزالوا كذلك حتى صار تلاً عالياً يوازي القلعة [١٨-ظ] وصعدت الرجال فوقه، ونصبوا عليه منجنيقاً فصار يرمي إلى وسط القلعة، فاجتمع من بها، وفتحوا بابها وخرجوا، وحملوا على التتر حملة

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٥٧.

(٢) الطالقان: بعد الألف لام مفتوحة وقاف وآخره نون: مدينة بين سهل السلطانية وسلسلة الجبال الشمالية في إقليم الجبال. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٦ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٥٧، وكلي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٦٠.

واحدة، فسلمت الخيالة منهم ونجوا وسلخوا الجبال والشعاب وقُتلت الرجالة، وملك التتر القلعة، وسبوا النساء والأطفال، ونهبوا الأموال، فإِنَّا لله وإِنَّا إليه راجعون.

ذكر مسير التتار إلى مدينة مرو وتملكهم لها

لما ملك اللعين جنكيز خان ملك التتر خذلهم الله تعالى ولعن من قضى منهم بلاد الطالقان جمع رجال البلاد الذين أعطاهم الأمان كأهل بلخ وغيرهم وسيّرهم مع بعض أولاده إلى مدينة مرو^(١)، فوصلوا إليها وبها من المسلمين المقاتلة ما يزيد على مائتي ألف رجل من جند، وتجار عرب وترك وغيرهم، وهم معسكرون بظاهر مرو عازمون على لقاء التتر، فلما وصل التتر إليهم التقوا، واقتتلوا قتالا شديدا، ثم انهزم المسلمون ووضع التتر السيف فيهم، فلم يسلم منهم إلا القليل، ونهبت أموالهم وسلاحهم، ثم أرسل التتر إلى ما حولهم من البلاد ليأتوه برجال أهلها فلما اجتمعوا عنده رجعوا إلى مرو، وجدوا في حصارها أربعة أيام، وقد ضعفت بكون أهل مرو مات كثير من عسكرهم، ولما كان اليوم الخامس أرسل التتر إلى المقدم الذي في البلد يقولون له: لا تهلك نفسك وأهل البلد وأخرج إلينا فنحن نجعلك أمير هذا البلد ونرحل عنك، فأرسل ذلك المقدم بطلب الأمان لنفسه وأهل البلد، فأمنوهم فخرج إليهم فخلع عليه اللعين الخبيث ابن اللعين جنكيز خان لعنهما الله تعالى، وقال له أريد أن تعرض علي أصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا [١٩-و] استخدمناه وأعطيناه إقطاعا، فلما حضروا عنده لعنه الله وتمكن منهم غدر بهم وقبض عليهم وعلى أميرهم، ولما فرغ اللعين من قبضهم أمر أن يكتبوا له تجار البلد، ورؤساءه، وأرباب الأموال في جريدة^(٢)، وأرباب الحرف والصناعات في جريدة أخرى، ففعلوا ما

(١) مدينة مرو: انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٩.

(٢) الجريدة: اللائحة- السجل ومنها الجريدة انظر: المقريزي: السلوك، ج ١، ص ١٠٦ حاشية ٨.

أمرهم به ولمّا وقف اللعين الخبيث على النسخ أمر أن يخرج أهل البلد بأهلهم وأموالهم فخرجوا كلّهم إليه فجلس اللعين على كرسي ذهب، وأمر بإحضار الأجناد الذين أمر بالقبض عليهم فلمّا أحضروا أمر بضرب أعناقهم، ففعل ذلك بهم والناس ينظرون إليهم ويكون عليهم ثم قسم اللعين الغدّار رجال العامة ونساءهم وولدانهم وأموالهم.^(١)

وكان يوماً عظيماً من كثرة الصراخ والبكاء والعيول، وأمر اللعين بضرب أبواب الأموال وتعذيبهم بأنواع العقوبات حتى استصفى ما معهم، ثم أمر اللعين بإحراق البلد وأحرقت تربة السلطان سنجر السلجوقي ظناً من التتار أن فيها مالا، وبقي الأمر كذلك ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أمر اللعين بقتل أهل البلد كافة، وأُحصيت القتلى فكانوا نحو سبعمئة ألف قتيل، وذلك كان في هذه السنة سنة سبع عشرة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ذكر مسير التتار إلى نيسابور وتملكهم لها

لمّا فرغ اللعين ابن اللعين جنكيز خان ملك التتار، لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم من قتل أهل مرو رحمهم الله تعالى سار إلى نيسابور فحصرها خمسة أيام وبها جمع من العسكر الإسلامي فلم يكن لهم كثير قوة [١٩-ظ] وملك التتار البلد، وأخرجوا أهله إلى الصحراء فقتلوهم وسبوا حريمهم، وعاقبوا من اتهموه بالمال، وأقاموا به خمسة عشر يوماً يخربون وينهبون المنازل وينبشوها عن المال، وذلك في سنة سبع عشرة هذه السنة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٥٩ وعند السرجاني (راغب): التتار من البداية إلى

عين جالوت، ج ٢، ص ١١.

ذكر مسير التتار إلى طوس^(١) وتملكهم لها

لما فرغ اللعين بن اللعين جنكيز خان ملك التتر -لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم- من نيسابور سير طائفة من أصحابه التتر إلى طوس، فحاصروا البلد، وملكوه وأخرجوا أهله إلى الصحراء فقتلوهم، وسبوا حريمهم، وعاقبوا من اتهموه بالمال، وأقاموا يخربون وينبشون المنازل عن المال، وخربوا المشهد الذي فيه علي بن موسى الرضا^(٢) والرشد رضي الله عنهما، وفيه قبر أمير المؤمنين هارون الرشيد العباسي رحمه الله تعالى، وذلك في سنة سبع عشرة هذه السنة. (٣)

(١) طُوس: هي مدينة مشهورة حالياً في إيران وهي من مدن نيسابور، و تتألف من مدينتين توأمتين هما: " الطابران " و"توقان ". انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤ ، ص ٤٩، واليعقوبي (أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ج ١ ، ص ٩٣، وكي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٣٠.

(٢) هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن أبي طالب زوجه الخليفة المأمون بابنته وجعله ولي عهده، توفي بطوس سنة ٢٠٣هـ ٨١٨م انظر: ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، ج ٤ ، ص ١٤٢، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٦٩، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٢١.

(٣) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٦٠، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٠.

ذكر مسير التتار إلى هراة^(١) وغزنة^(٢) وعودتهم إلى هراة وتملكهم لها

لَمَّا ملك التتار طوس - كما قدمنا شرحه - ساروا إلى هراة؛ وهي من أحصن البلاد فحاصروها عشرة أيام ثم ملكوها وأمنوا أهلها وقتلوا منهم البعض وتركوا عند الباقين شحنة، ثم ساروا إلى غزنة، فلقبهم السلطان جلال الدين منكبرتي بن السلطان علاء الدين ابن محمد خوارزم شاه، فكسرهم على ما سنشرحه إن شاء الله تعالى، فلَمَّا بلغ ذلك أهل هراة وثبوا على شحنة التتار فقتلوها، فلَمَّا عاد المنهزمون من التتار إليهم دخلوا البلد عنوة وقتلوا كل من فيه وسبوا الحريم وأخربوا البلد [٢٠-و] وأحرقوه وعادوا إلى الملك جنكيز خان وهو بالطالقان يرسل التتار إلى جميع بلاد خراسان يخربون ويقتلون وينهبون، وكل هذا كان في سنة سبع عشرة هذه السنة والله أعلم. (٣).

(١) هراة: بالفتح: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء وقد أصابها عين الزمان ونكبتها طوارق الحداث وجاءها الكفار من التتار فخربوها حتى أدخلوها في خبر كان انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥ ص ٣٩٦، وابن كثير: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية، ج ٢، ص ٤٠٣، وابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج ٨، ص ٧٥٤.

(٢) غَزْنَةُ: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون هكذا يتلفظ بها العامة والصحيح عند العلماء غزنين، ويعربونها فيقولون جزنة ويقال لمجموع بلادها زابليستان وغزنة قصبتهَا وغزن في وجوه الستة مهمل في كلام العرب: وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان وهي الحدّ بين خراسان والهند في طريق فيه خيرات واسعة إلا أن البرد فيها شديد جدًا انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤ ص ٢٠١، ابن كثير: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٧١.

(٣) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ٥٢.

ذكر مسير التتار إلى خوارزم^(١) وتملكهم لها

كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ اللّٰعِينَ جَنْكِيزَ خَانَ مَلِكَ التَّتَرِ - لَعَنَ اللّٰهُ مِنْ قَضَى مِنْهُمْ، وَخَذَلَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ -
أَرْسَلَ السَّرَايَا إِلَى خَوَارِزْمٍ وَالْيَ خَرَّاسَانَ، وَقَدَّمْنَا شَرْحَ مَا اتَّفَقَ لِلْسَّرِيَّةِ الَّتِي سَارَتْ إِلَى خَرَّاسَانَ
وَمَا مَلَكُوا مِنَ الْبِلَادِ، وَأَمَّا السَّرِيَّةُ الَّتِي سَيَّرَهَا اللّٰعِينَ جَنْكِيزَ خَانَ إِلَى مَدِينَةِ خَوَارِزْمٍ - كَمَا قَدَمْنَا
شَرْحَهُ - فَإِنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ السَّرَايَا لِعَظَمِ خَوَارِزْمٍ، فَوَصَلُوا إِلَيْهَا وَبِهَا عَسْكَرُ وَرَجَالٍ شَجْعَانٍ مِنْ
أَهْلِ الْبَلَدِ فَحَاصَرُوهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَقَتْلَ مِنْ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ^(٢) إِلَّا أَنَّ الْقَتْلَ مِنَ التَّتَرِ أَكْثَرَ
لِإِحْتِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالسُّورِ، فَاسْتَمَدَ التَّتَرُ مَلَكَهُمْ جَنْكِيزَ خَانَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ تَعَالَى فَأَمَدَّهُمْ بِخَلْقٍ كَثِيرٍ،
فَزَحَفُوا إِلَى الْبَلَدِ زَحْفًا مُتَتَابِعًا فَمَلَكُوا طَرَفًا مِنَ الْبَلَدِ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَلَدِ وَقَاتَلُوهُمْ فِي الْمَوْضِعِ
الَّذِي مَلَكُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِزَاحَتِهِمْ عَنْهُ، وَلَمْ يَزَالُوا يَقَاتِلُونَهُمْ وَالتَّتَرُ يَمْلِكُونَ مَحَلَّهُ^(٣) بَعْدَ مَحَلِّهِ،
وَكَلَّمَا مَلِكُ التَّتَرِ مَحَلَّةَ قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمَحَلَّةِ الَّتِي تَلِيهِمْ ، وَكَانَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانِ يَقَاتِلُونَ
مَعَ الرِّجَالِ، وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى مَلَكُوا الْبَلَدَ جَمِيعَهُ، وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ فِيهِ وَنَهَبُوهُ، ثُمَّ فَتَحُوا
الْجِسْرَ الَّذِي كَانَ يَمْنَعُ مَاءَ نَهْرِ جِيحُونَ عَنْ رُكُوبِ الْبَلَدِ فَدَخَلَهُ الْمَاءُ وَغَرِقَ الْبَلَدُ جَمِيعُهُ
وَتَهْدَمَتْ أُنْبِيَّتُهُ [٢٠-ظ] وَبَقِيَ لَجَّةٌ مَاءٍ ، فَسَبَحَانِ الْفَعَّالُ لَمَّا يَرِيدُ.

(١) خوارزم: ذكر ياقوت الحموي أن خوارزم ليس «اسما للمدينة إنما للناحية بجملتها». وذكر أيضا أن عاصمة هذا الإقليم كانت تسمى الجرجانية على شاطئ جيحون. وزار ياقوت الحموي تلك المدينة قبل الغزو التتري بسنة واحدة انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٩٥.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ٦١.

(٣) ورد في القاموس المحيط أن المحلة هي المنزل.

ذكر مسير التتار إلى غزنة، وانتصار المسلمين عليهم.

لَمَّا فرغ التتار من ملك خراسان وعادوا إلى ملكهم اللعين جنكيز خان جهّز جيشاً كثيفاً وسيّره إلى غزنة، وبها السلطان جلال الدين منكبرتي بن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه مالكا لها، وقد اجتمع إليه من سلم من عساكر أبيه خوارزم شاه، وكانوا ستين ألفاً فيما قيل، وكانت عدة التتار السياف كلهم اثني عشر ألفاً، فلمّا وصلوا إلى أعمال غزنة خرج إليهم المسلمون مع السلطان جلال الدين إلى مكان يُعرف بَلَقْ^(١)، فالتقوا فيه واقتتلوا قتالاً كثيراً مدة ثلاثة أيام، فنصر الله تعالى المسلمين عليهم، فانهزم التتار وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، والذين سلموا عادوا إلى اللعين جنكيز خان ملكهم وهو بالطالقان.^(٢)

ذكر عود التتار ومسيرهم إلى كابل وانتصار المسلمين عليهم مرة ثانية

لَمَّا عاد التتار إلى ملكهم اللعين الخبيث جنكيز خان، وهو بالطالقان، فسير إلى عساكر السلطان جلال الدين عسكرياً أكثر من الأول مع بعض أولاده، ووصلوا إلى كابل، فتوجه العسكر الإسلامي إليه، وتضافوا للحرب واقتتلوا قتالاً عظيماً، فانهزم التتار هزيمة عظيمة ثانياً، وقُتل منهم خلق، وغنم المسلمون أموالهم، وكانت وقعة عظيمة، وكان مع التتار من أسارى المسلمين

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٣٩٥، وبلق كانت ناحية بغزنة. انظر ياقوت الحموي: (معجم

البلدان)، ج ١، ص ٤٨٩.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦١ - ٦٢.

خلق عظيم فخلصوا من الأسر، وشفا الله قلوب المسلمين من التتار بعض الشيء ، فسبحان
الفعال لما يريد^(١)

ذكر الفتنة^(٢) التي وقعت بين المسلمين بسبب قسيمة الغنيمة

كان أمير من أصحاب السلطان جلال الدين يقال له سيف الدين بغراق تركياً^(٣)
شجاعاً مقداماً [٢١-و] صاحب رأي في الحرب ومكيدة، وكان اصطفى حرب التتر بنفسه،
وقال لعسكر السلطان: تأخروا أنتم فقد ملئتم رعباً. وهو الذي كسر التتر في الحقيقة، وكان في
المسلمين أيضاً أمير كبير يقال له ملك خان بينه وبين السلطان جلال الدين نسب، هو صاحب
هراة، فاختلف هذان الأميران لأجل قسمة الغنيمة لما يريده الله تعالى من بوار الإسلام واقتتلوا
فقتل بينهم أخ للأمير بغراق، فقال بغراق: " أنا أهرم الكفار ويُقتل أخي لأجل هذا السحت"،
فغضب وفارق العسكر، وسار إلى الهند^(٤)، وتبعه من العسكر ثلاثون ألفاً كلهم يريده.

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٢، وابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي
الفوارس أبو حفص زين الدين ت ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ -
١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٣٨.

(٢) عن هذه الفتنة انظر ايضا النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) بغراق: هو الأمير سيف الدين بغراق القلجي من منطقة خلع الواقعة قرب غزنه وهو تركي من الخلع والخلج
موضع قرب غزنه من نواحي زابلستان انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٦٢، والنسوي: سيرة
السلطان جلال الدين، ص ١٥٤، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨١.

(٤) كان سبب توجه جلال الدين الى الهند للحاق بعساكره التي انشقت عنه واسترضاه أمراؤهم وعلى رأسهم
بغراق كي يعودوا إليه و ليتمكن من التصدي لجيش جنكيز خان انظر: النسوي: سيرة السلطان جلال الدين،
ص ١٥٧ - ١٥٨.

واستعطفه السلطان جلال الدين بكل طريق، ^(١) وسار بنفسه إليه، وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى، وبكى بين يديه فلم يرجع ^(٢)، وسار مغاضباً فاتهم لذلك؛ إذ ورد الخبر بوصول اللعين جنكيز خان ملك التتر في جموعه، وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر لقاء اللعين جنكيز خان والسلطان جلال الدين وهزيمة جلال الدين ودخوله بلاد الهند

وعودة التتر إلى غزنة وتملكهم لها

فلما رأى السلطان جلال الدين خوارزم شاه ضعف المسلمين لأجل من فارقهم من العسكر الإسلامي مع الأمير سيف الدين بغراق التركي كما قدمنا شرحه، لم يقدر على المقام فلما بلغه وصول اللعين جنكيز خان ملك التتر - لعن الله من قضي منهم وخذل من بقي منهم - سار نحو بلاد الهند فلما وصل إلى ماء السند؛ وهو نهر كبير لم يجد من السفن ما يعبر فيه، وكان اللعين جنكيز خان ملك التتر يقتص أثره مسرعاً، فلم يتمكن السلطان جلال الدين من العبور حتى أدركه اللعين جنكيز خان في التتر، فتصافوا للقتال واقتتلوا قتالاً شديداً، [٢١-ظ] كان ما مضى من الحروب فيما يقال لعباً بالنسبة إليه، ودام هذا القتال ثلاثة أيام، وقتل في هذه الواقعة الأمير ملك خان المقدم ذكره وخلق كثير، وكان القتل في التتر أكثر والجراح أعظم، فرجع التتر فأبعدوا ونزلوا، ولما رأى المسلمون والسلطان جلال الدين أنهم لا مدد لهم وأنهم لا يزدادون إلا ضعفاً أرسلوا يطلبون السفن فوصلت إليهم فعبروا بها ذلك النهر، ولم يعلموا بما أصاب التتر من الجراح والقتل، ولو علموا بذلك لرجعوا إليهم وكان ربما انتصروا عليهم، لكن إذا أراد الله

^(١) ذكر ابن نضيف الحموي: أن الخلاف وقع بين بغراق وجلال الدين وذلك بخلاف باقي المؤرخين الذين ذكروا بأن الخلاف كان بين بغراق وملك خان صاحب هراه. انظر: ابن نضيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص ٨٩.

^(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٢-٦٣.

أمراً هياً أسبابه، ولما عبر السلطان جلال الدين ومن معه النهر، توجهوا إلى الهند وسار التتر، لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم إلى غزاة فملكوها لوقتها لخلوها عن من يحامي عنها^(١)، وقتلوا من بها ونهبوا، وسبوا الحريم ولم يبقوا على أحد ثم أحرقوها فأصبحت كأن لم تكن بالأمس، فسبحان من يحكم في خلقه بما يشاء ويريد.

ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم

الحسن بن أبي المكارم^(٢) أحمد بن أبي الحسين بن الديباجي، الدمشقي وفاة يُكنى أبا علي ويُلقب موفق الدين الكاتب الأجل، له شعر وكتب بخط الحسين، وكتب في ديوان الإنشاء الكامل، وتوجه رسولاً إلى الشرق، وعاد فأدركه أجله بدمشق، وتوفي في ليلة الثامن والعشرين من شهر رجب الفرد سنة سبع عشرة وستمئة هذه السنة.

الحسن بن الحسن بن علي بن ناهض^(٣) الربيعي المصري الصعيدي، يُكنى أبا علي، ويُعرف بالشهاب الربيعي الشاعر، توفي في النصف من شوال سنة سبع عشرة هذه السنة بمدينة الرها^(١) من أرض الجزيرة، ودُفن بمقبرة باب شاع بكرم الدود.

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٦٢-٣٦٣، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٢.

(٢) الحسن بن أبي المكارم القاضي موفق الدين بن الديباجي المصري الكاتب بديوان الإنشاء الكامل توجه رسولاً، وعاد فأدركه أجله بدمشق في رجب. وله شعر حسن. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٤٨٩.

(٣) الحسن بن الحسن بن علي بن ناهض: الربيعي ثم الشيباني الصعيدي أبو علي المعروف بالمعتمد القفطي المصري من أهل ققط بلدة من بلاد الصعيد شاعر مجيد فاضل حسن المحاضرة قدم حلب وأقام بها مدة كان أبو علي الربيعي عالماً بالأدب وأيام الناس وعلم النسب حسن الشعر جيده كثير المحفوظ حلو النادرة توفي بالرها في منتصف شوال سنة ثمان عشرة وستمئة ودُفن بمقبرة باب شاع بكرم الدود انظر: ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٤٠٠.

الحسن المنعوت بالجلال مقدّم الإسماعيلية ^(٢) توفي في سنة سبع عشرة هذه السنة.

طاهر بن قاضي قضاة الشام أبي المعالي ^(٣) محمد بن قاضي قضاة (٢٣-و) الشام أبي الحسن علي بن قاضي قضاة الشام أبي المفضل يحيى بن أبي الحسن علي بن أبي محمد عبد العزيز بن علي بن الحسين القرشي الأموي العثماني، يُكنى أبا العباس، ويُلقب زكي الدين الفقيه الشافعي المذهب قاضي قضاة الشافعية بدمشق المحروسة، سمع الحديث من جماعة ودخل مصر المحروسة، توفي ليلة الثالث والعشرين من صفر سنة سبع عشرة هذه السنة بدمشق وصلّى عليه بجامعها ودُفن من الغد بالتربة المعروفة لهم بجبل قاسيون.

علي بن أبي بكر بن علي سرور الجماعيل ^(٤) الدمشقي وفاة يُكنى أبا الحسن سمع الحديث من شيوخ أصبهان، توفي في الثامن عشر من شهر رجب الفرد سنة سبع عشرة هذه السنة بظاهر دمشق رحمه الله تعالى.

(١) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، وهي أورفا في تركيا الآن انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٧٦.

(٢) جَلَّالُ الدِّينِ الحَسَنُ مِنْ أَوْلَادِ الحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ مُقَدِّمِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ أَظْهَرَ فِي قَوْمِهِ شَعَائِرَ الإِسْلَامِ وَحَفِظَ الخُدُودَ وَالْمَحَرَّمَاتِ وَالْقِيَامَ فِيهَا بِالزَّوْجِ الشَّرْعِيِّ. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٤٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١١٣، وابن الوردي: تنمة المختصر، ج ٢، ص ٢١٣، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٨٣-٨٤، وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ٣٣٦-٣٣٨.

(٤) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ٣٥٧.

عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر المقدسي الدمشقي يُكنى أبا حفص^(١)، وقيل: أبا عبد الله، ويُلقب موفق الدين الفقيه الشافعي المذهب حدّث عن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي، وغيره، وخطب بدمشق مديدة نيابة عن خطيبها^(٢).

وكان خطيب بيت الآبار^(٣) قرية من قرى دمشق، توفي في ليلة الحادي والعشرين من شهر رجب الفرد سنة سبع عشرة هذه السنة ببيت الآبار^(٤) ودُفن من الغد رحمه الله تعالى.

عبد الله بن الشيخ أبي بكر المصري^(٥) وفاة يُكنى أبا محمد ويُعرف بالشنقيطي، رأيتُ بخط بعض الأخوان وأخبرني قال: زرت القرافة^(٦) فشاهدتُ بسفح المقطم خارج تربة تُعرف معاذ بن بن جبل على عمود رخام مُلقى عند قبر هناك ما مثاله بعد البسطة الشريفة: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} ^(٧) إلى آخر الآية هذا قبر الفقير إلى الله تعالى الشيخ أبي

(١) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤ ، ص ٤١٥ وأبي شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٣٢.

(٢) خطيبها الدُولعي: هو محمد بن أبي الفضل بن زيد بن ياسين الملقب جمال الدين التغلبي الأرقمي الدُولعي ولد بالدُولعية من قرى الموصل سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ، وقدم دمشق حيث تفقه على عمه عبد الملك ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م خطيب دمشق ، ثم ولي الخطابة بعده توفي بدمشق سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م ، ودُفن بمدرسته التي أنشأها بحيرون انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤ ، ص ٤١٥ ، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦ ، ص ٣٠٢ ، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥ ، ص ١٧٤ ، وديوان ابن عيين، ص ١٤٣.

(٣) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ، ص ٩٠ ، وأبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥ ، ص ١٩٨.

(٤) (بيت الآبار): جمع بئر: قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق فيها عدّة قرى انظر: معجم البلدان، ج ١ ، ص ٥١٩.

(٥) لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة بين يدي.

(٦) انظر: طبقات الشافعية، ج ٥ ، ص ١٢٥.

(٧) {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا وَ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا } . الأحزاب: الآية: ٢٣-٢٤-٢٥ ص ٢٢-٢٥، والمقرئ (أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين): إمتاع=

محمد عبد الله بن الشيخ أبي بكر المعروف بالشنقيطي، توفي في التاسع والعشرين [٢٣-ظ] من جمادى الآخر سنة سبع عشرة هذه السنة.

مالك قتادة بن الشريف أبي^(١) إدريس بن الشريف مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي العلوي الشريف الحسني رضي الله عنهم، يُكنى أبا عزيز سلطان مكة المشرفة تولى إمرة مكة المشرفة، وقدم مصر غير مرة، وقدم معه أخوه الشريف أبو موسى عيسى بن إدريس، ولقتادة المذكور شعر، وُلد بوادي ينبع من الحجاز الشريف وبه نشأ. وتوفي في أواخر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة هذه السنة بمكة المشرفة وقيل كانت وفاته سنة ثمانى عشرة وستمئة، ويُقال: إنه بلغ تسعين سنة.

القاسم بن الحافظ أبي القاسم^(٢) علي بن الإمام الحافظ أبي محمد القاسم بن الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي وفاة يُكنى أبا محمد .

=الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج١٥، ص٢٩.

(١) انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢٢، ص٢٥٣ وج٨ ص٤٠١، وأبي شامة: الذيل على الروضتين، ج٥، ص١٨٦، ١٢٥، وابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٧٦، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص٢٥١، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٤٥ -

٣٤٦، وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٦٢ - ١٦٣، والمقريزي: السلوك، ج١، ص٢٠٦. (٢) عماد الدين أبو القاسم علي بن القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمئة وسمع من أبيه وعبد الرحمن بن الخرقى وإسماعيل الجنزوي، ورحل إلى خراسان فكان آخر من رحل إليها من المحدثين، وأكثر عن المؤيد الطوسي ونحوه، وكان صدوقاً ذكياً فهماً حافظاً مجداً في الطلب. انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص١٢٥ وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٨٥ وذكر في العبر أنه توفي سنة ٦١٦ هـ انظر: العبر، ج٣، ص١٧٠ وذكر المنذري أنه توفي سنة ٦١٦ هـ انظر: التكملة لوفيات النقلة، ص٣٨٤، ٣٨٥.

ويُعرف بابن عساكر^(١) سمع بدمشق من جماعة، ورحل به أبوه إلى العراق وخراسان وغيرها من البلاد وأسمعه الكثير، واخترمته المنية شاباً يقال: إنه لم يبلغ ثماني عشرة سنة، وقيل: إنه حدث توفي في ليلة العشرين من جمادى الأولى سنة سبع عشرة هذه السنة بدمشق، ودُفن من الغد عند جدّه أبي القاسم بباب الصغير رحمه الله تعالى.

محمد بن شيخ الشيوخ^(٢) الإمام عماد الدين أبي الفتح عمر بن الفقيه أصيل خراسان أبي الحسن علي بن الإمام الزاهد. [٢٤ و].

أعلم الزهاد أبي عبد الله محمد بن حموية بن محمد بن حموية الجويني^(٣) الحموي الخراساني النيسابوري البحر آبادي، يكنى أبا الحسن، ويلقب صدر الدين الشيخ الإمام العلامة الشافعي المذهب من بيت كبير بخراسان، كان فقيهاً فاضلاً سمع بهذان من والده وغيره، وسمع

(١) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٨٠، وأبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٨٤ وقد ذكر ترجمته ضمن سنة ٦١٧هـ ١٢٢٠م، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣١١ وأبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٥٥ واسمه عنده "أبو الحسن علي بن القاسم بن الحسن الدمشقي الحافظ بن الحافظ ابن الحافظ المعروف بابن عساكر". انظر: ابن الوردي: تنمة المختصر، ج ٢، ص ٢٠٦ وكذلك ورد اسمه عنده.

(٢) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٦، ص ٢٩٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٩٣، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط ١، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، ج ١ ص ٤٠٩، وابن العماد: شذرات الذهب، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ج ٧، ص ١٣٧ وج ٥، ص ٧٧، وابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٤، ص ٣٠٨، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٥١.

(٣) الجويني: بضم الجيم وفتح الواو نسبة إلى جوين ناحية كبيرة من نواحي نيسابور وهي اسم كورة جلييلة نزهة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور تسميها أهل خراسان كويان فعربت فقيل جوين انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٦٧-١٧٠، وابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، ج ١، ص ٢٧٥-٢٧٧، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٢.

بدمشق أبي الفرج يحيى بن محمود الثقفي، وحدث وتفقّه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه.

على الإمام أبي طالب محمود بن محمد بن أبي طالب الأصبهاني صاحب التعليقة المشهورة وغيره، وقدم الشام وتفقّه على الإمام قطب الدين أبي المعالي مسعود بن محمد النيسابوري^(١)، ودرس وأفتى، وتولّى المناصب الكبيرة بالديار المصرية والبلاد الشامية، ووالده الشيخ عماد الدين، قدم دمشق وسكنها إلى أن توفي بها، وجده أبو الحسن علي خرج إلى طوس، وأقام عند أبي حامد الغزالي، وكان الشيخ صدر الدين شيخ الشيوخ بمصر والشام صوفياً صالحاً، وله بنين أربعة تقدّموا عند الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل صاحب الديار المصرية.

وُلد صدر الدين المذكور في شوال سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع عشرة هذه السنة بالموصل ، ودُفن في صحراء المعافا^(٢) في تربة قضيب البان إلى جانب قبره رحمهما الله تعالى.

جوين^(٣) التي نُسب شيخ الشيوخ صدر الدين المذكور وأهل بيته إليها ناحية كبيرة من نواحي نيسابور، وإليها ينسب إمام الحرمين^(٤) أبو المعالي عبد الملك، ووالده.

(١) قطب الدين النيسابوري: مسعود بن محمد بن مسعود شيخ الشافعية، ولد بنيسابور سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م وتفقّه بها ودرس بنظامية نيسابور، واشتغل بالوعظ ثم رحل إلى بغداد ووعظ بها ثم رحل إلى دمشق وحلب ودرس بهما توفي سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م انظر: الذهبي: تاريخ الاسلام، ج ٤٠، ص ٢٧١-٢٧٣، وابن قاضي شهابية: طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٢٢٠٢٤.

(٢) لم أجد ترجمة لها في المصادر المتوفرة بين يدي.

(٣) جوين: من نواحي نيسابور انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٧٠١.

(٤) إمام الحرمين: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني رئيس الشافعية بنيسابور ولد بنيسابور سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٨م وأخذ العلم عن علمائها ثم رحل إلى مكة وأقام بها أربع سنين يفتي ويدرس ويجمع طرق =

فأما أبو المعالي^(١) محمد بن الحسين بن عبد الله الجويني فهو منسوبٌ إلى جُوين، قرية من قرى سرخس، وهو إمام فاضل يُرجعُ إليه في الفتاوى.

وأما زياد بن قيس الجويني من شعراء سننيس فهو منسوب إلى جُوين بطن من سننيس^(٢) [٢٤ظ]

محمد بن عمر بن عبد الغالب^(٣) بن نصر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الدين
محمد بن عبد الرحمن بن بشر بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي
العثماني الدمشقي، يُكنى أبا عبد الله، سمع الحديث بدمشق من أبي الحسين أحمد بن حمزة
السلمي المعروف بابن الموازيني، وأبي محمد عبد الرحمن بن علي بن المسلم المعروف بابن
الخرقي، وأبي طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي وغيرهم. ودخل فسمع بها من أبي الفرج عبد
المنعم بن عبد الوهاب بن كليب، وجماعة من أصحاب أبي القاسم بن الخضر، وأبي غالب بن
البناء، وأبي القاسم الحريري^(٤)، وسمع بأصبهان من أبي الحسن مسعود بن أبي منصور محمد
الخال، وأبي سعيد جليل بن بدر الداراني وأبي المكارم أحمد بن محمد اللبان وغيرهم. وسمع
بنيسابور من الإمام أبي سعد عبد الله بن عمر الصفار، وجماعة من أصحاب أبي عبد الله

=مصنفاته: " نهاية المطلب في دراية المذهب" والإرشاد في أصول الدين وغير ذلك انظر: ابن خلكان: وفيات
الأعيان، ج ٣، ص ١٦٧-١٧٠ وابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج ١، ص ٢٧٥-٢٧٧.

(١) انظر: الدر الثمين، ص ١١٢.

(٢) سننيس: بطن من طيء من القحطانية وهم: بنو سننيس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث
بن طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. انظر: كحالة: معجم قبائل العرب القديمة
والحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ج ٢، ص ٥٥٧.

(٣) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ٤٢٦، ج ١٠، ص ١٥، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥
ص ٨٢ ووردت سنة وفاته عند الذهبي ٦١٨ هـ.. انظر: العبر، ص ١٧٨.

(٤) الحريري: هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري كان أحد أئمة عصره، اشتهر بالمقامات
التي اشتملت على شيء كثير من كلام العرب، مولده سنة ٤٤٦ هـ ١٠٥٤ م، وتوفي سنة ٥١٦ هـ ١١٢٢ م
انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦٣-٦٧ وابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك
الأنصار، السفر الثاني عشر، ص ٣٩.

الفراوي^(١)، وزاهر الشحامي وأخيه وجيه، وقدم مصر وسمع من الحافظ أبي الحسن علي بن المفضل المقدسي وغيره، وحدث بدمشق وحلب وغيرهما، قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليغموري: سمعتُ منه: وُلد في الرابع من شهر رجب سنة تسع وستين وخمسمئة ببيت إلهيا . (٢)

وتوفي في العُشر الأوسط من المحرم سنة سبع عشرة هذه السنة بمدينة طيبة^(٣) على ساكنها سيدنا ونبينا محمد رسول الله أفضل الصلوات والسلام.

محمد بن خلف بن راجح^(٤) بن بلال بن هلال بن عيسى بن موسى بن الفتح بن زريق المقدسي الأصل الدمشقي الدار والوفاة ، يُكنى أبا عبد الله وينعت شهاب الدين الفقيه بالحنبلي المذهب، سمع بدمشق من أبي المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلم [٢٥-و] الأزدي، وقدم مصر، وسمع بالإسكندرية من الحافظ السلفي، وسمع ببغداد من أبي محمد بن الخشاب، وأبي الحسن عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف وفخر النساء شهدة، وغيرهم، وتفق ببغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وحدث.

(١) توفي سنة ٥٣٠ هـ ١١٣٥ م.

(٢) بَيْتٌ لِهَيْي: بكسر اللام وسكون الهاء وياء وألف مقصورة كذا يتلفظ به والصحيح بيت الإلاهة: وهي قرية مشهورة بغوطة دمشق. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢٢.

(٣) طَيْبَةُ: بالفتح ثم السكون ثم الباء موحدة: وهو اسم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها طيبة وطابة من الطيب وهي الرائحة الحسنة لحسن رائحة تربتها فيما قيل، والطاب والطيب لغتان وقيل: من الشيء الطيب وهو الطاهر الخالص لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه قال الخطابي: لطهارة تربتها وهذا لا يختص بهناك لأن الأرض كلها مسجد وطهور انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٣.

(٤) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ، ص ١١٣ ، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥ ، ص ٨٢ ، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦ ، ص ٢٥٢ وذكر وفاته سنة ٦١٨ هـ ، أبي شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥ ، ص ١٩٧ ، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ، ص ٤١٠ ، والذهبي: العبر، ج ٥ ، ص ٧٥.

قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليغموري: ^(١) سمعت منه بدمشق، ولد في سنة تسع وخمسين وخمسمئة بجماعيل ^(٢)، وتوفي في التاسع والعشرين من صفر سنة سبع عشرة هذه السنة بدمشق، ودفن من الغد بسفح قاسيون ^(٣).

محمد بن عبد الرحمن بن أبي العز الواسطي ^(٤) الموصلي وفاة، يُكنى أبا الفرج التاجر، سمع الحديث ببغداد من الشريف النقيب أبي جعفر محمد بن محمد العباسي، وأبي الوقت عبد القوي، وأبي المظفر محمد بن أحمد بن البرمكي وغيرهم، وحدث ببغداد والموصل وحلب ودمشق وغيرها.

(١) الحافظ اليغموري: يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الحافظ جمال الدين اليغموري أبو المحاسن الأسدي الدمشقي؛ ولد في حدود الستئة وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبعين وستئة سمع الكثير بدمشق والموصل ومصر والإسكندرية، وعني بالحديث وتعب وحصل وكتب الكثير من الحديث والأدب وكان له فهم ومعرفة وإتقان ومشاركة في الآداب والتواريخ وله مجاميع حسنة. وتوفي عند شهاب الدين ابن يغمور، وكان يصحب والده. انظر: صلاح الدين (محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر): فوات الوفيات، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ م، ج ٤، ص ٣٣٨.

(٢) جماعيل: بالفتح وتشديد الميم وألف وعين مهملة مكسورة وياء ساكنة ولام: قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين بينها وبين بيت المقدس يوم انظر: ابن شمائل (عبد المؤمن بن عبد الحق): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ، ج ١ ص ٣٤٥، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٩.

(٣) لقاسيون سفحان يفصل بينهما نهر يزيد فما كان على ضفته الشمالية فهو السفح الأعلى واسع خال من الماء لم يكن ينتفع إلا لزراع الحنطة والشعير وفيه بناء محلة دير مران " ودير مران" بالقرب من دمشق على تلّ مشرف على مزارع الزعفران. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٣٣. أما السفح الأدنى فهو على ضفة يزيد الجنوبية وهو سفح مزدهر ناضر نسقه الإنسان ونظمه وغرست فيه أنواع أشجار مثمرة فسفح قاسيون هو خير بقعة زراعية في دمشق لطيب أرضه ووفرة مياهه. انظر: ابن طولون (محمد بن طولون الصالحي ت ٩٥٣): القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تح: محمد أحمد دهمان، ط٢، دمشق، ١٤٠١ هـ، ص ١٩٨٠، ص ٤٣.

(٤) الذهبي: مختصر تاريخ الديبثي، ج ١، ص ٣٨.

قال الحافظ جمال الدين يوسف اليعموري سمعتُ منه بالموصل، وُلِدَ في سنة سبع عشرة وخمسمئة تقديراً بواسطه، وتوفي في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وستمئة هذه السنة بالموصل، ودُفِنَ بها رحمه الله تعالى.

منصور بن الرئيس المجاهد ^(١) أبو عبد الله محمد بن اسحاق الكنانى الدمياطى المصرى، يُكنى أبا الفتح الرئيس المجاهد، وُلِيَ رئاسة الغزاة في البحر المالح ^(٢) بعد والده مدة طويلة.

قال الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذرى ^(٣) رحمه الله تعالى: سمعته يقول لي خمس وأربعون سنة أجاهد على ظهر البحر، توفي في الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمئة هذه السنة بدمياط من الديار المصرية [٢٥-ظ] وحُمِلَ إلى مصر، ودُفِنَ بسفح المقطم ^(٤) رحمه الله تعالى.

موسى بن الحسين بن موسى الأربلي ^(٥)، يُكنى أبا الحسين الفاضل الكاتب، اشتغل بالبحر وقال الشعر وله طبع مطاوع في النثر والنظم، كتب للسلطان مظفر الدين صاحب أربل، وُلِدَ في المحرم سنة اثنين وسبعين وخمسمئة، وتوفي في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع عشرة هذه السنة ودُفِنَ من الغد بداره بأربل رحمه الله تعالى.

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤ ، ص ٤٣٢.

(٢) البحر المالح: هو المعروف بالبحر المتوسط الآن انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤ ، ص ٤٣٢.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ، ص ٢٤٥.

(٤) المقطم: بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الطاء المهملة وفتحها وميم: وهو الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة وهو جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطئ النيل الشرقي حتى يكون منقطعة طرف القاهرة ، ويسمى في كل موضع باسم انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ١٧٦،

والطهطاوي(رفاعة بك): جغرافية ملطبرون، ج ٣، ص ٩٩.

(٥) لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة بين يدي.

المؤيد بن محمد بن علي الطوسي^(١) الأصل النيسابوري الدار والوفاء، يُكنى أبا الحسن الشيخ المسند، لقي جماعة من الأعيان وأخذ عنهم، سمع الصحيح لمسلم من الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفضل القراوي، وهو آخر من بقي من أصحابه، وسمع صحيح البخاري من أبي بكر وجيه بن أبي طاهر محمد الشَّحامي، وأبي الفتوح عبد الوهاب^(٢) بن شاه بن أحمد الشاذياخي^(٣)، وسمع الموطأ برواية أبي مصعب، إلا ما استثنى منه من أبي محمد هبة الله بن سهل بن عمر البسطامي^(٤) المعروف بالسندي وسمع تفسير القرآن العزيز تصنيف أبي اسحاق الثعلبي، وسمع أيضاً من جماعة من شيوخ نيسابور منهم الفقيه أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخواري، وأبو العباس يحيى بن محمد الطوسي، وحدث بالكثير ورحل إليه من الأقطار.

قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان^(٥): لي منه إجازة كتبها من خراسان باستدعاء الوالد في جمادى الآخرة سنة عشر وستمئة، وُلد سنة أربع وعشرين وخمسمئة بها، وتوفي في ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة هذه السنة بنيسابور، ودُفن من الغد رحمه الله تعالى[٢٦].

(١) أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٢٨، واليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد ت ٧٢٦هـ): ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ج ١، ص ٢٥٤، وأبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٦٠.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٤٠، ص ٢٤٣.

(٣) الشاذياخي: بفتح الشين المعجمة والذال المعجمة الساكنة والياء المفتوحة المنقوطة باثنتين من تحتها الألفين وفي آخرها الخاء المعجمة. هذه النسبة إلى موضعين، أحدهما إلى باب نيسابور مثل قرية متصلة بالبلد بها دار السلطان وشاذياخ: قرية ببلخ على أربعة فراسخ منها والنسبة إليها الشاذياخي انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٥، ص ٣٦٦.

(٤) بسطام: مدينة في مقاطعة قومس وتمتاز بكثرة بساطينها وإليها ينتسب أبي محمد هبة الله بن سهل بن عمر البسطامي انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٠، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٨٩.

(٥) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٣٣.

موسى بن الشيخ أبي محمد^(١) عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن حبكي دوست الجيل الأصل البغدادي المولد الدمشقي الدار، يُكنى أبا نصر سمع من والده، ومن أبي القاسم سعيد ابن أحمد بن البناء، وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ، وأبي الوقت، وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد، وغيرهم ودخل مصر، وحدث بدمشق.

قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعموري: سمعتُ منه بدمشق. وُلد في سلخ شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين، ويُقال: سنة سبع وثلاثين وخمسمئة، وتوفي في ليلة مستهل جمادى الآخرة سنة سبع عشرة هذه السنة بالعقبة^(٢) بظاهر دمشق، ودُفن بسفح قاسيون، وهو آخر من مات من أولاد الشيخ عبد القادر رحمه الله.

مسلم بن أبي الثنا محمود بن نجم^(٣) بن أرسلان الشيرازي اليمني يُكنى أبا الغنائم الأديب، كان أديباً شاعراً صنّف للملك المعز فتح الدين إسماعيل بن طغتكين الأيوبي صاحب اليمن، وكتابه الذي سمّاه عجائب الأسفار وغرائب الأخبار أودع فيه من أشعاره وأخبار الناس شيئاً كثيراً، كان أبو الغنائم موجوداً في سنة سبع عشرة هذه السنة قيل: إنه توفي في سنة سبع عشرة هذه السنة أو السنة التي بعدها والله أعلم.

(١) انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١١، ص ٧، ص ١٤٦، وج ٥، ص ٨٢، وابن تغري بردي: النجوم

الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٥٢، والذهبي: العبر، ص ١٧٨.

(٢) العقبة: من أحياء دمشق المعروفة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٧، ص ٦٢١.

(٣) انظر: السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م): الأنساب، تح: عبد الرحمن

بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م،

ج ١٣، ص ٤٢٠.

ناصر بن مهدي الشريف العلوي^(١) الهاشمي البغدادي يُلقب نصير الدين، كان وزيراً الخليفة الناصر لدين الله العباسي، توفي في سنة سبع عشرة هذه السنة [٢٦-ظ].

هبة الله بن الشيخ الأجل^(٢) أبي طالب الخضر بن الشيخ الأجل أبي محمد هبة الله بن الشيخ الأجل أبي البركات أحمد بن عبد الله بن علي بن طائوس بن موسى بن العباس بن طائوس البغدادي الأصل الدمشقي المولد والدار والوفاء، يُكنى أبا محمد ويلقب سديد الدين العدل، حدّث عن الفقيه أبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي الأدمي، وأبي القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل السوسي، وجماعة سواهما، وهو من بيت الحديث، والده أبو طالب الخضر، كتب عنه الحافظ أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن صصرى وغيره، وجده أبو محمد هبة الله إمام جامع دمشق.

وُلد السديد هبة الله في سنة سبع وثلاثين وخمسئة بدمشق وتوفي في ليلة السابع من جمادى الأولى سنة سبع عشرة هذه السنة بدمشق ودُفن من الغد بباب الفرديس^(٣).

(١) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٧٤٥، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٧٨، والذهبي: العبر، ج ٣، ج ١٢، ص ١٧٦.

(٢) انظر: ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٤، ص ١٩١، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٨٣، ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٥٢ وذكر في العبر وفاته سنة ٦١٨ هـ انظر: العبر، ص ١٧٨ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٩٠ وابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧١ هـ): تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٧٣، ص ٣٨٥.

(٣) باب الفرديس: شمالي مدينة دمشق يسمى اليوم باب العمارة انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٣٤٩ وصلاح الدين المنجد: دمشق القديمة، ص ٥٨.

يحيى بن الفقيه أبي السعادات^(١) سعد الدين أبي عبد الله الحسين بن أبي غالب محمد بن أبي تمام ، واسمه يحيى بن السري التكريتي ، يُكنى أبا الفتوح الشيخ الصالح، سمع الحديث ببلدة تكريت من والده ومن جماعة، وسمع ببغداد من أبي المظفر هبة الله أحمد بن الشبلي وأبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيل، وأبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي^(٢) وغيرهم وعمل ببلده داراً للحديث، كان يُحدّث بها، وُلد في شهر رجب الفرد سنة إحدى وثلاثين وخمسمئة وتوفي في المحرم، وقيل أول صفر سنة سبع عشرة هذه السنة بتكريت ودُفن بها رحمه الله تعالى. ^(٣)

وانضاف إليهم مملوك للسلطان أوزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان يسمى أقوش^(٤)، وجميع المسلمين من أهل تلك الجبال والصحراء من التركمان والأكراد وغيرهم، وساروا في مقدمة

(١) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤ ، ص ٤٣٥ وج ١٠ ، ص ١٧، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٣ ، ص ٣٤، والسبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥ ، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٢) أبو النجيب السهروردي: هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه ولد بسهرورد سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م وقدم بغداد ونفقه بالمدرسة النظامية، ثم سلك طريق التصوف، وبنى رباطاً ببغداد وسكنه جماعة من أصحابه الصالحين، ثم تولى التدريس بالمدرسة النظامية، وكان شيخ وقته ، وكانت وفاته سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م ببغداد. انظر: الأصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر، تح: عدنان محمد آل الطعمة، مؤسسة الطباعة والنشر، ط ١، طهران، د. ت، ج ٣، ص ١٤١ - ١٤٢ ، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) سبق التعريف بها.

(٤) أقوش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجيب أبي سعيد الصالحي أعتقه الملك نجم الدين أيوب الكامل وجعله من أكابر الأمراء وولاه أستاذ داريته وكان يثق إليه ويعتمد عليه وكان مولده في سنة تسع أو عشر وستمئة وولاه الملك الظاهر أيضاً أستاذ داريته ثم استنابه بالشام تسع سنين فاتخذ فيها المدرسة النجيبية ووقف عليها أوقافاً دارة واسعة لكن لم يقرّر للمستحقين قدرًا يناسب ما وقفه عليهم ثم عزله السلطان واستدعاه لمصر فأقام بها مدة بطالاً ثم مرض بالفالج أربع سنين، وقد عادته في بعضهما الملك الظاهر ولم يزل به حتى كانت وقافته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدرب الملوخية ودُفن يوم الجمعة قبل الصلاة بترتبه التي أنشأها بالقرافة الصغرى. وأستادار هو الذي يتولى شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان ويمشي بطلب السلطان وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه من بيت =

التتر إلى الكرج، ففتحوا حصنا من حصونهم. وخرّبوا البلاد، ونهبوها، وقتلوا أهلها، وسبوا ما لا يحصى حتى قربوا من تقليس^(١)، فخرج إليهم جموع الكرج في حدها وحديدها، فلقبهم أقوش مملوك السلطان أوزبك بن البهلوان فيمن اجتمع إليه واقتلوا قتالا شديداً، فقتل من أصحاب أقوش خلق كثير، وأدركهم التتار، وقد تعب الكرج من القتال فانهزموا من التتار قبح هزيمة، وركبهم التتر من كل جانب، فقتل منهم ما لا يحصى كثرة.

وكان ذلك في ذي القعدة من سنة سبع عشرة هذه السنة، ثم كان ما سنذكره في سنة ثمانى عشرة السنة الآتية إن شاء الله تعالى^(٢).

=السلطان من النفقات والكساوى. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٠ والنسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٤٧، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٢٩.

(١) تقليس: عاصمة جورجيا انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥-٣٦، والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٢٤٨ والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٦٤.

(٢) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤٥-٣٤٦ مع فرق بسيط أن ابن الفرات ذكر أن عدد قتلى أهل قزوین كانوا ٤٠ ألفاً بينما ابن الأثير ذكر أن العدد أكثر من ٤٠ ألف قتيل.

ذكر قتال التتار وأهل قزوين وصلحهم وصاحب أذربيجان^(١).

لما ملك التتار زنجان^(٢) قصدوا قزوين^(٣)، فاعتصم أهلها بمدينةنتهم، فحاصروها ثم هاجموها كالشياطين، واقتتلوا هم وأهل البلد في البلد بالسكاكين، وقتل من الفريقين ما لا يُحصى، وذكر أنه عُدَّ قتلَى أهل قزوين فكانوا أربعين ألفاً، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قصد التتار أذربيجان وأهلكوا كل من كان في طريقهم من أهل القرى والمدن.

وكان صاحب أذربيجان السلطان أوزبك بن البهلوان^(٤) أحد غلمان السلجوقية، فلم يخرج إليهم لإنشغاله بالشرب واللهو، إنما أرسل إليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب حملها إليهم فساروا

(١) أذربيجان: بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم، وهي جمهورية إسلامية تقع غربي بحر قزوين يحدها من الغرب أرمينيا ومن الشمال الغربي جورجيا ومن الشمال داغستان ومن الجنوب إيران وأذربيجان في الإقليم الخامس، طولها ثلاث وسبعون درجة وعرضها أربعون درجة انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٨.

(٢) زَنْجَانُ: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم جيم وآخره نون: بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، وهي قريبة من أبهر وقزوين والعجم يقولون: زنكان بالكاف وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب والحديث انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٢، وابن كثير: التعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية، ج ٢، ص ٣٨.

(٣) قَزْوِينُ: بالفتح ثم السكون وكسر الواو وياء مثناة من تحت ساكنة ونون: مدينة مشهورة بينها وبين الزِّي سبعة وعشرون فرسخا وإلى أبهر اثنا عشر فرسخا وهي في الإقليم الرابع طولها خمس وسبعون درجة وعرضها سبع وثلاثون درجة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٤٢، الهمداني (أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي): الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تح: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥ هـ، ج ١ ص ٧٧٦.

(٤) انظر: الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، مطابع دار السراج، ط ٢، ١٩٨٠ م، ج ١ ص ٢١.

إلى ساحل البحر؛ لأن البرد كان فيها اشتدّ، فطلبوا أن يشتوا في أماكن قليلة البرد كثيرة المرعى، وكان ما -سنذكره إن شاء الله تعالى- ^(١).

ذكر ما اتفق بين التتر والكُرج ^(٢) من القتال.

لما سار التتار - لعن الله تعالى من قضى منهم، وخذل من بقي منهم - إلى ساحل البحر كما قدمنا شرحه، وصلوا [٨-ظ] إلى موكان [موقان] ^(٣)، ومروا في طريقهم بأطراف بلاد الكرج فخرج لهم نحو عشرة آلاف من الكرج فقاتلوهم فانهزمت الكرج، وقتل أكثرهم، فأرسلت الكرج إلى السلطان أوزبك صاحب أذربيجان يطلبون منه الصلح والاتفاق معهم على دفع التتر عن البلاد، فاصطلحوا ليجتمعوا إذا انحسر الشتاء ^(٤)، كذلك أيضا راسلوا السلطان الملك الأشرف بن الملك العادل صاحب خلاط والبلاد الشرقية، وظنوا جميعهم أن التتر يصبرون إلى دخول الربيع، فلم يفعلوا، وساروا إلى بلاد الكرج، وقتلوا من بها ونهبوا، وسبوا الحريم، ولم يبقوا على أحد ثم أحرقوها فأصبحت كأن لم تكن بالأمس، فسبحان من يحكم في خلقه بما يشاء ويريد.

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤٦، والحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ج ١، ص ٢١.

(٢) الكرج: جورجيا : انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٠.

(٣) موقان: بالضم ثم السكون والقاف وآخره نون وهي مدينة تقع جنوب مصب نهر الروس شمال جبال طالس ضمن سهل عظيم يمتد من جبل سيلان حتى ساحل بحر قزوين الشرقي انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٥، وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٠٩ - ٢١١.

(٤) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤٦.

[٢٧-و]

ذكر الحوادث في سنة ثمانى عشرة وستمئة

في أوائل هذه السنة قدم الملك المظفر خلاط وتسلمها واستولى عليها وعلى جميع بلادها، وتعرف هذه الأعمال بأرمينية، وكان السبب في تسليم هذه البلاد إلى الملك المظفر أن التتر لما قصدوا بلاد الكرج، وهزموهم ونهبوا بلادهم وقتلوا كثيرا من أهلها كما قدمنا شرحه، أرسل الكرج إلى السلطان أوزبك بن البهلوان صاحب بلاد أذربيجان وأران يطلبون منه المهادنة والموافقة على دفع التتار عن البلاد.

وأرسلوا إلى الملك الأشرف صاحب خلاط والبلاد الشرقية في هذا المعنى، وقالوا للجميع إن يوافقوا على قتال التتار ودفعهم عن البلاد ويحضرون بنفوسكم وعساكركم، لهذا المهم وإلا صالحناهم عليكم، فوصلت رسلتهم إلى الملك الأشرف، وهو يتجهز للمسير إلى نجدة أخيه الملك الكامل؛ ليدفع الفرنج عن الديار المصرية، وكان ذلك عنده أهم الوجوه لأسباب: أحدها أن الفرنج ملكوا ثغر دمياط، وقد أشرفت الديار المصرية على أن يملكها الفرنج، ولو ملكوها لم يبق بالشام ولا غيره معهم ملك لأحد.

وثانيها أن الفرنج أشد شكيمة من التتار، وطالبوا ملك وإقامة ملّة، فإذا ملكوا قرية لا يفارقونها إلا بعد العجز الكلي عن حفظها يوما واحدا.

وثالثها أن الفرنج قد طمعوا في كرسي مملكة البيت الأيوبي وهو مصر، والتتار لم يصلوا بعد إليها ولم يتجاوزوا بلاد العجم، وليس غرضهم إلا النهب والقتل وتخريب البلاد والانتقال من [٢٨-و] بلد إلى آخر، فلما وصل رسل الكرج إلى الملك الأشرف بما ذكرناه، اعتذر إليهم

بالمسير إلى مصر لدفع الفرنج، وقال لهم: إنني قد اقطعت مملكة خلاط لأخي وسيرته إليها ليكون بالقرب منكم، وتركت عنده العساكر فمتى احتجتم إلى نصرته لدفع التتار حضر اليكم ودفعهم عنكم والله أعلم. ^(١).

ذكر قصد التتار توريز وغيرها من بلاد الإسلام

في أوائل هذه السنة قصد التتار توريز [تبريز] فصانعهم صاحبها بمال، وثياب، ودواب فقصدوا مراغه، وصاحبها امرأة مقيمة بقلعة رويندز ^(٢)، فنصبوا على مراغه المجانيق ^(٣) وحاصروها عدة أيام، وبين أيديهم أسارى المسلمين يزحفون إليها - وهذه عادتهم أبداً في حروبهم - ثم ملكوا مراغه رابع صفر من هذه السنة، ووضعوا السيف فيها، فقتلوا ما لا يقع عليه حصراً، وأحرقوا البلد، ورمى الله تعالى الخذلان العظيم في المسلمين فذكر أن امرأة من التتار دخلت داراً وقتلت جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلاً، ثم وضعت السلاح فغُرف أنها امرأة فقتلها بعض أسراها ^(٤). وذكر أن رجلاً من التتار دخل درباً فيه ما يزيد على مئة رجل فقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ولم يمد أحد يده إليه لما ركبهم من الذلة والخذلان، ثم رحل التتار

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٦٤، ٣٦٥، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٠.

(٢) رويندز: قلعة حصينة من أعمال أذربيجان قرب تبريز. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٣٧٧ (حوادث ٦١٧)، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٠٥، والنسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص ٢٦٤.

(٣) استعمل العرب المنجنيق منذ أيام الرسول الكريم والمجانيق أنواع مختلفة أهمها ما يستعمل في رمي السهام انظر: عبد الرحمن زكي: كتاب السلاح في الإسلام، ص ٥٨ - ٥٩.

(٤) انظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨ هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج ٥، ص ١٣٣.

قاصدين بلاد أربل، ووصل خبرهم إلى الموصل، فهم أهلها بالهرب خوفاً من السيف، فأرسل السلطان مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فطلب منه نجدة فسير إليه جمعا من عسكر الموصل، وأراد أن يمضي إلى طرف البلاد من جهة التتار ويحفظ المضائق لئلا يجوزوها، وهي مضائق لا يجوزها [٢٨-ظ] إلا الفارس بعد الفارس ووصلت كتب الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ورُسله إلى الملك مظفر الدين، والملك بدر الدين يأمرهما بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا، ليمنعوا التتار، فإنهم ربما عدلوا عن جبال أربل لصعوبتها إلى هذه الناحية، ويطلقون العراق فسار الملك مظفر الدين في عسكره وعسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة خلق كثير، وأرسل الخليفة الناصر لدين الله إلى الملك الأشرف بن الملك العادل صاحب البلاد الجزرية وخلاط يأمره بالحضور بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتار، فاتفق في ذلك الوقت أن الملك المعظم بن الملك العادل صاحب دمشق وصل إلى الشرق - كما سنذكره إن شاء الله تعالى - بطلب من أخيه الملك الأشرف أن يسير معه بنفسه إلى مصر ليستقذوا ثغر دمياط من الفرنج، واعتذر الملك الأشرف إلى الخليفة بأخيه الملك الكامل صاحب مصر وقوة الفرنج بالديار المصرية، وإن لم يتداركوها ملكت الفرنج الديار المصرية والبلاد الشامية، واستأصلت بلاد الإسلام هذا ما كان من هؤلاء، وأما ما كان من السلطان مظفر الدين والعساكر الإسلامية والتتار فإن السلطان مظفر الدين والعساكر لما اجتمعوا بدقوقا بعث الخليفة الناصر لدين الله أمير المؤمنين إليهم مملوكه قشتمر، وهو أكبر أمراء الخليفة ومعه نحو ثمان مائة فارس فاجتمعوا هناك ليتصل باقي عساكر الخليفة بهم، والمقدم على الجميع السلطان مظفر الدين، فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتار.

حكى السلطان مظفر الدين قال: لما أرسل إلى الخليفة في معنى قصد التتار قلتُ له: إنَّ العدو قوي وليس عندي من العسكر [٢٩- و] ما ألقاه به فإن اجتمع معي عشرة آلاف فارس استتقت ما أخذوا من البلاد فأمرني بالمسير ووعدني بوصول العسكر، فلما سرتُ لم يحضر عندي سوى عدد لم يبلغوا ثمان مئة طواشي، فأقمت يوماً رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين، ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقري ظناً منهم أنَّ العسكر يتبعهم فلما لم يروا أحداً يتبعهم أقاموا وأقام العسكر الإسلامي عند دقواق، فلما لم يروا أنَّ العدو من التتر يقصدهم ولا المدد يأتيهم تفرقوا فلما تفرقوا رحل التتر إلى همذان، وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى^(١).

ذكر قصد التتار همذان واستيلاءهم عليها

لما رحل التتر إلى همذان - كما قدمنا شرحه - نزلوا بالقرب منها، ولهم بها شحنة كما قدمنا شرحه فأرسلوا إليه يأمره ليأخذ لهم من أهلها مالا وثيابا، وكان رئيس همذان شريفاً علويًا من بيت رئاسة قديمة بهمذان فلما طُوبل أهل همذان بالمال حضروا عند الرئيس المذكور وعنده فقيه يؤثر اجتماع الكلمة على التتر، فقالوا لهما: "هؤلاء الكفار قد أفنوا أموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من أخذهم أموالنا، وما يفعلُه النائب عنهم بنا من الهوان"، فقال لهم الشريف: [إذا كنا نعجز عنهم فليس لنا إلا مصانعتهم بالأموال] فقالوا له: "أنت أشد علينا من الكفار" واغلظوا له في القول فقال: [أنا واحدٌ منكم فاصنعوا ما شئتم]، فأشار الفقيه عليهم بإخراج شحنة التتر من البلد، والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثبت العامة على الشحنة فقتلوه

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤٩، ٣٥٠، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٥٠.

وامتنعوا في البلد، فتقدم التتار إلى البلد وحاصروه وقاتلهم أهله قتالا كثيرا، فقتل من التتر خلق كثيرٌ وجرح ذلك الفقيه جراحات ثخينة، وهرب الرئيس الشريف المذكور إلى قلعة قريبة من همذان حصينة، [٢٩-ظ] فامتنع بها وبقي أهل البلد بلا رأس، إلا أنهم صبروا وقاتلوا ودخل التتار البلد هجما في شهر رجب الفرد من شهور هذه السنة، وبذلوا السيف فيه فقاتلهم الناس في الدروب فقتل من الفريقين ما لا يحصى، ولم يسلم من أهل البلد إلا من اختفى في نفق تحت الأرض، وألقى التتار النار في البلد فأحرقوه^(١)، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ذكر مسير التتار إلى أذربيجان وتوريز

لما فرغ التتر من همذان، ساروا إلى أذربيجان، فوصلوا إلى أردويل^(٢)، فملكوها وقتلوا أهلها وأخربوها، ثم ساروا إلى توريز، وقد قام بأمرها رجل يُعرف شمس الدين الطغرائي، وذلك أنه لما فارقها السلطان أوزبك بن البهلوان قصد نقشوان، وقام الطغرائي بأمر توريز^(٣) أحسن قيام، وجمع الكلمة وحصن البلد، ولما سمع التتار بذلك صالحوه على مال معلوم، ثم غدروا، وقصدوا مدينة توريز سرا فقتلوا كل من فيها فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) ذكرها ابن كثير أربيل بينما ذكرها ابن الأثير أردويل وهي مدينة كبيرة في فضاء واسع من الأرض من أشهر مدن أذربيجان وتعد قصبته انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١ ص ١٤٥-١٤٦، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٩١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٥١، وأبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٣) توريز: هي مدينة تبريز الواقعة في شمال إيران بأذربيجان وهي قريبة من شروان انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٨٢٢، ج ٢، ص ٣٤٠، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٥٧.

ذكر مسير التتار إلى بيلقان^(١) وتملكهم لها

لَمَّا فرغ التتار - لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم - من توريث توجهموا إلى بيلقان وأخربوا كل ما في طريقهم من البلاد وقتلوا وسبوا ، ولَمَّا وصلوا إلى بيلقان حصروها فاستدعى أهل البلد منهم رسولا ليقرروا معه أمر الصلح ، فأرسلوا إليهم رسولا من مقدميهم فقتله أهل البلد فزحف التتار إلى البلد وملكوه في شهر رمضان من شهور هذه السنة ، ولم يبقوا فيه على صغير ولا كبير ، وبقروا يشقون بطون الحبالى ، وقتلوا الأجنّة وفجروا بالنساء ثم قتلوهن ، وكان الواحد منهم يدخل إلى الدرب وفيه جماعة فيقتلهم [٣٠-٥] واحداً بعد واحد ، ثم ساروا إلى كنج^(٢) ، وهي كرسي مملكة أران ، وعلموا بكثرة أهلها وشجاعتهم وحصانة بلدتهم وأنهم لا يقدرّون عليها فطلبوا من أهل البلد مالا وثيابا فحمل ذلك إليهم ، وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى في سنة تسع عشرة وستمئة^(٣) .

(١) بيلقان: مدينة من أعمال أرمينية الكبرى قريبة من شروان ، وعدّها البعض من مدن أَرّان تبعد أربعة عشر فرسخا جنوب مدينة بردعة انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٤٠٥ ، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٣٣ ، وكي لسترايح: بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٢ .

(٢) كنجة: مدينة عظيمة بين خوزستان واصبهان وكانت قسبة أَرّان ، وكان أهل الأدب يسمونها جنزة وهي حاضرة أَرّان وتمتاز هذه المدينة ببساتينها الكثيرة انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٧١ ، ج ٧ ص ٢٨٣ ، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٣٥٢ ، والقلقشندي: صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٦٣ .

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٥٢-٥٣ .

ذكر مسير الملوك الأيوبية والعساكر الإسلامية إلى الديار المصرية نجدة للسلطان الملك

الكامل على الفرنج

لما قوي أمر الفرنج - لعن الله من قضى منهم، وخذل من بقي منهم-، واستفحل بالديار المصرية، واصل الملك الكامل بن الملك العادل صاحب الديار المصرية كتبه إلى أخوته وأهل بيته يحثهم على سرعة القدوم عليه في العساكر لدفع العدو من الفرنج خذلهم الله تعالى عن الديار المصرية، فسار الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق إلى الشرق، واجتمع بأخيه الملك الأشرف، وأشار عليه أن يسرع التوجه إلى مصر في عساكره ويصطحب معه ملوك البيت الأيوبي وعساكرهم، فأجابه إلى ذلك وتوجها كلاهما في عساكر الشرق إلى دمشق وأمرًا ببقية الملوك الأيوبية بأن يقدموا بعساكرهم فأجابوا إلى ذلك مسرعين وأشار على الملك الأشرف وبعض خواصه بإرسال العساكر إلى الديار المصرية وعودته إلى بلاده خوفًا من اختلاف يحدث بعده، فلم يقبل قولهم.

وقال: " قد خرجت بنية الجهاد، ولابد من إتمام هذا العزم " ، ثم سار إلى جهة الديار المصرية ، وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى^(١).

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ٩٢ - ٩٣.

ذكر مسير الفرنج الذين هم داخل البحر إلى الديار المصرية، ونزولهم وفرنج دمياط في

مقابل منزلة الملك الكامل

لَمَّا بلغ الفرنج الذين هم داخل البحر مُلك إخوانهم من الفرنج ثغر دمياط، وتمكنهم بالديار المصرية ساروا إلى الديار المصرية مُجَدِّين، واتخذوا دمياط دار هجرتهم، وقدم منهم أمم [٣٠- ظ] لا تُحصى ولمَّا كثر الفرنج بدمياط أخذوا في التجهز للدخول في الديار المصرية ودفع العسكر الإسلامي والملك الكامل عنها، فساروا من دمياط في حدهم وحديدهم ولمَّا سار الفرنج من دمياط رحل الملك الكامل من المنزلة التي كان بها، ونزل بمكان على بحر النيل من شرقيه عند افتراق البحرين الذين يذهب أحدهما إلى دمياط والآخر إلى بحيرة أشمون، وتُسمى هذه المنزلة المنصورة، وبنى فيها قصرًا له، وأمر الناس بالبناء فبنوا الدور والأسواق، وصارت المنصورة مدينة عظيمة، وبنى عليها سورًا مما يل البحر، وستره بآلة الحرب والستائر، واجتمع الأسطول الإسلامي في البحر مما يل المنصورة، وقدمت الفرنج فنزلوا مقابل السلطان الملك الكامل في طرف جزيرة دمياط، وبنوا عليهم خندقًا وسورًا وأسطولهم قبالتهم، وشرعوا في القتال برًا وبحرًا، وتراموا بالمجانيق والسهام وتقاتل الأسطولان في البحر، ثم كان ما سنذكره إن شاء الله تعالى^(١)

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٤ - ٩٥.

ذكر قدوم الملوك الأيوبية والعساكر الإسلامية إلى الديار المصرية

لما بلغ السلطان الملك الكامل بن الملك العادل صاحب الديار المصرية قرب أخيه الملك الأشرف بن الملك العادل منه توجه إليه ملتقيا له وفرح به وُسِر سروراً شديداً، وآمن بحصول النصر والظفر بالعدو ، ثم وصل الملك المعظم صاحب دمشق في عساكره، ووصل الملك الناصر قليج أرسلان بن الملك المنصور صاحب حماه، وكان خائفاً من خاله الملك الكامل أن يأخذ حماه منه ويعطيها لأخيه الملك المظفر ، وكان قد انتمى إلى خاله الملك الأشرف وصار من جملة أتباعه، [٣١-و] فطيب قلبه الملك الأشرف ووعده أنه يمنع أخاه الملك الكامل أن يغير عليه قاعدة، فقدم إلى المنصورة آمناً مطمئناً، ووصل أيضاً الملك المجاهد أسد الدين شيركوه^(١) بن محمد بن شيركوه صاحب حمص، والملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه^(٢) بن فروخشاه صاحب بعلبك، وعسكر حلب ، وأقبلت العساكر الإسلامية، والملوك الأيوبية يتبع بعضها بعضاً، ونزلوا كلهم بالمنصورة في خدمة السلطان الملك الكامل رحمه الله تعالى، ورأى الفرنج - لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم - من العساكر الإسلامية ما هالهم وفَت في أعضادهم، واشتد القتال بين الطرفين برا وبحرا، واجتمع من رجاله المسلمين بالمنصورة ما لا يقع عليه من الإحصاء فكانوا يكونون في العدو بكثير من كفاية الجند، ثم تقدم جماعة من العسكر إلى خليج من النيل في البر الغربي يُعرف ببحر المحلة وقاتلوا الفرنج منه، وتقدمت

(١) الملك المجاهد شيركوه: هو أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه . انظر: ابن كثير: البداية والنهاية،

ج ١٣ ، ص ٢٨١ .

(٢) بهرام شاه: هو بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب بعلبك توفي سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م

مقتولاً على يد أحد مماليكه انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢ ، ص ٤٥٣ ، ابن واصل: مفرج الكروب،

ج ٤ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، والذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٧ ، ص ٣٠٠ .

شواني المسلمين في بحر النيل وقاتلت شواني الفرنج، وأخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الأموال والسلاح، ففرح المسلمون بذلك واستبشروا به وقويت نفوسهم، واستطالوا على عدوهم، هذا كله يجري ورُسِل الفرنج مترددة بينهم في تقرير قواعد الصلح، وبذل المسلمون لهم البيت المقدس وعسقلان وطبرية وجبله^(١) واللاذقية^(٢)، وجميع ما فتحه الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله تعالى من الساحل ما عدا الكرك^(٣) والشوبك^(٤)؛ ليُسلموا دمياط، ويرحلوا عن الديار المصرية فلم يرضوا بذلك، وطلبوا ثلاثمئة ألف دينار عوضاً عن الأسوار التي خُربت بالقدس ليعمره بها، وقالوا: لا بدّ من تسليم الكرك والشوبك إلينا، فلم يقدّم بينهم أمر واضطر المسلمون إلى قتالهم ومصابرتهم لما يريد الله تعالى [٣١-ظ] من النصر عليهم، وسلامة القدس الشريف والبلاد الساحلية منهم^(٥) كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(١) جبله: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤.

(٢) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام تُعد من أعمال حمص، بينها وبين جبله ستة فراسخ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٣٨.

(٣) الكرك: قرية كبيرة قرب بعلبك انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٦٢.

(٤) الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام، بين عمان وأيلة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٣٢٩، حوادث ٦١٤، أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ١٢٩، والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٧، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٤، ٩٥، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٠٩، والعمرى (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ت ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط ١، ١٤٢٣هـ، ج ٢٧، ص ٢٤٦، وابن آبيك الدواداري: الدر المطلوب، ص ١٥٣-١٥٤.

ذكر نصره أهل الإسلام أعزهم الله تعالى على الفرنج لعنهم الله تعالى وفتح دمياط وعوده

للمسلمين

بينما الأمر كان متردداً بين الملك الكامل والملوك الأيوبية رحمهم الله تعالى وبين الفرنج - لعن الله من قضى منهم، وخذل من بقي منهم - في معنى الصلح، والفرنج ممتنعون إلا على الشرط الذي اقترحوه عبرت جماعة من عساكر المسلمين في بحر المحلة^(١) إلى الأرض التي عليها الفرنج ففجروا فجرة عظيمة في النيل، وكان ذلك في قوة زيادته والفرنج لعنهم الله تعالى لا خبرة لهم بأمر النيل، وكيفية فجر جسوره فركب الماء أكثر تلك الأرض، وكان حائلاً بينهم وبين دمياط، ولم يبق للفرنج جهة يسلكوها غير جهة واحدة، فيها ضيق، فأمر السلطان الملك الكامل عند ذلك بنصب جسور عند أشمون طنّاح، فعبرت العساكر الإسلامية عليها وملكوا الطريق الذي يسلكه الفرنج إلى دمياط إن أرادوا العودة إليها فلم يبق لهم خلاص، وبقوا محصورين من جميع الجهات، واتفق في تلك الحال أنه وصل إلى الفرنج - لعن الله من قضى منهم وخذل من بقي منهم - مركب عظيم يسمى مرمة -^(٢) وحوله عدة حراقات^(٣) يحمونه، والجميع مملوء من الميرة والسلاح وما يحتاجون إليه فوقعت عليه شواني المسلمين وقتلهم قتالاً شديداً، فظفر المسلمون بالمرمة وما معها من الحراقات فأخذوها، فلما رأى الفرنج ذلك سقط في أيديهم وعلموا أنهم قد ضلّوا الصواب بمفارقة دمياط وتوغلهم في أرض لا يعرفونها،

(١) المَحَلَّةُ: بالفتح والمحلّ والمحلّة الموضع الذي يحلّ به: وهي مدينة مشهورة بالديار المصرية وهي عدة مواضع منها محلّة دقلا: وهي أكبرها وأشهرها وهي بين القاهرة ودمياط. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٦٣، وأبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ١٢٩.

(٢) المرمة: نوع من السفن الكبيرة في العصور الوسطى انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣ ص ٢٦٠.

(٣) الحراقة (والجمع حراقات وحراريق): نوع من السفن الحربية كان يستعمل بكثرة في البحر المتوسط وفي نهر النيل انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ٣٣١، وعبد الرحمن زكي: كتاب السلاح في الاسلام، ص ٢١.

وأحاطت بهم عساكر المسلمين من كل ناحية يرمونهم بالنشاب ويحملون على أطرافهم^(١) [٣٢-و] ولما اشتد الأمر على الفرنج أحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأثقالهم، وأرادوا الزحف إلى المسلمين ومقاتلتهم لعلهم يقدرّون على العود إلى دمياط والاعتصام بها فعجزوا عن ذلك، وحيل بينهم وبين ما يشتهون؛ لكثرة الوحل والمياه الراكنة على الأراضي حواليتهم، فلما رأوا عجزهم عن دفع المسلمين عنهم والمنايا قد كُثرت^(٢) لهم عن أنيابها، وكانت الأقوات قد عدمت عندهم جدا ولم يبق لهم سبيل إلى وصول ميره إليهم، ذلت نفوسهم وتكسرت صلبانهم، ولله الحمد وإليه، وراسلوا السلطان الملك الكامل وأخوته السلطان الملك الأشرف والملك المعظم يطلبون منهم الأمان لأنفسهم ليسلموا إليهم دمياط بغير عوض، فاستشار الملك الكامل ملوك أهل بيته رحمهم الله تعالى في ذلك فأشار بعضهم بأن لا يؤمنهم ويأخذهم أخذاً باليد، فإنهم قد صاروا في قبضتنا، وهم جمهور أهل الشرك، وأنه إذا فعل ذلك أخذ منهم دمياط وجميع ما بقي لهم من البلاد الساحلية، ولا يبقى منهم بالشام أحد فلم ير السلطان الملك الكامل ذلك مصلحة وقال: "إن هؤلاء ليسوا جميع الفرنج، وإذا هزمناهم لا نقدر على أخذ دمياط إلا بمطاوله وحروب كثيرة مدة، ويسمع ملوك ما وراء النهر من الفرنج وباباهم^(٣) بما يجرى على الفرنج فيقدم إلينا أضعاف هؤلاء وتعود للحرب خدعة وقد ضجرت العساكر من الحرب وگلت،^(٤) وكانت مدة مقامهم بمصر ثلاث سنين وشهورا، فاتفق رأي الكل حينئذ على بذل الأمان لهم وتسلم دمياط، منهم فأجيبوا إلى ما طلبوا على أن يأخذ منهم السلطان الملك الكامل ملوكهم

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٦، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣١٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣٣٠ وحوادث ٦١٤ وقد استعان ابن واصل إلى حد كبير بما ذكره ابن الأثير.

(٣) لفظ «البابا» كان معروفا عند الكتاب المسلمين انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٧٢.

(٤) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٧.

رهائن إلى أن يسلموا دمياط وطلبوا هم أن يأخذوا ولد السلطان وجماعة من خواصه رهائن إلى أن يرجع ملوكهم إليهم، فتقررت القواعد على ذلك والأيمان في [٣٢-ظ] سابع شهر رجب الفرد من شهور هذه السنة سنة ثمانى عشرة، وكانت دعائها الفرنج، وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقمامصتهم إلى الملك الكامل والأشرف رهائن على تسليم دمياط: ملك عكا، ونائب بابا صاحب رومية^(١)، وكندريش^(٢)، وغيرهم، وعدتهم عشرون ملكا^(٣)، وراسلوا قسوسهم ورهبانهم إلى دمياط في التسليم، فلم يمتنع من بها وسلموها إلى المسلمين تاسع عشر رجب المذكور، وكان يوما مشهودا، ومن العجب أن المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة في البحر فلو سبقوا المسلمين إليها لامتنعوا من تسليمها^(٤)، ولكن سبقهم المسلمون ليقضي الله أمرا كان مفعولا، ولم يبق بها من أهلها إلا آحاد، وتفرقوا أيدي سبا، بعضهم سار عنها باختياره، وبعضهم مات، وبعضهم أخذه الفرنج، ولما دخلها المسلمون رأوها وقد حصنها الفرنج تحصينا عظيما بحيث بقيت لا ترام ولا يوصل إليها^(٥)، وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق إلى نصابه، وردّه إلى أربابه، وأعطى المسلمين ظفراً لم يكن في حسابهم فإنهم كانت غاية أمانهم أن يسلموا البلاد التي

(١) انظر: ابن أبيك: الدر المطلوب، ص ١٥٦، حيث ورد «المعروف بالكاف» وقد ورد الاسم في ابن تغرى

بردى: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٤١، في صيغة «اللوكان» والمقصود به

الكاردينال بلاجيوس Cardinal Pelage.

(٢) ورد الاسم عند ابن أبيك: الدر المطلوب، ص ١٥٦ «كندريس الكبير» بينما ذكر ابن الأثير: الكامل في

التاريخ، ج ١٢ ص ٣٣٠ حوادث سنة ٦١٤، الاسم في صيغة «كندريش» والمقصود بكلمة «كند» الكلمة

الانجليزية Count (كونت) ولعله يعنى لويس دوق بافاريا الذي كان أحد رهائن الصليبيين.

(٣) ذكر الدواداري: الدر المطلوب، ص ١٥٦، أن رهائن الفرنج كانوا أربعة عشر ملكا وذكر أسماءهم وأنهم

[أعظم ملوك دين الصليب] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ٩٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ،

ج ١٠، ص ٣١٠.

(٤) ذكر الدواداري: الدر المطلوب، ص ١٥٧، أن هذه النجدة اشتملت على [ألف مركب موسوقة رجال وعدد

وسلاح ومأكول] ومثل هذا العدد مبالغ فيه.

(٥) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٩، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣١١.

أخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله إعادة دمياط وبقيت البلاد بأيديهم على حالها، فالله المحمود المشكور على ما أنعم به على الإسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو، وكفاهم شر التتر، -على ما نذكره إن شاء الله تعالى- ولم يتأخر أحد من ملوك الشام والشرق عن نجده واستلموا منهم ومن الفرنج برا وبحرا وطلع النيل وصلوا عاكفين فوثب السلطان مراكب الأسطول في بحر المحلة ليدخل منه إلى بحر دمياط ويمنع غيره من الفرنج، [٣٣-و] واشتد ضررهم لذلك، وعَدَموا القوات وانقطعت عنهم مراكبهم، فعزموا على الرجوع إلى دمياط فأخرجوا أثقالهم وهربوا في الليل وبلغ السلطان هزيمتهم فرسم بأن تقطع الجسور فَنُقِطِعَتْ وأحاط بهم النيل من كل جانب ^(١) ولم يقدرُوا على الوصول إلى دمياط، فالتجؤوا إلى تل كبير بظاهر برمونين ^(٢) وأحاطت بهم العساكر من كل جانب فأيقنوا بالهلكة وراسلوا السلطان وبذلوا أن ينزلوا عن دمياط ويؤمنهم على أنفسهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك،

وتقررت الهدنة ثمانين سنين، وأن يُطلق جميع الأسرى من الجهتين المسلمين والفرنج وقصد السلطان الكامل أن يجتمع بالملك يوحنا صاحب عكا الثاني نفسها فطلبوا رهائن تكون في مراكبهم إلى أن يعود فأمر السلطان ولده الملك الصالح نجم الدين وأخاه الملك المفصل قطب الدين ومعهما جماعة من أولاد الأمراء، وحضر الملك يوحنا والملكان إلى خدمة الملك الكامل بظاهر البرمونين، وحلف لهم السلطان الملك الكامل وأخويه الملك المعظم والملك الأشرف.

(١) ابن العميد: تاريخ الأيوبيين، ص ٨.

(٢) البرمونين القبلي والبحري: هي قرية من قرى الدقهلية انظر: ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ٨.

واستحلفهم وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رجب الفرد وتسلم السلطان دمياط فكانت مدة استيلاء الفرنج على دمياط سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما. ^(١)

وقال محمد بن نظيف الحموي ما صيغته ^(٢): وقع الصلح مع الفرنج على أن ينزلوا عن القطائع التي لهم وعن المناصفات وإطلاق الأسارى المظلومين منهم، وأطلق الكامل الملوك الفرنجية مثل الملك النوام وكند البرنش، وكان المقرر لهذا الصلح الملك المجاهد شيركوه ^(٣) باتفاق من الملوك، ثم تفرق الناس كل إلى بلاده عن ظفر ونصر وتأييد، وأعاد الملك الكامل دمياط إلى أحسن ما كانت عليه، وكان نزول الفرنج على ثغر دمياط في ثالث شهر ربيع الأول، [٣٣-ظ] وقيل صفر من سنة خمس عشرة وستمئة كما قدمنا شرحه، ورحيلهم عنها في تاسع عشر شهر رجب من سنة ثمانى عشرة هذه السنة، وقيل لما فتح الله عز وجل دمياط دخلها الملك الكامل وفي خدمته أخوته وملوك أهل بيته، وكان يوم دخوله إليها يوما مشهودا، ورجع الفرنج إلى بلادهم، ودخل السلطان إلى مصر مقر مملكته، وأطلقت الأسارى من الجهتين من زمان السلطان صلاح الدين يوسف وإلى أن تقررت الهدنة، ثم أذن السلطان الملك الكامل للملوك في الرجوع إلى بلادهم، فرجع كل ملك منهم إلى بلاده، وعمت هذه البشارة آفاق الأرض ^(٤)، فإن التتار كانوا قد أهلكوا أهل بلاد العجم كما قدمنا شرحه، وكادت باقي البلاد الإسلامية تستأصل بالفرنج.

(١) انظر: المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦٢، والموسوعة التاريخية: إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، ج ٥، ص ٢٨١.

(٢) انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ٩٢-٩٣.

(٣) هو أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص توفي سنة ٦٣٧هـ ١٢٤١م وكان ملكا حازما شجاعا ذكيا ولكنه كان ظالما لرعيته انظر ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٢٥٤-٢٥٦.

(٤) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٠٤-١٠٥، ج ٥، ص ٢٥٤-٢٥٦.

فنصر الله تعالى المسلمين عليهم، وكفاهم شرهم، وعقدت الهدنة معهم مدة معلومة فسبحان اللطيف الخبير، وهنأ الشعراء السلطان الملك الكامل بن الملك العادل صاحب الديار المصرية وأخوته بما فتح الله سبحانه وتعالى على أيديهم من هذا الفتح العظيم وبنصرتهم على عدوهم النصر الجسيم، فمن ذلك قصيدة الشيخ شرف الدين بن عيين (١) يمدح فيها الملك المعظم بن بن الملك العادل ومطلعها (٢):

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى	إذا جهلت آياتنا (٤) والقنا اللدنا
غداة لقينا دون دمياط جحفا	من الروم لا يُحصى (٥) يقينا ولا ظنا
تداعوا بأنصار الصليب فأقبلت	جموع كأن الموج كان لهم (٦) سفنا
قد اتفقوا رأيا وعزما (٧) وهمة	ودينا وإن كانوا قد اختلفوا لُسنا (٨)
عليهم من الماذي كل مفاضة	دلاص (٩) كقرن الشمس قد احكمت وضنا

(١) ابن عيين: هو محمد بن نصير الدين بن نصر بن حسين بن عيين شرف الدين أبو المحاسن الكوفي الأصل الدمشقي المولد كان أديبا شاعرا له مصنفات عديدة منها: " التاريخ العزيزي " ومقراض الأعراض " في الأهاجي، وتولى الوزارة بدمشق، ولد سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م وتوفي سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ٤١١، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١٤٠-١٤٣، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ١، ص ٥٥١.

(٢) انظر: المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٦٣-٦٤ وابن عيين (شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م): ديوان ابن عيين، تح: خليل مردم بك، دار صادر - بيروت، ١٨٩٥-١٩٥٩م، ط ٢، ص ٢٩-٣٢.

(٣) وردت [تخبركم عنا] في النسخة (ط، م، مث، ب) انظر: ديوان ابن عيين، ص ٢٩.

(٤) وردت [آباؤنا] في النسخة (مث).

(٥) وردت [لا تحصى] في النسخة (ك).

(٦) وردت [كانت] في النسخة (ح).

(٧) وردت [وعونا] في النسخة (ظ).

(٨) ورد عند المقرئ: قد اجتمعوا رأياً وديناً وهمة. . . وعزماً وإن كانوا قد اختلفوا سنا، انظر: المقرئ:

السلوك، ج ١، ص ٦٣.

(٩) وردت [ولأَمْ] في النسخة (ظ)، [دلاص كقرص الشمس] في النسخة (م، مث).

وأطعمهم فينا غرور فأرقلوا
فما برحتُ سمر الرماح تنوشهم
سقيناهم كأساً نفت عنهم الكرى
لقد صبروا صبراً جميلاً ودافعوا
لقوا^(٢) الموت من زُرْق الأسنة
وما برح الإحسان منّا سجيّة
وقد جربونا قبلها في وقائع
أسود وغى لولا قراع سيوفنا
وكم يوم حر ما لقينا^(٥) هجير
فإنّ نعيم الملك في شطف الشقا
يسير بنا من آل أيوب ماجد
كريم الثنا عاراً من العارِ باسل^(٨)
سرى نحو دميّاط بكلّ سميدع
مآثر مجد خلّدتها^(٩) سيوفه

إلينا سراعاً بالجياد وأرقلنا
بأطرافها حتى استجاروا بنا منّا
وكيف ينام الليل من عدم^(١) الأمنّا [٣٤-و]
طويلاً فما أجدى دفاع ولا أغنى
فألّقوا بأيديهم إلينا فأحسّنا
توارثها عن صيد آبائنا الأبناء
تعلّم (غُمر^(٣) القوم) منابها الطعنا
لما ركبوا قيّداً ولا سكنوا سجنّا^(٤)
بستر وقُرّ ما طلبنا له كُنا
يُنال وحلو العزّ^(٦) من مَرّه يُجنّى
أبى عزّمه أن يستقرّ به مغنى^(٧)
جميل المحيا كامل الحسن والحُسنى
نجيب يرى وردّ الوغى المورد الأهنا
لها نبأ يفنى الزمان ولا يفنى

(١) وردت [فقد الأمنّا] في النسخة (ح، ص).

(٢) وردت [رأوا] في النسخة (ك، ح، ص) وعند المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٢١٢.

(٣) وردت [عمر الموت] في النسخة (ظ، ك، ص) وغمر الموت في النسخة (م، م، ح) وغمز الموت في

النسخة (ب) والتصحيح [غُمر الموت] انظر: المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٢١٢.

(٤) هذا البيت ساقط بالنسخة (ح، ص).

(٥) وردت [قد لقينا هجير] بـسير في النسخة (ح، ص) وعند المقرئ: السلوك ورد: وكم يوم حر ما وقينا
وقينا هجير وكم يوم قرّ ما طلبنا له كنا.

(٦) وردت [العيش] في النسخة (ح، ص).

(٧) وردت [معنا] في النسخة (ك) وعجز هذا البيت ساقط من النسخة (م).

(٨) سقط صدر هذا البيت من النسخة (م).

(٩) وردت [خلقتها] في النسخة (ظ، ح، ص).

وقد عرفت أسيفنا ورقابهم مواقعها فيها ^(١) فإن عأودوا عُدنا
منحنا بقاياهم حياة جديدة فعاشوا بأعناق ^(٢) مقلدة منّا
ولو ملكوا لم يأتلوا في دماننا ولوغا ولكنّا ملكنا فأسجنا
ومن ذلك قصيدة للشيخ شرف الدين بن عنين أيضا يمدح فيها السلطان الملك الأشرف بن
الملك العادل مطلعها ^(٣) [البحر الكامل]:

جعل العتاب إلى الصدود توصلا ^(٤) ريم رمى فأصاب منّي المقتلا
أغراه بي واشّ تقوّل كاذبا فأطاعه وعصيت فيه العذلا
ما عمّه بالحسن عنبر خاله إلّا ليصبح ^(٥) بالسواد مجملا ^(٦)
صافي أديم الوجه ^(٧) ما خطّت يدّ الأيام في خديّ سطرًا مشكلا
كل مقرر بالجمال له فما يحتاج حاكم حسنه أن يسجلا ^(٨)
ومنها:

ولربّ لائمة عليّ حريصة باتت وقد جمعت عليّ العذلا
قالت أما تخشى الزمان وصّرفه وتقل من إتلاف مالك قلت: لا
أخاف من فقر وجود الأشرف السلطان في الآفاق قد ملا الملا

^(١) وردت [فيهم] في النسخة (ك، ح، ص).

^(٢) وردت [بأجباد] في النسخة (م، مث) وبأرقاب في النسخة (ح، ص).

^(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٠١-١٠٢، والمقريزي: السلوك، ج ١ ص ٦٤، ابن عنين:

ديوان ابن عنين، ص ٩-١٢

^(٤) وردت [توسلا] في النسخة (ظ).

^(٥) وردت [ليضحى] في النسخة (ك).

^(٦) وردت [محملا] في النسخة (ظ).

^(٧) وردت [الحسن] في النسخة (ظ، م، مث، ب).

^(٨) وردت [أسجل] وسجل: كتب السجل وحكم.

الواهب الأمصار محتقرا لها
ملك غدا جيد الزمان بجوده
ومنهما:
إن غيره وهب الهجان البُرْلا
حال ولولاه لكان معطلا [٣٤-ظ]

لولاك لانفصمت^(١) عرى الإسلام في
وتحكمت فيها الفرنج وغادرت
أنت الذي أجليت عن حلب العدى
كم موقف ضنك فرجت مضيقه
ونشرت بالبيض المهندة الطلى
فالله يخرق في بقائك عادة الدنيا
مصر وأخل ذكره وتبدلا
أعلاجها محراب عمرو هيكل
وحميت بالسمر اللدان الموصل
وطريقه لخفائه قد أشكلا
ونظمت بالسمر المثقفة الكلى
ويعطيك البقاء الأطولا

ومن ذلك قصيدة للقاضي بهاء الدين زهير^(٢) بن محمد بن علي القوصي يمدح بها السلطان الملك
الملك الكامل صاحب الديار المصرية ومطلعها^(٣):

(١) وردت [لانتقضت] في النسخة (ك).

(٢) بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلبى كاتب إنشاء الملك الصالح أيوب ومولد البهاء زهير
بوادي نخلة من مكة سنة إحدى وثمانين وخمسمئة وفي آخر عمره انكشف حاله وباع موجوده وكتبه وأقام في
ببيته في القاهرة حتى أدركته وفاته بسبب الوباء العام في يوم الأحد رابع ذي القعدة من هذه السنة أعني سنة
ست وخمسين وستمئة ودفن بالقرافة الصغرى، وكان كريم الطباع غزير المروءة فاضلاً حسن النظم وشعره
مشهور كثير انظر: أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج ٣، ص ١٩.

(٣) انظر: الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) : الروض المعطار في
خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، مطابع دار السراج، ط ٢، ١٩٨٠ م، ج ١
ص ٢٥٨، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٠٣ - ١٠٤، وبهاء الدين زهير (أبو الفضل زهير بن محمد بن
علي المهلبى ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م): ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م،
ص ١٢١ - ١٢٤.

بك اهتز عطف الدين في حلل النصر
وما فرحت مصر بذا الفتح وحدها
فلو لم يقم بالله حق قيامه ^(١)
ومنها:

واقسم لولا همة كاملية
لخافت رجالٌ بالمقام وبالحجر ^(٢)
ومنها:

واقسم إن ذاقت بنو الأصفر الكرى
عجبت ^(٣) لبحر جاء فيه سفينهم
إلا أنها من فعله لكبيرة
ثلاثة أعوام أقمت وأشهرها
ومنها:

وليلة غزو ^(٤) للعدو كأنها
في ليلة قد شرف الله قدرها
سددت سبيل البر والبحر عنهم
أساطيل ليست في أساطير من مضى
بكثره من أرديته ليلة النحر
ولا غرو إن سميتها ليلة القدر
بسابحة دهم وسابحة غر
بكل غراب راح أفتك من صقر ^(٥)

^(١) وردت [جهاده] في النسخة (ب)

^(٢) المقام: أراد به مقام إبراهيم في مكة الحجر: ما حواه الحطيم المحاط بالكعبة من جانب الشمال وديار ثمود
ثمود أو بلادهم في ناحية الشام عند وادي القرى.

^(٣) وردت [عجيب] في النسخة (ب).

^(٤) وردت [عفو أنملك العشر] في النسخة (أ).

^(٥) وردت [نفر] في النسخة (أ).

^(٦) غراب: سفينة وفي الكلام تورية. أفتك وورد [أقنص] في النسخة (أ).

وجيش كمثل الليل هولا وهيبة
وباتت جنود الله فوق ضوامر
فما زلت حتى أيد الله حزيه
فرويت منهم ظاميء البيض والقنا
وجاء ملوك الروم نحوك خضعا
أتوا ملكا فوق السماك محله
[٣٥-و]

وإن زانه ما فيه من أنجم زهر
بأوضحها تغني السُرة عن الفجر
وأشرق وجه الدين جذلان بالنصر
وأشبع منهم طاوي الذئب والنسر
تجرر أذيال المهانة والصغر^(١)
فمن جوده ذاك السحاب الذي يسري

فمن عليهم بالأمان تكرما
كفى الله دمياط المكاره^(٢) إنها
وما طاب ماء النيل إلا لأنه
فالله يوم الفتح يوم دخولها
ومنها:

على الرغم من بيض الصوارم والسممر
لمن قبلة الإسلام في موضع النحر
يحل محل الريق من ذلك الثغر
وقد طارت الأعلام منها على وكر

لك الله من أثنى عليك فإنما
يقتصر عنك المدح^(٣) من كل مادح
لقد أبدع القاضي بهاء الدين زهير رحمه الله تعالى في هذه القصيدة، وأتى بكل معنى بديع
لطيف، وكذا أكثر شعره، وقد أبدع بعض الشعراء في ذكر إنجاز السلطانيين الملك الأشرف
والملك المعظم أخاهما السلطان الملك الكامل قدس الله أرواحهم في قوله^(٤) من قصيدة^(٥):

(١) وردت [الروم] في النسخة (ب) الأرض و تجرر في النسخة (ب) و[أقنص] في النسخة (أ).

(٢) وردت [المخاوف] في النسخة (أ).

(٣) وردت [فيك] في النسخة (أ).

(٤) راجح الحلي انظر: الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٧٧.

(٥) الصلابي: الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج ١، ص ٢٤٠، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٠٥ وورد

وورد في العبر أعباد عيسى إن عيسى وحزبه وموسى جميعا ينصران محمد انظر: الذهبي: العبر، ج ٣،

ج ١٢، ص ١٧٨ وأبي شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٣٢.

أعباد عيسى إن عيسى أتاكم وموسى جميعا ينصران محمد

وقال بيتا لفخر بنت التاجر مغنية الملك الأشرف يمدحه، وتذكر كسرة الفرنج، وقد أبدعت في
المغنى^(١):

ولما طغى فرعون عكا ببغيه^(٢) وجاء إلى مصر ليُفسد في الأرض

أتى نحوهم موسى وفي يده العصا فغرقهم في اليمّ بعضا على بعض

ذكر إعادة الإمام الناصر لدين الله من الله ولده عز الدين أبي نصر إلى ولاية عهده^(٣)

كنّا قدمنا أن الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين العباسي رحمه الله تعالى كان قد
ولي ولده عز الدين أبا نصر محمد^(٤) ولاية عهده وكتب بذلك إلى السلطان صلاح الدين يوسف

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ١٠٥، والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦٣، ٢٠٩.

(٢) وردت [ولما طغى فرعون عكا وقومه] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ١٠٥، الدواداري: كنز
الدرر وجامع الغرر، ج ٧، ص ٢١٥، والمقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ، ج ١، ص ٤٢٧.

(٣) انفرد ابن واصل هنا بما ذكره من أن الخليفة الناصر كان شيعيا، وأنه عزل ابنه أبا نصر محمدا عن ولاية
العهد لأنه كان سنيا يختلف مع أبيه في المذهب والذي ذكرته المراجع الأخرى أن أبا نصر محمدا هو الذي
استقال من ولاية العهد فأقاله والده انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٨٠.

(٤) كان شهما قوى النفس شجاعا مقداما له همة عالية ونفس أبيية، وكان أبوه يخافه ويستشعر منه لما يرى من
شهامته وقوة نفسه وكان أيضا أبو نصر محمد مخالفا لأبيه في المذهب لأن أباه كان شيعيا، وكان أبو نصر سنيا
يبغض الروافض ويميل إلى الحنابلة، وكان أبوه يكرهه أيضا لهذا الأمر، لكنه لم يجد بدا من توليته العهد بعده
إذ لم يكن له في ذلك الوقت من يصلح للأمر من بعده من ولده غيره. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢،
ص ٢٨١.

صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية وسائر ملوك الأطراف بذلك فخطب له بذلك على المنابر الإسلامية وضربت السكة باسمه [٣٥-ظ] بعد اسم والده.

ثم ذكرنا بعد ذلك خلع من ولاية عهده وكتب بذلك إلى ملوك الأطراف، فأمرؤا بطرح اسمه من الخطبة والسكة، وكان قد مال الخليفة الناصر لدين الله إلى ولده الأصغر أبي الحسين علي، وأهله لولاية عهده، ثم توفي علي المذكور كما قدمنا شرحه في سنة اثنتي عشرة وستمئة.

ولما كانت هذه السنة ألجأت الخليفة الناصر لدين الله الضرورة إلى إعادة عز الدين أبي نصر إلى ولاية عهده فكتب بذلك إلى ملوك الأطراف، فأعيدت الخطبة بإسمه.

قال الشيخ جمال الدين محمد بن سالم الحموي الشافعي صاحب كتاب مفرج الكروب^(١): وقعت على كتاب كتبه الملك الناصر قليج أرسلان إلى والدي يذكر له فيه إعادة عز الدين إلى ولاية العهد، ويذكر أنه كتبه بظاهر الرقة، وكان الملوك الأيوبية لما رجعوا إلى بلادهم ورجع الملك الأشرف إلى الشرق انتزع الرقة من الملك الأمجد محمود بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود ابن زنكي^(٢) صاحب سنجار.

كان لقاء الملك الأمجد بغية على أخيه عماد الدين وتوجه الملك الناصر إلى خدمة الملك الأشرف وأقام عنده مدة ثم رجع إلى حماه، وقد أخلع عليه الملك الأشرف وأحسن إليه إحسانا كثيرا.

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٠٥-١٠٦، والعمرى: مسالك الأبصار في ممالك

الأمصار، ط ١، ١٤٢٣هـ، ج ٢٧، ص ٢٤٨، وأبو الفداء، ج ١، ص ٣٩٩.

(٢) ترجمته ضمن وفيات سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٧٠، والمنذري:

التكملة لوفيات النقلة، ص ٣٧٢، ٣٧٣، وأبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٨٢، وسيط ابن

الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٤٠٠، وأبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٥٢، والمقرئ: السلوك، ج ١،

ص ٢٠٤، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٢٨.

قال محمد بن نظيف الحموي ما صيغته^(١): وفيهما وصل الناصر صاحب حماه إلى الأشرف واجتمع به وأخوته وعاد كل إلى بلده من الرقة، وفي هذه السنة توفي الملك الصالح ناصر الدين محمود بن نور الدين بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق الأرتقي صاحب حصن كيفا^(٢) وآمد بالقولنج^(٣) وأقام بمُلْكِهِ [٣٦-و] ملك البلاد بعده ابنه الملك المسعود^(٤) داود وهو الذي انتزع منه السلطان الملك الكامل تلك البلاد كما سنذكره ان شاء الله تعالى.

وقال صاحب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك^(٥) ما صيغته: ركب الملك الكامل من قلعة الجبل^(٦) وجاء إلى قنطره صاحب صفى الدين بن شكر التي على رأس الخليج بمصر المحروسة وذلك في ذي القعدة من هذه السنة وطلع إلى عنده وتحدث معه بسبب الأمراء الذين كانوا مع الأمير عماد الدين ابن المشطوب في تولية الملك الفائز فاتفق الرأي على نفي الأمراء المذكورين من البلاد المصرية.

(١) سنة ٦١٨ هـ انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ٩٣، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤١٢.

(٢) حصن كيفا: قلعة مشرفة على دجلة بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢ ص ٢٧٧.

(٣) القَوْلنج أو القَوْلنج: مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثقل والريح انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٣٦١.

(٤) قتل الملك المسعود ركن الدين مودود بعد موت الكامل بقليل سنة ٦٣٥ هـ ١٢٣٧ م انظر: أبو الفداء: تاريخ أبو الفداء، ج ٣ ص ١٦٠.

(٥) وَهَمَّ ابن الفرات فالخبر غير موجود عند أبي فارس عبد العزيز الملوذي: نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، رباط ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، بل قصد بصاحب نظم السلوك أي المقريري انظر: المقريري: السلوك، ج ١، ص ٦٤.

(٦) قلعة الجبل: تقع على قطعة من الجبل تتصل بجبل المقطم، وتشرف على القاهرة ومصر والقرافة، وما تزال هذه القلعة يسكنها العسكر ليومنا هذا وفيها من الآثار بئر يوسف ومسجد قديم انظر: المقريري: الخطط، ج ٢، ص ٢٠١، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٥٤.

وكانوا في البحيرة التي قبالة قصر دمياط يعتمرونها فكتب لهم دستور^(١) أمان ينصرفوا من ديار مصر إلى حيث يختاروا، فمضوا جميعهم من البحيرة إلى الشام، ولم يتعرض لشيء من موجودهم بل مكنهم منها، وأعطى أخبازهم لمماليكه والله أعلم.

ذكر بعض خبر الشريف قتادة صاحب مكة المشرفة وقتله واستيلاء ولده حسين على سلطنة

مكة شرفها الله تعالى

كان الشريف قتادة بن الشريف ادريس العلوي الحسني صاحب مكة المشرفة يُكنى أبا عزيز وكان شهما شجاعا عالما، ملك مكة المشرفة أزال في أول أمره عن مكة المشرفة المفسدين وأحسن السيرة وأكرم الحاج وأحسن إليهم واستمرت ولايته حتى ملك من حدود اليمن إلى مدينة طيبة على ساكنها أفضل الصلوات والسلام، وكانت له قلعة ينبع بنواحي المدينة المعظمة، وكثر عسكره واستكثر من المماليك، وخافته العرب في تلك البلاد خوفا عظيما وبلغ من العمر تسعين سنة، ولما اتسعت مملكة الشريف قتادة المذكور، وطال عمره أساء السيرة، وجدّد المكوس بمكة المشرفة، وفعل أفعالا شنيعة^(٢) ونهب الحاج في بعض السنين (٣٦-ظ) كما هو مذكور في موضعه واتفق أن أمير الحاج العراقي طلب الشريف قتادة مرة ليحضره عنده كما جرت العادة لأمراء مكة،^(٣) فلم يفعل قتادة، فلما وصل أمير الحاج إلى بغداد أخبره

(١) دستور: كلمة ذات أصل فارسي معناها هنا: الإذن بالمرور انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص ٧٥.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) ما جاء عند ابن الأثير وأبو الفداء يخالف ذلك وحيث ورد عندهما: " أنه استدعى ليحضر عند أمير الحاج العراقي كما جرت عادة أمراء مكة " وليس للحضور عند الخليفة.

أمير المؤمنين فأرسل اليه الخليفة الناصر لدين الله العباسي يُعاتبه على ذلك وكان يقول الشعر الجيد فكتب إلى الخليفة^(١): [البحر الطويل]

ولي كف ضرغام أذلّ ببطشها وأشرى بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها وفي وسطها للمجدّين^(٢) ربيع
أتركها^(٣) تحت الرحا ثم أبتغي خلاصا لها أنا إذا لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة يضوع وأما عندكم فيضيغ
فلما كانت سنة ثمانى عشرة وستمئة هذه السنة^(٤)، جمع الشريف قتادة جموعا كثيرة وسار عن مكة المشرفة يريد المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فنزل بوادي السباع^(٥) وهو مريض، وسير أخا له على الجيش، ومعه ابنه الحسن بن قتادة فلما أبعادوا بلغ الشريف حسن بن الشريف قتادة أنّ عمه قال لبعض الجند: إنّ أخي مريض وهو ميت لا محالة وطلب منهم أن يحلفوا له على أن يكون له ملك مكة المشرفة بعد أخيه الشريف قتادة، ولما بلغ ذلك الشريف حسن بن قتادة أحضر عمه واجتمع اليه كثير من الأشراف ومماليك أبيه، وقال لعمه:

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٢٢ وعند ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٦٩ وج ١٢، ص ٤٠٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٨٧، وأبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ١٨٦.

(٢) وردت المجديين عند ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٢٢ وعند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٩٢.

(٣) وردت [أجعلها] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٠٤.

(٤) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٢٢-١٢٤.

(٥) ورد في ابن الأثير الكامل، ج ١٢، ص ٤٠٢ (حوادث سنة ٦١٨) «وادی الفرع» وذكر ياقوت الحموي (معجم البلدان) أن وادی السباع «بين البصرة ومكة بينه وبين البصرة خمسة أميال». كما ذكر ياقوت الحموي أيضا (نفس المرجع) أن الفرع قرية من نواحي الربدّة على طريق مكة بينها وبين المدينة ثمانية برد.

بلغني أنك فعلت كذا وكذا فقال عمه: " لم افعل ذلك"، فأمر الحسن الحاضرين بقتل عمه فامتنعوا وقالوا له: " أنت أمير وهو أمير فلا تمتد^(١) أيدينا إلى قتل أحدكما".

فقال له: مملوكان لأبيه قتادة: " نحن عبيدك فأمرنا بما شئت " فأمرهما بقتله فوضعا عمامته في عنقه وقتلاه وبلغ ذلك الشريف قتادة فبلغ منه الغيظ كل مبلغ وحلف ليقتلن ابنه فكتب بعض أصحابه إلى الحسن فعرفه ذلك.

وقال له: [ابدأ به قبل أن يقتلك] فعاد الحسن إلى مكة المشرفة، وقصد دار أبيه في نفر يسير فرأى على باب الدار جمعا كثيرا فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، ودخل الحسن على أبيه قتادة [٣٧-و] فلما رآه أبوه شتمه وبalg في ذمه وتهديده، فوثب الحسن على أبيه قتادة فخنقه فتوفي بوقته في سنة ثمانى عشرة هذه، وقيل: كانت في السنة الماضية سنة سبع عشرة كما قدمنا شرحه فيها، والله أعلم؛ أي ذلك كان، ولما توفي قتادة خرج ابنه الحسن إلى الحرم الشريف وأحضر الأشراف وقال لهم: إنَّ أبي قد اشتد مرضه وقد أمركم أن تحلفوا لي على أن أكون أنا أميركم، فحلفوا له ثم أنه أظهر تابوتا ودفنه ليظن الناس أنه فيه وأنه مات حتف أنفه وكان قد دفنه سرا فلما استقرت له الإمارة بمكة المشرفة له أرسل إلى أخيه الذي بقلعة الينبع على لسان أبيه يستدعيه وكتب موت أبيه عنه، فلما حضر أخوه عنده قتله أيضا، وارتكب أمرا عظيما بقتل أبيه وعمه وأخيه، فلم يمهل الله تعالى وعجل زوال أمره كما سنذكره ان شاء الله تعالى. (٢).

(١) وردت [فلا تمتد] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٢٣.

(٢) انظر: ابن الأثير، ج ١٠ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

وكان للشریف قتادة ابن آخر يقال له راجح مقيما عند العرب بظاهر مكة يفسد وينازع أخاه الحسن في ملك مكة المشرفة، فلما قدم الحاج العراقي إلى مكة المشرفة في سنة ثمانى عشرة وستمئة هذه السنة على جاري العادة كان أميرهم مملوكا من ممالك الخليفة الناصر لدين الله العباسي اسمه آقباش^(١)، وكان حسن السيرة في الطريق سيّر الحماية للحاج، فأتاه راجح بن قتادة^(٢)، وبذل له وللخليفة مالا ليساعده على استنزاع مكة المشرفة من حسن، وأن يكون هو أميرها فأجابه آقباش إلى ذلك ووصلوا إلى مكة المشرفة، ونزلوا بالزاهر، وتقدم راجح آق باش إلى مكة المشرفة مقاتلين للشریف حسن بن قتادة وكان الشریف حسن قد جمع جموعا كبيرة من العرب وغيرهم فخرج إليهما من مكة المشرفة، وقاتلتهما، وتقدم الأمير آقباش من بين عسكره منفردا وصعد جبلا هناك إدلالا بنفسه، وأنه لا يقدم أحد عليه، فأحاط به أصحاب الشریف حسن وقتلوه، وعلّقوا رأسه على رمح، فانهزم العسكر العراقي، وأحتاط أصحاب الشریف حسن بالحاج لينهبوهم، فأرسل إليهم الشریف حسن عمامته أمانا للحجاج، فعاد أصحابه (٣٧-ظ) عنهم ولم ينهبوا منهم شيئا، وسكن الناس وأذن الشریف حسن لهم في دخول مكة المشرفة وقضوا مناسكهم وعادوا إلى العراق سالمين، وعظم على الخليفة الناصر لدين الله ما فعله الشریف حسن بن قتادة فوصلت رسل الشریف حسن إلى أمير المؤمنين يعتذر ويطلب العفو عنه، فأجابه إلى ذلك^(٣) وكان للشریف حسن بعد ذلك ما سنذكره ان شاء الله تعالى، [٣٨-و] وكاتب الملك المعظم أيضا أخاه الملك المظفر شهاب الدين يحسن له الخروج على

(١) [أقماش] في الأصل وهو خطأ انظر ترجمته: أبي شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٢٥ وورد عند ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٢٤، (آق باش) ووردت [آقباش] انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٩٢.

(٢) توفي راجح بن قتادة سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، تقديم: سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ج ٥، ص ٣٣٩.

(٣) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٦٧-٣٦٨.

الملك الأشرف ومحاربته ووعدهما من نفسه أنه يخرج من دمشق في عساكره ويقصد البلاد الشرقية يتوعد مؤيدا الملك الأشرف فأجاب الملك المظفر أخاه الملك المعظم إلى ذلك بأخلاق، وعصى على أخيه الملك الأشرف وأظهر مغاضبته والتجنى عليه والخروج عن طاعته، فراسله الملك الأشرف واستماله وعاتبه على ما فعل فلم يرعو^(١) إلى ذلك، وأصر على خلافه.^(٢)

قال محمد بن نظيف الحموي^(٣): وفيها قويت عزيمة عصيان المظفر غازي^(٤) على أخيه الأشرف بأخلاق، والأشرف يُمَغِلَط ولا يُصَدَّق فيه قولا ويراسله ويهاديه ويلطفه بالرسل والهدايا، والناس يحملونه على قصده، وتمادى الحال إلى أن ظهر له ذلك وتأكد عصيانه^(٥)، فأرسل إليه وخوفه قصده له فما أفاد ما كان من أمراء الملك المظفر غازي واستولى على ما كان من أملاك المظفر مظفر الدين صاحب أربل، وأنه ما تجهز وجمع العساكر سار إلى بلد الموصل وحاصرها ونازلها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة من شهر هذه السنة ظنا منه أن الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية إذا سمعه ينشغل عن قصد خلاط لا يقصد خلاط ويخرج عليه الملك المظفر غازي صاحب أخلاق والملك المعظم صاحب دمشق ويتخبط أحواله هذا ما كان من أمراء الملك المظفر صاحب أربل، وأن ما كان من أمراء الملك المعظم صاحب دمشق فإنه لما اتفق مع الملك المظفر صاحب أربل والملك المظفر غازي كما قدمنا

(١) الرعو هو «النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه» انظر: الفيروزآبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ) القاموس المحيط، تح: مكتب تح التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ١، ص ١٢٨٩.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٣٨.

(٣) انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٠٤-١٠٥.

(٤) الملك المظفر غازي: توفي سنة ٦٥٤هـ ١٢٥٦م وهو صاحب ميافارقين وأخلاق وكان ملكا جوادا شهما

انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ١٣٣-١٣٤.

(٥) وردت عند ابن نظيف: وتمادى الحال في ذلك الى أن ظهر له عصيانه قولا واحدا ص ١٠٥.

شرحه خرج من دمشق [٣٩-و] وعساكره ورحل قاصدا محاربة الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية وانتزاع البلاد منه ونزل تحت القنطرة^(١) في البرية ولما بلغ الملك الأشرف هذه الأمور وتحققها أرسل إلى أخيه الملك الكامل ناصر الدين محمد صاحب البلاد المصرية يُعرفه الحال فأرسل الملك الكامل إلى أخيه الملك المعظم صاحب دمشق يقول له: إن تحركت من بلدك سرت إليه^(٢) وأخذته منك^(٣) فلما وصلت إلى الملك المعظم صاحب دمشق رسالة أخيه الملك الكامل بذلك خاف وعاد إلى دمشق هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الملك الأشرف فإنه استدعى عسكر حلب فسار إليه عسكر قوي^(٤) فيهم سيف الدين بن قليج^(٥) وعلم الدين قيصر^(٦)، وحسام الدين بلدق^(٧) ولما اجتمع للملك الأشرف العساكر خرج قاصدا خلاط ويرد على حرزم^(٨) وكان صاحبها الملك المنصور يعده بالنزول إليه فما تزل فشق ذلك عليه

(١) [قطنا من قرى دمشق] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٤.

(٢) «سیرت إليه العساكر» انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٢٢.

(٣) انظر: المقريزي: السلوك، ج ١ ص ٦٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٨٥.

(٤) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤، ص ١٤٠.

(٥) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥، ص ١٧١.

(٦) علّم الدين قيصر بن أبي لقاسم بن عبد الغني بن مسافر الفقيه الحنفي المقرئ المعروف بتعاسيف. كان إماما في العلوم الرياضية اشتغل بالديار المصرية والشام ثم سافر إلى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين بن يونس علم الموسيقى ثم عاد إلى الشام وتوفي بدمشق في شهر رجب منها ومولده سنة أربع وخمسين وخمسمئة بأصفون بليدة بالصعيد انظر: العيني (أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابی الحنفی بدر الدين ت ٨٥٥هـ): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ١، ص ١١.

(٧) حسام الدين بلدق عتيق الملك الظاهر وكان من أعيان الأمراء. وأول من درّس بها ركن الدين جبريل بن

محمد ابن عكاويه التركماني وتوفي بها انظر: ابن شدّاد (عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي ت: ٦٨٤هـ): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج ١، ص ٣٧ وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٤٠.

(٨) حرزم: بالفتح ثم السكون، وزاء مفتوحة اسم بليدة في واد، ذات نهر جار وبساتين بين ماردين وديسر من أعمال الجزيرة، وهي جبل فوق هضبة بديار بني سعد انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٥٧، ٢٣٩.

وهم بالرحيل فنزل إليه جريدة وحده في آخر النهار فما سيعرفه الأشرف إلا وهو في أطناب^(١) خيمته فتلقيه وانتقل معه إلى جوسق بناه في حرزم وتسرب معه هو وأخوته، وقدم له كثيرا ولما حال صبيحة تلك الليلة عمل صاحب ماردين دعوة عظيمة للملك الأشرف بموضع يُقال له الرحلة تحت ماردين وقدم له ولأخوته ولأصحابهم، وسير صحبته في الخدمة سبعة وخمسين فارسا مقدمهم الصارم كنعوس، وسار بعد أن قام على حرزم (٣٩-ظ) أياماً، وتولى ما لديه وراسل صاحب آمد فسير إليه من استحلفه وأخاه الملك الحافظ ثم وصل بعد ذلك وضرب خيمة لم يضرب مثلها على ملك عملها الملك الصالح أبوه في مدة أربع عشرة سنة، ثم قدمها للملك الأشرف فقبلها وأودعه إياها إلى حين عوده من خلاط، وجهر صاحب آمد في خدمة الملك الأشرف مثل عدة صاحب ماردين، وطلب الملك المعظم صاحب دمشق موافقة الملك المجاهد صاحب حمص على أن يقصد من بذل الشرق وبذل الماشية فما وافقه، وسير ولده الملك المنصور نجدة للملك الأشرف فوصل إليه ثم سار الملك الأشرف ونزل على خلاط مُحاصراً بعد أن كف عن ميا فارقين احتراماً لنساء أبيه فيها فخرج إليه جماعة من مقدميها يعرفون بالمقدماتية، وقفز إليه الملك علاء الدين الصلطي، ووصل إليه حسام الدين صاحب أرزن فزحف إليها ساعة من نهار فأخذها عنوة لأن أهل خلاط كانوا يحبون الملك الأشرف لعدله وحسن سيرته وفرط كرمه ويغضون الملك المظفر شهاب الدين غازي لسوء سيرته^(٢) وكان الملك المظفر لما بلغه قرب الملك الأشرف من خلاط خافه لأنه لم يكن له قوة على لقائه ومحاربته ففرق عساكره في البلاد لتحصينها وانتظر أن يسير الملك المظفر مظهر الدين

(١) الطنب: هو حبل يشد به الخباء والسرادق ونحوهما وجمعها أطناب.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٤٠، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٨٥-

صاحب أربل إلى ما يجاوره من بلاد الموصل وسنجار وأن يسير أخوه الملك المعظم صاحب دمشق إلى بلاد الملك الأشرف فيضطر حينئذ الملك الأشرف إلى العود عنه [٤٠-و] اقصد مبتغاه من ذلك واغترّ بعوام خلاط، فلمّا نازل الملك الأشرف خلاط سلّمها أهلها إليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة من هذه السنة^(١) واعتصم الملك المظفر شهاب الدين غازي بالقلعة ممتنعاً ولم يكن عنده فيها مؤونة ولا رجال ولا مال ولا عدة فأخذ فيها النقبون والمتولي لذلك الحاجب علي بن حمّاد فلمّا عانى الملك شهاب الدين غازي ذلك سيّر أولاده فتلقاهم الملك الأشرف وطلبوا أماناً لأبيهم فأعطاه للأمير [٤٠-ظ] سيف الدين علي بن قليج ، فلمّا جن الليل نزل الملك المظفر إلى أخيه الملك الأشرف معتذراً إليه فعاتبه على فعله وصفح عن ذنبه ولم يعاقبه على ما ارتكب من عصيانه ، وتلقاه أحسن ملتقى عند آل خلاط، وبات عنده وحلف له وأعطاه العوض عن ذلك زيادة على ما في يده وهي ميفارقين^(٢)، والسناسنة^(٣)، وحاني^(٤)، وقلعة طبوس^(٥)، وجبل جور^(٦)، وسيّر الملك الأشرف من تسلّم بعد تسليم نواب الملك المظفر ما قرره له قلعة خلاط وباقي البلاد من القلعة وغيرها، وهذه مكرمة مختصة لهذا البيت الأيوبي لم يكن مثلاً لأحد من الملوك قبلهم فإنّ من كان قبلهم وخصوصاً آل سلجوق كان إذا ظفر

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٨٦.

(٢) ميفارقين: أشهر مدينة بديار بكر انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠٧.

(٣) السناسنة: قبيلة من الأرض لها حصون منيعة تجاور خلاط في تاريخ ميفارقين قرب مناطق تركستان،

انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٢١٨.

(٤) حاني: اسم مدينة بديار بكر ذكر ياقوت الحموي (معجم البلدان) انها اشتهرت بمعدن الحديد الذي كان يجلب منها إلى سائر البلاد.

(٥) انظر: ابن شداد: الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج ١، ص ١٥٤.

(٦) ذكر ياقوت الحموي (معجم البلدان) أن جبل جور اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي أرمينية،

كان أهلها نصارى أرمن وفيها قلاع وقرى. انظر: ابن شمائل: مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،

ج ١، ص ٣١١.

أحدهم بأخيه أو ابن عمه الخارج عليه لا يبقيه أصلاً، بل إما يوسطه بالسيف أو يخنقه بوتر القوس، وأحسن أحواله أن يعتقله ويضيق عليه إلى أن يموت كمداء.

وسياتي من أخبار هذا البيت ما يؤيد ما ذكرناه^(١)، هذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من الملك المظفر مظفر الدين صاحب أربل فإنه كان قوي طمعه في الموصل؛ لأن أكثر عساكرها [٤٠-ظ] سيّره الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية نجدة له على أخيه الملك المظفر صاحب خلاط، فقلّ العسكر فيها، فلما وصل إلى الموصل محاصراً على ما كان تقرر بينه وبين الملك المعظم صاحب دمشق وأن يصل المعظم من دمشق ويقطع الفرات حتى يشغل الأشرف ويخاف من الاتفاق الذي وقع بينهما وبين كيقباز صاحب الروم لم يجد فيها مطمعا؛ لأن صاحبها الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ كان قد أحكم أمورها من استخدام الجند، والاستكثار من آلات الحصار والذخائر، وكان الغلاء شديداً في البلاد جميعها، بسبب ما قدمنا شرحه من كثرة الجراد، وأقام مظفر الدين محاصراً الموصل عشرة أيام^(٢) وهو يظن أن الأشرف يعجز عن خلاط، وقصد المعظم صاحب دمشق له وضعفه عن نجدة الموصل فاتفق أخذ خلاط من بكرة نهار بعد بكرة نهار الإثنين إلى ثالث ساعة، وفي بقية النهار طارت إلى الموصل بفتح خلاط وجهز الملك الأشرف أخاه الملك الحافظ بعسكره مع الملك المعظم معز الدين بن سنجر شاه نجدة للموصل وتوجه وهو في سعد ولما رأى الملك المظفر صاحب أربل قوة الموصل وبلغه استيلاء الملك الأشرف على خلاط

(١) انظر: عند ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٤٠.

(٢) انظر: عند ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٣٩، وابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١١٤.

رحل عن الموصل في يوم الجمعة لسبع^(١) ليال بقين من جمادى الآخرة عائداً إلى بلده ووصل إلى الملك الأشرف كتاب الملك بدر الدين أتابك أربل لا يلوي على أحد وكسبت المواصلته منه وسبقوا أثره إلى الزاب^(٢) فأرسل الملك الأشرف كتابه إلى أخيه الملك الحافظ بأن لا يرجع ويصل إلى الجزيرة القمرية. [٤١-و] وأن ينحيك ولنا إلى بدر الدين بالموصل ولا ترحل إلا بقوله فبقي الملك الحافظ مدة في الجزيرة ما يناهز ستين يوماً وأحسن بدر الدين إقامته وفارقه بقوله وتوجه إلى لقاء الأشرف بحرزم وكان قد وصل إليه البانياسي رسولا عند عوده على حرزم وكان قد ضرب الخيمة المقدم ذكرها عليه بحرزم ثم حملها مع البانياسي إلى السلطان الملك الكامل وقال له إنما تصلح لذلك السلطان وجاءت الإمامة إلى الملك الأشرف من آمد ولم يصل صاحبها وكذلك من صاحب ماردين ولم ينزل إليه وذلك لإنكار الملك المعظم صاحب دمشق عليه نزوله إلى الأشرف.

فقال: إنما نزلت بأمرك ورسالتك على لسان عماد الدين بن موسك فأنكر المعظم ذلك بأن ما قاله لابن موسك وتوفي المعظم وهو متتكر على ابن موسك، وعاد الملك الأشرف وعساكر حلب في شهر رمضان من شهور هذه السنة وشتى الملك الأشرف بسنجار.

(١) في الأصل «لتسع» والصيغة المثبتة هي الصيغة الصحيحة لأن ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٦٢١ يوافق يوم الجمعة ١٢ يوليو سنة ١٢٢٤ انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٢٣.

(٢) الزاب: اسم لعدة أنهار:

- الزاب الأعلى: بين الموصل وإربل و مخرجه من بلاد مشتكهر. وهو حد بين أذربيجان وبانغيش ويجري في أراضي الموصل حتى يصب في نهر دجلة على بُعد فرسخ من الحديثة ولعله هو المقصود هنا.
الزاب الأسفل: مخرجه من جبال السلق ما بين شهرزور وأذربيجان ثم يمر ما بين دقوقا وإربل و ثم يمتد حتى يصب في دجلة عند السن وبين بغداد وواسط زابان آخران يسميان أيضاً: الزاب الأعلى والزاب الأسفل انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٣-١٢٤.

وفي سلخ ذي القعدة من شهور هذه السنة انهدم من سور قلعة^(١) حلب الأبراج التي تلي باب^(٢) الجبل من حد المركز وهي عشرة أبراج.

وتساقطت مع أبدانها، ووافق ذلك شدة البرد في الأربعينيات^(٣)، فاهتم الأتابك^(٤) شهاب الدين طغرل بعمارتها وتحصين الآتها ولازمها بنفسه حتى أتمها، وقيل وقع من قلعة حلب سبعة أبراج بأقدامها بأن تهافتها الأمير شهاب الدين طغرل أتابك حلب في أسبوع منه ورتب الأجناد من العسكر والرجالة لينهبونها (١٤١-ظ) خوفاً من طمع الفرنج وعسكره وقاصريه على عمارتها من ماله، وقال: هذه في ولايتي وأيامي في هذه السنة، وورد كتاب الملك المعظم صاحب دمشق المحروسة إلى القاضي شرف الدين سالم بن نصر الله بن واصل الشافعي الحموي قاضي المعرة معرة النعمان من بلاد حماه يستدعيه إلى خدمته.

على يد عتيق بن مراحل السلماني^(٥) كان يتردد في الرسائل بين الملك المعظم صاحب دمشق والملك الناصر صاحب حماة قال ولده القاضي جمال الدين محمد: فساfrنا من حماه في أواخر شعبان - يعني من هذه السنة - قال: فوجدنا منه إقبالا عظيما ولازم والدي الاجتماع به والحضور في خدمته وكان الملك المعظم في أكثر الأوقات يحاضر الفقهاء والعلماء ويباحثهم في دقائق العلوم، وطلب والدي منه المقام بالقدس الشريف لينقطع فيه للعبادة وتوقف الملك

(١) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٩٦.

(٢) الملك الظاهر فتح في سور القلعة بابا يسمى باب الجبل شرقي باب القلعة.

(٣) هي مدة أربعين يوماً في الشتاء يكون البرد فيها قارسا انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٤١.

(٤) الأتابك: معناه الولد الأمير وأول من تلقب بذلك نظام الدولة ملكشاه السلجوقي وقيل أتابك معناه أمير أب والمراد أبو الأمراء واللفظة مركبة من أتا بمعنى أب وبك بمعنى أمير انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨.

(٥) عن أخيه القاضي حجة الدين بن مراحل انظر: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١١٨.

المعظم في إجابته إلى ذلك، وقال للقاضي نجم الدين^(١) قاضي العسكر المعظمي: " قل له يقيم بدمشق لأوليّه أحد المنصبين الخطابة أو القضاء فأبى والدي إلاّ المضي إلى القدس ففوّض الملك المعظم إليه تدريس المدرسة الناصرية الصلاحية^(٢) وهي المدرسة التي كان فوّض السلطان صلاح الدين يوسف تدريسها^(٣) لما وقفها إلى القاضي بهاء الدين بن شدّاد^(٤) ووليها بعد ذلك جماعة أكابر منهم الشيخ فخر الدين بن عساكر^(٥)، والشيخ تقي الدين ابن الصلاح^(٦) فمضى والدي [٤٢-و] إلى القدس الشريف ودرس في المدرسة المذكورة وفيها اشترى الملك

(١) نجم الدين خليل بن المصمودي ياقوت الحموي قاضي العسكر انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٤١ وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٧٤٣.

(٢) المدرسة الناصرية الصلاحية: بنى هذه المدرسة السلطان نور الدين محمود بن زنكى بالقرب من البيمارستان النوري، ونسبت إلى الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب انظر النعمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ٣٣١-٣٣٣ وكرد علي: خطط الشام، ج ٦ ص ١٢٠-١٢١.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ١٤١-١٤٢.

(٤) القاضي ابن شدّاد (ت ٦٣٢هـ): الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة بقية الأعلام بهاء الدين أبو العزّ وأبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الحلبي الأصل والدار الموصلي المولد والمنشأ الفقيه الشافعي المقرئ المشهور لابن شدّاد وهو جدّه لأمه حدّث بمصر ودمشق وحلب كان ثقة حجة عارفاً بأمر الدين اشتهر اسمه وسار ذكره وكان ذا صلاح وعبادة انظر: الصلابي: الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج ١، ص ٢٧٩.

(٥) ابن عساكر: كان ابو منصور عبد الرحمن بن محمد الملقب فخر الدين بن عساكر إمام وقته في علمه ودينه ودينه ودرس بالقدس ثم دمشق وتخرج عليه جماعة من الأئمة والفضلاء وتوفى سنة ٦٢٠ هـ انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٧٧-٢٧٨ وج ٣، ص ١٣٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٩٤-٩٥ و ابن شاکر الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٢٨٩ وابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٦٧-٦٩.

(٦) وتقى الدين بن الصلاح هو الفقيه الشافعي أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال قام بالتدريس في عدة مدارس بدمشق منها المدرسة الناصرية الصلاحية والمدرسة الرواحية ودار الحديث وكان أبوه مدرّساً بالأسديّة التي بحلب وواقفها أسد الدين شيركوه بن شادي وقدم هو الشّام وهو في عداد الفضلاء الكبار. وتوفى تقى الدين بدمشق سنة ٦٤٣ هـ - ١٢٤٥ م انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣١٢-٣١٣ وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٩٦ وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٤٣-٢٤٤ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٣٠-١٤٣١، وابن شاکر الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٢٨٩، وابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٦٧، ٦٩.

الأشرف من تجار حجر بلخش^(١) وزنه ستون درهما غير نصف درهم يعرف هذا الفص بالجبل، وهو الذي كان لسليمان شاه بن سلجوق وصحبته فص آخر وزنه خمسة عشر درهما مجمله ذهب وقد كان التجار اشتروه من أتابك أربل وهو الحجر المسمى في التواريخ بالجبل. وفيها بعد وفاة الأمير عز الدين مسعود^(٢) المعروف بابن الداية صاحب شيزر^(٣) ولي شيزر ابنه الأمير شهاب الدين الأعرج.

[٤٢-ظ]

ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم

عبد المحسن بن نصر الله^(٤) بن كثير الشامي الأصل المصري المولد والدار والوفاة يَكْنَى أبا محمد ويُلقب زين الدين ويُعرف بابن البيّاع الشافعي المذهب تفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه على الفقيه أبي القاسم عبد الرحمن بن سلامة وجابره ، وتميز وكان طلق العبارة جيد القراءة ، ، وناب في الحكم عن قاضي القضاة.

أبي القاسم عبد الملك^(٥) بن عيسى الماراني^(١) صدر الدين في البلاد البهنساية، والسهرورية، والسهرورية، والسنجارية، وأبيار من أعمال الديار المصرية وخطب بقلعة الجبل مدة، وتقلب في

(١) جوهر أحمر شفاف يضاهي فائق الياقوت الحموي في اللون والرونق وقد سمي هكذا نسبة الى بلخشان حيث يكثر وجوده انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣ ص ٢٢١ وابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٠٤.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٦٤.

(٣) شيزر: قلعة قرب المعرة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٨١.

(٤) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ٦٨، ٦٩.

(٥) أبو القاسم عبد الملك بن عيسى الماراني الشافعي. ولد بنواحي الموصل سنة ست عشرة وخمس مائة وتفقه وتفقّه بحلب على أبي الحسن المرادي وسمع بدمشق من أبي القاسم بن البن. ، وسكن مصر وبها مات في

الحرم الديوانية ويلازم الحافظ أبا الحسن علي بن المفضل الدمشقي توفي الزين عبد المحسن المذكور في رابع عشرة من ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وستمئة هذه السنة بالقاهرة المحروسة، ودُفن بسفح المقطم بقرب الشيخ روزبهار رحمهما الله تعالى.

عبد القوي بن القاضي أبي المعالي^(٢) عبد العزيز بن الحسين بن عبد الله التميمي السعدي الأغلب ، يكنى أبا البركات ، ويلقب سعد الدين، وينعت بالأسعد، بن الحباب المالكي المذهب كان عدلاً شهد عند قاضي القضاة صدر الدين الماراني وغيره، سمع من الشريف الخطيب أبي الفتوح ناصر بن الحسن الزيدي، وأبي البقاء عمر بن محمد المقدسي، وغيرهما ، وسمع أيضاً من الحافظ أبي طاهر السلفي وحديث، ولد في سنة ست وثلاثين [٤٣-و] ، وتوفي في ليلة سلخ شوال سنة إحدى وعشرين هذه السنة.

عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع^(٣) بن عبد الله بن عبد السميع بن علي بن القاسم بن الفضل بن الحسين بن أحمد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطّلب العباسي الهاشمي الواسطي، يُكنى أبا طالب، ويُلقب شرف الدين، كان أحد أعيان واسط

رجب انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٣، ص ١٧٩ والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٢ ، ص ١٥٦، وأبي شامة: الذيل على الروضتين، ص ٦٧، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٥٢.

(١) الماراني: نسبة إلى بني ماران بالمروج تحت الموصل، انظر: المنذري: وفيات النقلة، ج ٢، ص ١٥٦.

(٢) انظر: ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٤٩٨، والسيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ١، ص ٣٧٧، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٩٥.

(٣) انظر: الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الديلمي، ج ١، ص ٢٤٠ وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٩٤-٩٥ و ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٧٠ و الذهبي: العبر، ص ١٨٣، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ١٤.

وعدولها وفضلانها شافعي المذهب شيخا في الآداب والعلوم، ذكره الشيخ تاج^(١) الدين علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعروف بابن الساعي في كتاب "محاسن الفنون وإحراق العيون" وقال في حقه : كان من الأعيان الفضلاء وأهل الدين النبلاء وله تصانيف كثيرة مفيدة وكان فاضلا متقنا عدلا ثقة له معرفة بالفقه والشروط والحديث وكان سريع القلم كثير الكتابة كيساً، وكان دمث الأخلاق محبا للعلم وأهله متوددا إلى الناس مثواه فيها مليح الصورة مهيب الشكل مَنُور الشيبة وله خطب ورسائل وشعر عَمَر، وروى الكثير من مسموعاته ومؤلفاته قال: واجتمع فيه سبع شينات لم تجتمع في غيره؛ لأنه كان شيخا في الآداب والعلوم ، شافعي المذهب يلقب شرف الدين شريفاً شاعراً شاهداً شروطياً، وقد أنشدت في ذلك :

شرف الدين شيخا شافعي شاعر شاهد شريف شروطي.

قال: وأخبرني عنه أبو عبد الله بن الربيع^(٢).

قال أنشدني لنفسه: ^(٣)

لو أن طرفي مذ شطّ المزار بكم ذاق الكرى وأسند النوم أو رقدا (٤٣) -

(١) التاج: قصر مشهور بدار الخلافة ببغداد كان أول من وضع أساسه وسماه بهذه التسمية الخليفة المعتضد ولم يتم في أيامه فأتمه ابنه المكتفي وجرت عليه تطورات ذكرها ياقوت الحموي مفصلة في "معجم البلدان" ج ١ ص ٨٠٦-٨٠٩ والقبه المشار إليها هي التي كان يجلس فيها الخلفاء للمبايعة في شباك كبير الى صحن كبير يجتمع فيه الناس لذلك انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ١٢.

(٢) الربيعي: بكسر الراء وسكون الموحدة المقرئ أبو عبد الله محمد بن سلامة بن أبي الحسن بن نبيوت بن الربيعي الماكسيني الخابوري حدث عن الفخر على بن البخاري «و الربيعي: بضم اوله وفتح ثانيه محمد بن عرادة بن حنظلة التميمي الربيعي من بنى ربيع بن الحارث شاعر. وأبوه عرادة راوية الفرزدق انظر: السمعاني: الأنساب، ج ٦، ص ٧٩.

(٣) لم أجد الأبيات الشعرية في المصادر المتوفرة بين يدي.

سألتكم أن خيال في مضجعي
لكن جفوني جفت طيب المقام
وقوله:

مولاي هذي أشواق أكابدها
ووحشة لك بعتاب يقوم بها
فأسلم وذم وابق في عز ومقدرة
وقوله:

بنسبي من أعيأ أما رمت وصفها
يغيرها تل وطرقها دجى
وقوله:

تمر الليالي والعوام شيوخ
تولّى شبابي والصدّاقة لم تزل
ترى يرجع الإمام يجمع بيننا
وقوله:

دع يأمرؤا من الدنيا وزخرفها
ولا تطّع أمرأ بالظلم مبتغيا
وقوله:

تبا لمن همّة الدنيا وبغيته
يسعى وبدأت في البيتّين يدركه
كم أشغف الوهج أقواما يبتغيهم
وكلما أدركوا ما أملوا نظروا
رأس الخطيّة حب المال فأنتج به
والداخلون خُصّوا بالدم أو تخلّوا
واحذر مضاعوهم إن كنت متّعظ

طمعاً إن طويت الكمدا
فلم يذقه مذ غرد الحادي بكم وشدا

إليك أعجز عن بغداد أينسها
نطقي ولحجم فكري عند تذكرها
وتطوى الليالي كما تطوى شهباً

ومن العسر بدّلوا من محاسنها أخضر
ولأمها حمز وألفاظها سحر

ويرقب قمرن والزمان يفوت
وعاش شقاي والشفقا يموت
ومنهم يشمل الوصل وهو شيب

واطلب رضى الله في قول وفي عمل
نيل الحطام على الحصن وأخطل

زيادة المال فيها فهو متيقن
مرة أو ساق لاستقامة البعض
واعتنى لما زادهم سوءا
وكلما راجت أموالهم حرصوا
واسمح رغد قدود الأمثال وجلسوا
أو مزوا أو على أعقابهم يكتبوهم
فقدانك به الأنبياء والقصص [٤٤-و]

وُلد في شهر رمضان من سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة بواسط، وتوفي في سادس المحرم من سنة إحدى وعشرين هذه السنة بواسط رحمه الله تعالى.

علي بن عبد الرشيد بن علي بن بنيمان^(١) بن مكي الهمذاني المقرئ الحداد ، يكنى أبا الحسن سبط الحافظ أبي العلاء الهمذاني قرأ القرآن العزيز على جده لأمه الحافظ أبي العلاء بهمذان، وسمع بها من أبي الخير محمد بن أحمد الباغيان وجده أبي العلاء ، وحضر أبا الوقت السجزي، ودخل بغداد وسمع من أبي الفرج محمد بن أحمد بن نيهان وأبي الفتح بن شاتيل وأبي السعادات نصر الله بن عبد الرحمن القزاز وأبي حفص عمر بن أبي بكر بن التبان وجماعة كثيرة وتفقه على أبي الخير القزويني بالمدرسة النظامية وسمع منه ومضى إلى الشام وإلى ديار مصر وكتب في سفره عن جماعة وعاد إلى همذان وولّي القضاء بها من الديوان العزيز^(٢) الخليفة وقدم بغداد وحدّث ببغداد وغيرها ، وتولى أيضا قضاء الجانب الغربي من بغداد، ثم توجه إلى تستر وولّي القضاء بها أيضا وسكنها إلى حين توفي في التاسع والعشرين من صفر سنة إحدى وعشرين هذه السنة بتستر^(٣) وهو أخو محمد الهمذاني لأبويه - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى -

(١) انظر: الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله بن الدبيثي، ج ١ ، ص ٣٠٠ وابن العماد: شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٩٥، والذهبي: العبر، ص ١٨٤، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ٢٦٢. وج ٣، ص ١١٧، ١١٨ والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ٢٤٧.

(٢) الديوان العزيز: أي ديوان الإنشاء، والديوان: كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر ثم تطور استعمال هذا اللفظ فأطلق من باب المجاز على المكان الذي تحفظ فيه السجلات الخاصة بأمور الدولة المختلفة وقد اقتبس عمر بن الخطاب نظام الدواوين في الدولة الإسلامية بعد أن اتسعت الفتوحات في عهده وأصبحت الحاجة ماسة الى ضبط أمور الدولة فأنشأ ديوان الجند لكتابة أسماء الجند وديوان الخراج لتدوين ما يرد إلى بيت المال من أموال وهو ديوان الخلافة العباسي. انظر: حسن إبراهيم حسن بك: النظم الإسلامية، ص ٣١٥-٣٢٣، والنسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص ٤٩.

(٣) تُسَمَّى: بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء: أعظم مدينة بخورستان اليوم وهو تعريب شوشتر انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢ ص ٢٩.

كافور بن عبد الله الحسامي الزمام يلقب شبل الدولة^(١) ، ويكنى أبا المحامد ، كان خادماً وإمام الكبيرة أم حسام الدين أخت السلطان الملك العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب سمع من أبي الظاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي وحدث عنه بدمشق ، فقال: إنه كان أصله [٤٤-ظ] من القصر بالقاهرة المحروسة ، وتقل في الحرم والبلاد إلى أن صار بدمشق ، وله آثار حسنة ، وأوقاف كثيرة ومعروف نافع في الدنيا والآخرة ، صنع في جنب قريته مدرسة للفقهاء على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه ، وجاء نجدة للصوفية وجعل التربة بينهما توفي في شعبان من سنة إحدى وعشرين هذه السنة بدمشق وقيل توفي في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين ودفن بتربته في سفح قاسيون .

محمد بن عبد الرشيد بن علي بن بنيمان^(٢) بن مكي الهمذاني الأسواني وفاة ، يكنى أبا أحمد المقرئ الحداد التاجر سبط الحافظ أبي العلاء الهمذاني ، سمع بهمذان من أبي الخير محمد بن أحمد الباغباني ومن جده الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد^(٣) وغيرهما ، وحدث ببغداد ، وتوفي في السادس عشر من صفر سنة إحدى وعشرين هذه السنة بأق سرا من بلاد الروم ، ومن العجب العجيب اتفاق وفاة علي الهمذاني المذكور قبل كافور ووفاته شقيقه محمد الهمذاني المذكور

(١) انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢ ص ٢٨٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٥ ص ٤٩١ وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦ ص ٢٦٤، أبي شامة: الذيل على الروضتين، ج ١، ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ط ١، ج ٤٥ ، ص ٧٥.

(٣) انظر: الذهبي: العبر، ص ١٩٣.

في شهر واحد من سنة واحدة ووقوف كل واحد من الأصحاب والوفاة في النسب مع بُعد المكان في موضع الوفاة هذا بتستر وهذا بأقصر^(١) رحمهما الله تعالى.

محمد بن الفقيه أبي المنصور^(٢) فتح بن محمد بن علي بن خلف السعدي الدميّطي يكنى أبا عبد الله ويلقب زين الدين الكاتب سمع من الحافظ السلفي، وأبي الضياء بدر بن عبد الله الخدادادي، والشريف أبي المفاخر سعيد بن الحسين المأموني، وأبي الظاهر إسماعيل بن قاسم الزيّات، وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المسعودي، وأبي المحاسن المشرف بن الموصلي [٤٥-و] بن علي الهمذاني، وأبي القاسم هبة الله بن علي الأنصاري، وحدث بمصر ودمشق وفاق أقرانه في جودة الخط حتى فضّله بعضهم على أستاذه، وكتب في ديوان الإنشاء الكامل مدة وترسل عنه.

وُلد زين الدين في أواخر سنة ست وأوائل سنة سبع وستين وخمسئمة، وتوفي في الرابع من صفر سنة إحدى وعشرين هذه السنة بقرافة^(٣) مصر المحروسة ودفن بها من يومه.

مقدام بن القاضي الأجل أبي العباس^(٤) أحمد بن شكر المصري، يكنى أبا الفوارس، ويلقب فخر الدين بن الوزير الأغر سمع من أبي يعقوب يوسف بن هبة الله بن الطفيل والقاضي أبي محمد عبد الله بن محمد بن المجلي الرملي وغيرهما، وتفقّه على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وكان مكرماً للفقهاء والفقراء محباً لأهل الصلاح والعفاف.

(١) أقصر وأقل: قصر وهي من بلاد الروم بينهما وبين قونية ثلاث مراحل وهي المعروفة التي بأقسرائي أي: السراي البيضاء مدينة بين أنطاكية وأنقرة انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥ ص ٧٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٥.

(٢) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٤٥، ص ٦١، ص ٧٦.

(٣) انظر: المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٤٣.

(٤) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ٧٩، ٨٠، ج ١٠، ص ٦٢.

وُلد في سنة إحدى وستين وخمسمئة، وتوفي في ليلة سلخ شعبان المكرم من سنة إحدى وعشرين هذه السنة بالقاهرة، ودُفن من الغد بسفح المقطم بقرب سيدي عقبة بن عامر الجهني^(١) أمير مصر، وأحد الصحابة رضي الله عنهم.

مظفر بن أبي الخير بن إسماعيل^(٢) بن علي التوريزي الواراني، أبا الأسعد، ويقال كنيته أبو الخير، ويُلقب أمين الدين، سمع من أبي الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب الحراني وأبي أحمد عبد الوهاب بن سكينه وحدثه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ببغداد على أبي القاسم خلف بن فضلان وغيره بمصر والبصرة [٤٥-ظ] وكان طريفا فقيها فاضلا يُعرف علوم الأوائل عاد بالمدرسة النظامية مدة وأم بالناس بمسجد عز الدين الشرابي مدة وحجّ وقدم مصر من الحجاز الشريف ودرس بالمدرسة الناصرية المجاورة للجامع العتيق بمصر المحروسة مدة ثم توجه إلى العراق ومضى إلى شيراز وأقام بها إلى حين وفاته، وُلد في سنة ثمان وخمسين وخمسمئة، وتوفي في سنة إحدى وعشرين هذه السنة بشيراز^(٣) رحمه الله تعالى.

مسعود بن عثمان بن الداية^(٤) يُلقب عز الدين كان أميراً كبيراً من خواص الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي الأتابك صاحب حلب ودمشق وغيرهما، وتقلبت به الأحوال إلى أن صار مالكا لشيرز، وهو أحد أولاد الداية الذين كانوا برفقة الملك العادل وخواصه الذين

(١) انظر: الذهبي: العبر، ج ١، ص ٤٥، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج ٧، ص ٤٣٩.

(٢) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ٧٩، ٨٠، ج ١٠، ص ٦٢، السمعاني: الأنساب، ج ١٣، ص ٢٥٤، المنذري: التكملة لوفيات النقلة ج ٣، ص ١٣٤.

(٣) شيراز: بالكسر وآخره زاي: بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قسبة بلاد فارس في الإقليم الثالث انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠.

(٤) انظر: ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين ت ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٥٥.

يعتمد عليهم ، وهم كانوا أصحاب دولته لاسيما الأمير مجد الدين صاحب البلاد والأمر فيها، وقد قدمنا من أخبارهم ما فيه كفاية^(١)، وكان مسعود المذكور آخر من بقي من كبارهم، توفي في سنة إحدى وعشرين هذه السنة.

محمود بن قليج الحلبي^(٢)، يلقب شمس الدين كان أحد الأمراء الحلبيين ، وتوفي في سنة إحدى وعشرين هذه السنة.

[٤٦-و]

ذكر الحوادث في سنة اثنتين وعشرين وستمئة

في هذه السنة وصل الشيخ شهاب الدين السهروردي^(٣) رسولا من الخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله العباسي إلى الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل الأيوبي صاحب الرقة وخلاط وما معها من البلاد الشرقية وصحبه سيف الدين بن فلاح مقدم النجابين إلى الرقة بهدايا وتحف لم يسمح بنو العباس بمثل ذلك لملك غيره^(٤) وفيها أخرج الملك الأشرف خمسة أبراج من سور الرقة وأبدانها في قبالة الأدر^(٥) التي عمرها^(٦)، وفيها وصل الملك الجواد

(١) أي أولاد الداية انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٦٤.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣، ص ٨١.

(٣) السهروردي (ت ٦٣٢ هـ ١٢٣٤ م) يُنسب شهاب الدين السهروردي إلى قرية سُهرورد بإقليم زنجان وقد أقام هذا الرجل معظم أيام حياته في بغداد وتمتع بثقة الخليفة الناصر لدين الله العباسي كما أنه كان من كبار رجال الصوفية في عصره وألّف في التصوف كتابا سمي " عوارف المعارف " انظر: بروكلمان: تاريخ الآداب العربية، ج ١ ص ٤٣٧، رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص ١٩٧.

(٤) انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١١٠.

(٥) مفردا دار وهي دور السلطان ومجالسه انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٣ والخطيب: معجم المصطلحات، ص ٢٢.

(٦) انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١١٤.

مظفر الدين يونس بن مودود من مصر في البحر^(١) خوفاً من عمه الملك الكامل صاحب الديار المصرية إلى عمه الملك المعظم صاحب دمشق، فأحسن إليه وتخلل الملك الكامل من أمرائه وميلهم إلى أخيه الملك المعظم، فقبض جماعة منهم ووقع عنده الاحتزاز ووصى على الطرقات وغيرها. وفيها وصل رسل الملك الكامل إلى الملوك الذين في خدمة الملك الأشرف بالاتفاق معه فتحالف الجميع.

ذكر عود السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه من الهند إلى بلاده وقوة أمره

كنا ذكرنا ما جرى بين السلطان جلال الدين منكبرتي بن السلطان علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه وانتصاره عليهم وكسره لمن كسر منهم ، ثم اختلاف عسكره وتوجهه إلى بلاد الهند فلما كانت هذه السنة^(٢) قدم من الهند ووصل إلى كرمان ثم وصل إلى أصفهان ، وكانت كما ذكرنا قد امتنعت على التتار لعظمتها وكثرة أهلها [٤٧-و] وكانت عراق العجم كما ذكرنا^(٣) بيد أخيه غياث الدين وقد سارعنها إلى فارس وملك بعض بلادها وأبقى ما فيها على صاحبها أتابك سعد ولما وصل السلطان جلال الدين إلى أصفهان ملكها واستولى على عراق العجم ثم سار إلى فارس، فاستعاد ما أخذه أخوه منها وسلمه إلى صاحبها أتابك سعد بن دكلا، ودخل أتابك سعد وأخوه غياث الدين في طاعته ثم سار السلطان جلال الدين إلى خوزستان وكانت بيد الخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله العباسي فحاصر مدينة تستر في المحرم من هذه السنة، وكان بها الأمير مظفر الدين المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة الناصر لدين الله فحصره

(١) انظر: ابن نطيف: التاريخ المنصوري، ص ١١٣، والمقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦٥.

(٢) انظر: المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦٥، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٨٨، وأبو الفداء:

المختصر، ج ٣، ص ١٣٤-١٣٥، وأبي الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج ٢، ص ٤١٤.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٣٢.

جلال الدين وضيق عليه وبالغ الأمير وجه السبع في حفظ تستر وتفرق عسكر جلال الدين^(١) ينهبون حتى وصلوا إلى بادرايا وباكسايا^(٢) وغيرهما من أعمال بغداد، والتجأ بعضهم إلى ناحية البصرة فسار إليهم متولي البصرة من الخليفة الناصر لدين الله وهو الأمير بلتكين فأوقع بهم وقتل منهم جماعة، ودام حصار جلال الدين لمدينة تستر شهرين، ثم رحل عنهم بغتة، وكان بالقرب من عسكر الخليفة مع الأمير جمال الدين قُشتمر مملوك الخليفة فلم يجسر على التقدم إليه ثم سار جلال الدين إلى بعقوبا^(٣) وهي قرية كبيرة مشهورة وبينها وبين بغداد نحو سبع فراسخ ولما وصل الخبر بذلك إلى بغداد تجهزوا للحصار وأصلحوا الآتِ الحرب وعاد عسكر الخليفة [٤٧- ظ] جلال الدين إلى بغداد ونهب جلال الدين البلاد وأهلكها وغنم هو وأصحابه من البلاد ما لا يقع عليه الإحصاء، وكانوا قبل ذلك في ضائقة عظيمة، وقلة من الظهر، والسلاح، ثم سار إلى دقوقا فحاصرها وصعد أهلها على الأسوار وقاتلوه وشتموه، وأكثروا من التكبير عليه فعظم ذلك عليه وجدّ في قتالهم، ثم فتح المدينة عنوة وبذل السيف في أهلها، وفعل أشنع من فعل التتر فقتل أكثر أهلها، وذهب من سلم منهم وتفرقوا في البلاد^(٤)، واستولى جلال الدين على ما في دقوقا من الأموال. وكان فيها متمولون كثيرون وتجار، ولما

(١) وردت [وتفرق الخوارزمية. . انظر: ابن الأثير الكامل ج ١٢، ص ٤٢٦.

(٢) باكسايا: في نسخة وردت [باكسنا] والاسم الصحيح وهو المثبت من ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢ ص ٤٢٦، باكسايا بلدة قرب البندنجين وبادرايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي في أقصى النهر. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٢٧.

(٣) بعقوبا ويقال باعقوبا قرية كبيرة كان بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من أعمال طريق خراسان، وهي كثيرة الأنهار والبساتين انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٢٥.

(٤) عن استيلاء جلال الدين على دقوقا انظر: النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٩٣.

جرى ما ذكرنا على أهل دقوقا، خاف أهل البوازيج^(١) من جلال الدين وهي لبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فطلبوا الأمان من جلال الدين وسألوه أن يبعث إليهم شحنة من قبله وبذلوا له مالا فأجابهم إلى ذلك^(٢) وسير إليهم من يحميهم.

وذكر أنّ الشخص الذي سيّره لحمايتهم هو أحد أولاد جنكيز خان ملك التتر كان أسره جلال الدين في بعض حروبه ثم أكرمه فصار من أصحابه فحمى أهل البوازيج وأقام جلال الدين بمكانه إلى آخر شهر ربيع الأول^(٣) من هذه السنة والرسلة مترددة بينه وبين الملك مظفر الدين كوكبوري بن علي كوجك صاحب أربل ثم تقررت بينهما قاعدة الصلح، وسار إلى جلال الدين ودخل في طاعته وراسل الملك المعظم بن الملك العادل الأيوبي صاحب دمشق أيضا السلطان جلال الدين واتفق معه، وصار هو والثلاثة يدا واحدة الملك المعظم صاحب دمشق والملك المظفر صاحب أربل [٤٨-و] وجلال الدين بن خوارزم شاه، وفعل الملك المعظم صاحب دمشق ذلك معاندة لأخوته الملك الكامل صاحب الديار المصرية والملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية والله أعلم.^(٤)

وفي هذه السنة^(٥) وصل رسول أرزن الروم واسمه أبو الفتح جهان شاه بن طغرل بن قليج أرسلان الملقب ركن الدين السلجوقي إلى الملك الأشرف يطلب رسولا من عنده يقف على

(١) البَوَازِيجُ: بعد الزاي ياء ساكنة وجيم: بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ويقال لها بوازيج الملك لها ذكر في الأخبار والفتوح وهي الآن من أعمال الموصل انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١ ص ٥٠٣، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١، ص ١٣.

(٢) انظر: ابن الأثير الكامل، ج ١٢، ص ٤٢٧.

(٣) وردت [إلى أواخر ربيع الآخر] انظر: ابن الأثير الكامل ج ١٢، ص ٤٢٨.

(٤) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ١٤٥، ١٤٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٢٧.

(٥) انظر: ابن نضيف: التاريخ المنصوري، ص ١١٢ - ١١٤.

سماع الخطبة له؛ لأنَّ أباه مات، وهو عم السلطان علاء الدين كيقباز^(١) فأرسل معه الملك الأشرف الأمير شروة المعروف بسبع مجانين الكردي أكبر أمراء دولته.

وفيها قطع الملك المعظم بن العادل طريق باب الفرج إلى باب الحديد^(٢) تحت القلعة وأجرى الماء فيه.

وفيها عرض الملك المعظم سور دمشق جميعه وقراه وفيها ينكر الملك المعظم على أخيه الملك الصالح لشيء بلغه عنه وأحضره من بصرى^(٣) وأسكنه دمشق إلى حين موته.

قال الشيخ محمد بن نظيف الحموي^(٤): وفيها وصل مجد الدين قاضي الممالك الحنفي رسولا من ابن خوارزم شاه إلى الملك الأشرف، ثم إلى الملك المعظم، ثم إلى السلطان الملك الكامل فشرب الخمر معهم وأحسنوا في عطائه ونسق نسقا ظاهرا وباطنا وأحسنوا في إقامته.

ذكر خلع رشيد صاحب الدربند وتملك ولده

كان شروانشاه رشيد صاحب الدربند^(٥) سيء العشرة [٤٨-ظ] كثير الفساد والظلم برعيته، وكان وكان يتعرض لنسائهم وأولادهم بالفساد، فاشتدت وطأته عليهم فاتفق بعض العسكر مع ولده

(١) توفي سنة ٦٣٤هـ ١٢٣٦م انظر: المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٢٥٤، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٧٠٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٤٦.

(٢) باب الحديد من أبواب دمشق أيضا انظر: صلاح المنجد: مخطط دمشق القديمة، ص ٥٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١، ص ٤٦.

(٣) بصري: بلد بالشام من أعمال دمشق، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٦٥٥.

(٤) انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١١٤، ١١٥.

(٥) دربند: كلمة فارسية معناها في الأصل سنبله من حديد يقل بها باب الدكان ويُقال لها دروند أيضا وتستعمل هذه الكلمة كذلك بمعنى المضايق والطرقا انظر: المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٢٤٨ حاشية ٣، دائرة المعارف الإسلامية مادة Derbend، وأبي الفضائل (مفضل بن أبي الفضائل): النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج ١، ص ٤٩٣.

عليه فأخرجوه من البلاد ، وملكوا ولده فأحسن السيرة فأحبّه الرعية والعساكر وأرسل إلى أبيه يقول له: "المصلحة أن تكون في بعض القلاع وأجرى لك من الجرايات ما يقوم بك وبكل من تحب أن يكون عندك والذي حملني على ما فعلت معك سوء سيرتك وظلمك لأهل البلاد، وكراهيّتهم لدولتك" ، فلما سمع شروانشاه رسالة ابنه إليه سار إلى الكرج واستتصر بهم ، وطلب منهم أن يسيروا معه عسكريا ليستعيد البلاد إلى نفسه، ويأخذها من ولده فسيروا معه عسكريا كثيرا، فسار بهم حتى قرّب من مدينة شروان، ولمّا سمع ابنه مسيره إليه سار إليه في عساكره، وكانوا نحو ألف فارس ولقى أباه والكرج وهم نحو ثلاثة آلاف فارس، واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الكرج، وقتل منهم وأسر خلق كثير، وعاد من سلم منهم بأسوء حال ومعهم الملك شروانشاه المخلوع.

فقال له مقدمو الكرج: "إنّا لم نلق بسببك خيرا، ولا نؤاخذك بما كان منك، فلا تقم ببلادنا" ففارق بلادهم وبقي مترددا، لا يأوي إلى أحد، واستقر ولده في الملك وردّ إلى الرعية ما اغتصبه أبوه من أملاكهم، وما أخذ منهم فاغتبطوا بولايته وأحبوه^(١).

ذكر الحرب بين المسلمين والكرج ونصرة المسلمين

في هذه السنة سار جمع من الكرج من تقليس يقصدون أذربيجان والبلاد التي بيد [٤٩-و] السلطان مظفر الدين أوزبك بن البهلوان، فنزلوا وراء مضيق في الجبال لا يسلكه إلا الفارس بعد الفارس فأقاموا به آمنين من المسلمين استضعافا لهم اغتراراً بحصانة موضعهم، وأنه لا طريق إليهم فركبت العساكر الإسلامية وقصدوهم في ذلك المضيق مخاطرين، فلم يشعر الكرج إلا وقد كبسهم المسلمون، وبذلوا السيف فيهم فقتلوهم كيف شأؤوا، وولى الباقون منهزمين، وأسر

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٤٦، ١٤٧.

منهم جمع صالح فعظم ذلك على الكرج ، وعزموا على قصد أذربيجان واستئصال المسلمين منها والأخذ بثأرهم ، وبينما هم كذلك إذ وصل إليهم الخبر بوصول السلطان جلال الدين منكبرتي بن خوارزم شاه إلى مراغه- كما سنذكره إن شاء الله تعالى - فتركوا ذلك العزم وراسلوا السلطان مظفر الدين أوزبك بن البهلوان صاحب البلاد يدعونه إلى الاتفاق معهم، والصلح ليردوا السلطان جلال الدين، وخوفوه منه وقالوا له: "إن لم نتفق نحن وأنت وإلا أخذك، ثم أخذنا " فعاجلهم السلطان جلال الدين قبل اتفاقهم كما سنذكره إن شاء الله تعالى. (١)

ذكر استيلاء السلطان جلال الدين على بلاد أذربيجان (٢)

كان إيغان (٣) طائيسي زوج أخت السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه الذي قدمنا ذكره وذكر ما جرى بينه وبين السلطان غياث الدين من الحرب فقد جمع بعد ذلك عسكريا تقديره خمسة آلاف فارس ثلاث آلاف من بلاد أذربيجان ثم سار إلى البحر من بلاد آران [٤٩ ظ] فشتى هنالك (٤) لقلعة البرد في تلك البلاد ولمّا عاد السلطان جلال الدين إلى بلاده وفعل ما قدمنا شرحه ومملك دقوقا كما ذكرنا سار إلى مراغه (٥) من بلاد أذربيجان فملكها وأقام بها وشرع في عمارة البلد واستحسنه ثم وصل إليه الخبر، بأن إيغان طائيسي قد جمع عسكريا وسار إلى همذان ليملكها ويستولي على عراق العجم وكان سبب قصد هذه الناحية أنّ الخليفة أمير

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) ورد خبر ذكر ملك السلطان جلال الدين أذربيجان مختصرا انظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٩٤ - ١٩٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ص ٣٩٣ - ٣٩٥، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ١٤٨ - ١٥١.

(٣) وردت [إيغان] انظر: النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص ١٤٤.

(٤) انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٣٢.

(٥) ذكر ابن الأثير أن استيلاء التتر على مراغه وما بعدها من المدن في سنة ٦١٨ هـ ١٢٢١ م انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٣٥ - ٣٤٣.

المؤمنين الناصر لدين الله كتب إليه يُطمعه فيها وأقطعه إياها وغيرها، فسار إلى تلك الناحية ليستولي عليها ولمّا بلغ ذلك السلطان جلال الدين سار إليه جريدة فوصل إليه ليلاً، وكان إيغان طائيسي إذا نزل جعل حول عسكره جميع ما غنمه من أذربيجان وآران من خيل وبغال وحمير وبقر وغنم، فلمّا وصل السلطان جلال الدين أحاط بالجميع.

ولمّا أصبح إيغان طائيسي ورأى العسكر والجتر^(١) الذي يكون على رأس السلطان، علموا أنه جلال الدين فسقط في يده، لأنه كان يظن أنه عند دقوقا بالعراق فأرسل إيغان طائيسي زوجته وهي أخت السلطان جلال الدين تطلب منه الأمان فأمنه وأحضره عنده وإنضاف عسكره إلى جلال الدين، وبقي إيغان طائيسي وحده ثم أضاف إليه السلطان جلال الدين عسكرا غير عسكره وعاد إلى مراغه وأعجبه المقام بها.

وكان الملك مظفر الدين أوزبك بن البهلوان إيلدكز^(٢) صاحب أذربيجان وآران قد سار من توريز - التي هي كرسي مملكة أذربيجان - إلى كنجه خوفاً من السلطان جلال الدين، فأرسل [٥٠ - و] جلال الدين إلى من بتوريز من والٍ وأمير ورئيس يطلب منهم أن يتردد عسكره إليهم يمتارون منه فأجابوه إلى ذلك وأطاعوه وتردد العسكر إليها وباعوا واشتروا الأقوات والكسوات وغيرها ومدّوا أيديهم إلى أموال الناس فكان أحدهم يأخذ الشيء قهراً ويعطي من الثمن ما يريد فشكا بعض أهل توريز إلى السلطان جلال الدين ما يفعلون بالناس فأرسل إليهم جلال الدين شحنة

(١) كلمة فارسية معناها المظلة وهي عبارة عن قبة من الحرير الأصفر المزركش في أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ويحملها السلطان على رأسه في العيدين وهي من شعار السلطنة وعرف الجتر في مصر زمن الفاطميين واستخدم أيضاً زمن الأيوبيين والمماليك حيث كان يحمل على رأس السلطان في العيدين انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٧ - ٨، والنسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص ٥٤.

(٢) هو خامس أتابكة أذربيجان (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) ويكنى بمظفر الدين انظر: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، الموسوعة الإسلامية، ص ١٠٨ - ١٠٩، والنسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٤٧.

تكون عندهم وأمره أن يقيم بتوريز ويكف أيدي الجند عن أهلها ومن تعدّى على أحد منهم صلبه، فأقام الشحنة بتوريز ومنع الجند^(١) من التعدي على أحد من الناس وكانت زوجة مظفر الدين أوزبك بن البهلوان هي ابنة السلطان طغرل ابن أرسلان^(٢) بن طغرل بن محمد شاه بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، وهي ابنة عم أوزبك من جهة الأم لأنّ البهلوان محمد بن إيلدكز كان أخا السلطان أرسلان بن السلطان طغرل جدّها لأمه وإيلدكز كان مملوك جد أبيها طغرل ابن محمد بن ملكشاه الأكبر وتغلب إيلدكز وأولاده على البلاد وحكموا على أرسلان وعلى طغرل بعده بحكم الأتابكية لهما ثم قتل طغرل الأصغر بن أرسلان الذي هو آخر سلاطين السلجوقية ببلاد العجم واستقل السلطان مظفر الدين أوزبك بالملك إلّا أنه لم يكن له همه لاشتغاله باللهو والطرب وكانت ابنة طغرل هذه مقيمة بتوريز لاشتغال زوجها أوزبك عنها(٥٠-ظ) بشربه ولهوه ثم إنّ أهل توريز شكوا من الشحنة وقالوا: إنّهم يكلفنا أكثر من طاقتنا " فأمر جلال الدين أن لا يعطي إلّا ما يقيم به لا غير، ففعلوا ذلك ثم سار السلطان جلال الدين إلى توريز وحصرها وقاتل أهلها قتالا شديدا وزحف إليها فوصل العسكر إلى السور فأذعن أهلها بالطاعة وطلبوا من جلال الدين الأمان وكانوا خائفين منه جدا لأنّ جلال الدين كان يذمهم ويقول: قتلوا أصحابنا المسلمين، يعني الخوارزمية.

وأرسلوا برؤوسهم^(٣) إلى التتر الكفار، وقد ذكرنا ذلك في موضعه^(١) كما تقدّم، فلمّا طلبوا منه الأمان ذكر لهم فعلهم بالخوارزمية أصحاب أبيه وقتلهم إياهم فاعتذروا بأنهم لم يفعلوا شيئا من

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٣٢-٤٣٣.

(٢) طغرل أرسلان السلجوقي: هو طغرل بك بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه السلجوقي و قتله خوارزم شاه تكش في المصاف الذي جرى بينهما سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م وهو آخر ملوك السلاجقة بالعراق وكان سفاكا للدماء انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) وردت [رؤوسهم] انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٣٣.

ذلك، وإنما فعله صاحبهم أوزبك بن البهلوان ولم يكن لهم قدرة على منعه من ذلك، فقبل عذرهم وآمنهم فطلبوا منه أن يؤمن بنت السلطان طغرل زوجة السلطان أوزبك، ولا يعارضها في الذي لها من بلاد أذربيجان، وهو مدينة خوى^(٢) وغيرها من ملك ومال وغيره فأجابهم إلى ذلك، وملك السلطان جلال الدين مدينة توريز في السابع عشر من شهر رجب الفرد من شهور هذه السنة^(٣)، وسير زوجة أوزبك إلى خوى ومعها طائفة من العسكر ودخل جلال الدين إلى توريز وأمر أن لا يُحجب عنه أحد، وأحسن إلى الناس وبنت فيهم العدل، ووعدهم الإحسان إليهم وقال: "قد رأيتم ما فعلت بمراغه من الإحسان والعمارة بعد أن كانت خراباً (٥١-و) وسترون ما أصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم" وحضر الجامع يوم الجمعة فلما خطب الخطيب ودعا للخليفة الإمام الناصر لدين الله العباسي، قام قائماً ولم يزل كذلك حتى فرغ من الدعاء، وجلس ثم دخل إلى جوسق كان قد عمّره السلطان أوزبك وأنفق عليه أموالاً جلييلة، وهو في غاية الحُسن مشرف على البساتين، فلما طاف فيه وخرج منه قال: هذا من مساكن الكسالى، ولا يصلح لنا، والله أعلم. ^(٤)

(١) انظر: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٣٥.

(٢) خوى: بلدة مشهورة من أعمال أذربيجان ينسب إليها الثياب الخوية، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان،

ج ٢، ص ٤٠٨-٤٠٩، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٥٩.

(٣) أعني سنة اثنتين وعشرين وستمئة.

(٤) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٥٠-١٥٢.

ذكر إيقاع السلطان جلال الدين بالكرج

لَمَّا ملك السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه توريز وبلاد أذربيجان واستقل أمره وكثرت
عساكره أرسل إلى الكرج يؤذنه بالحرب فأجابوه: " بأننا قصدنا التتر الذين فعلوا بأبيك علاء
الدين بن خوارزم شاه الذي فعلوا، وبددوا عساكره وملكوا بلاده، وأفنوا أهلها قتلاً ثم هرب منهم
إلى جزيرة في البحر فمات فيها كمدًا، وكان أعظم منك مَلَكًا وأكثر عسكريًا، وأقوى نفساً فلم
نبال بحربهم وأبعد صيتاً، وكان قصاراهم^(١) أن سالمونا[السلامة منا] وشرع الكرج في جمع
العساكر فجمعوا ما يزيد على ستين ألفاً^(٢) فسار إليهم السلطان جلال الدين ونازل مدينة دوين
^(٣) وهي من بلادهم وكانت قبل ذلك للمسلمين ثم سار منها إليهم وضرب معهم مصافاً واقتتلوا
قتالاً كثيراً، ثم انهزم الكرج أقبح هزيمة فأمر السلطان جلال الدين أن يقتلوا بكل طريق ولا يبقوا
على أحد منهم (٥١-ظ) ، وبلغ عدد القتلى منهم عشرين ألفاً وقيل أكثر من أكثر من ذلك
وأُسِر كثير من أعيانهم، ومضى إيواني مقدم الكرج منهزماً ولم يكن ملكهم بالحقيقة وإنما كان
الملك يومئذ في امرأة.

وقد قال النبي ﷺ: (لن^(٤) يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة)^(٥) ولَمَّا انهزم إيواني مقدّم الكرج أدركه
الطلب، فصعد إلى قلعة لهم على طريقه، فاحتوى بها فرتّب السلطان جلال الدين عليها من
يحصرها ويمنعه من النزول منها، ثم فرّق عساكره في بلاد الكرج يذهبون ويقتلون ويسبون

(١) وردت [فقصارانا] والصيغة المثبتة انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٣٥.

(٢) ورد [جمعوا من العساكر ما يزيد على سبعين ألف مقاتل] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٩٦، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) دوين: بلد من بلاد العجم قرب أخلاط في أذربيجان من جهة أَرَان وبلاد الكرج انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩١.

(٤) وردت [لا] انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٣٦.

(٥) انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٣٦.

ويخربون البلاد، ولولا عرض مما سنذكره ان شاء الله تعالى لملك البلاد بغير تعب ولا مشقة ولولا ما أتاه من توريز ما أوجب عوده لملك بلاد الكرج بغير تعب ولا مشقة لملك السلطان جلال الدين، واستأصل أهلها قتلاً وسبياً، وكان هذا العارض الذي وعدنا بذكره إنَّ السلطان جلال الدين كان ترك وزيره الوزير شرف الملك بتوريز لحفظ البلد والنظر في مصالح الرعية، ثم بلغ السلطان من جهة وزيره قبل أن يكسر الكرج أنَّ شمس الدين الطغرئي^(١) مقدم أهل توريز اتفق مع الرئيس بها^(٢) وسائر المقدمين بها وتحالفوا وتعاهدوا على العصيان على السلطان جلال الدين وإعادة البلد إلى السلطان مظفر الدين أوزبك بن البهلوان.

وقالوا: جلال الدين قد قصد بلاد الكرج فإذا عصينا عليه وأحضرنا أوزبك إلينا ومن معه من العساكر يضطر جلال الدين إلى العود إلينا فإذا عاد تبعه الكرج فلا يقدر على المقام ببلاد أذربيجان ويجتمع أوزبك والكرج ويقصدونه فينحل نظام أمره وتتم عليه الهزيمة، ولمّا بلغ السلطان (٥٢-و) ذلك من وزيره شرف الملك كتمه عن جيشه فكسر الكرج، فلمّا كسرهم وفرغ من أمرهم أحضر أمراء عسكره وقال لهم: " قد بلغني كذا وكذا فتقيمون أنتم في هذه البلاد على ما أنتم عليه من قتل من ظفرت به من الكرج وتخريب ما أمكنكم من بلادهم فإنني خفت أن أعرفكم ذلك قبل هزيمة الكرج لئلا يلحقكم وهنٌ وخوف"^(٣)، فأقاموا على حالهم ينهبون ويقتلون ويسبون ويخربون البلاد، وهم مع أخيه السلطان غياث الدين ابن خوارزم شاه وكان قد انضم إلى السلطان جلال الدين كما ذكرنا وصار من أتباعه وعاد السلطان جلال الدين إلى توريز

(١) وردت [شمس الطغرئي] انظر: ابن الأثير الكامل، ج ١٢ ص ٤٣٦؛ وعن شمس الدين الطغرئي انظر:

النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٩٥ - ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٠٩، ٣١٦، ٣٥٩.

(٢) ورد أن اسم الرئيس هو نظام الدين وأنه كان أبن أخي الطغرئي انظر: النسوي: سيرة السلطان جلال

الدين، ص ٢٠٠.

(٣) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ص ٣٩٧، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ١٥٣، ١٥٤.

وقبض على الرئيس وغيره من المقدمين، فأمر أن يُطاف بالرئيس البلد وكل من له عليه مظلمة يأخذها منه وكان ظالما ففرح أهل البلد بذلك ثم أمر بقتله^(١) فقتل وأما الباقيون فحبسوا ولمّا فرغ السلطان جلال الدين من ذلك واستقام له أمر البلد، أثبت عند الحاكم قاضي توريز أن السلطان مظفر الدين أوزبك بن البهلوان حلف بطلاق زوجته ابنة السلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل الأكبر السلجوقي أنه لا يقتل مملوكا له عينه ثم أنه قتله فوقع عليه الطلاق بحكم ذلك.

ولمّا ثبت ذلك عند الحاكم تزوج السلطان جلال الدين ابنة السلطان طغرل وأقام السلطان جلال الدين بتوريز مدة، ثم سیر منها جيشا إلى مدينة كنجة وبها السلطان (٥٢-ظ) مظفر الدين أوزبك، فاستولى عليها وهرب منها^(٢) الملك مظفر الدين أوزبك إلى قلعة هناك فتحصن بها وتلاشى أمره، وغلب السلطان جلال الدين على البلاد بأسرها ، فسبحان من يُعزّ من يشاء ويُعطي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ولا يحول ولا يزول إلاّ إله إلا هو ، وفي آخر هذه السنة قصد السلطان جلال الدين خوارزم شاه الكرج وأغار عليهم والله أعلم.^(٣)

(١) وردت [ثم أمر بقتله وقتل شمس الدين الطغرثي]، وهذا غير صحيح لأن الطغرثي عاش حتى سنة ٦٢٨هـ - ١٢٣١ م انظر: النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص ٣٥٩، وابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٥٠٣ ح.

(٢) أي بمدينة كنجة.

(٣) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٩٧ - ٣٩٨، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٥٤ - ١٥٥.

ذكر بعض خبر الملك الأفضل صاحب سميساط ووفاته وما اتفق لأولاده وعمهم من الاختلاف

في مملكة سميساط^(١)

هو علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن والد الملوك نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبي، يُكنى أبا الحسن، ويُلقب نور الدين، ويُنعى بالملك الأفضل^(٢)، كان الملك الأفضل أكبر أولاد أبيه السلطان صلاح الدين وإليه كانت ولاية عهده ولما توفي السلطان صلاح الدين بدمشق كان ولده الملك الأفضل ولي عهده ولما توفي السلطان صلاح الدين بدمشق كان ولده الملك الأفضل في صحبته فاستقل بمملكة دمشق واستقل أخوه الملك العزيز عماد الدين عثمان^(٣) بالديار المصرية باتفاق من الأمراء واستقل أخوهما الملك الظاهر أبو الفتح وأبو منصور غياث الدين غازي^(٤) بمملكة حلب كما قدمنا شرح ذلك في موضعه، ولم ينتظم

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٥٦.

(٢) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٤٢٠، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١٠١، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٤، ص ٥٢، وابن العماد: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٦٣، والذهبي: العبر، ص ١٨٨، وأبي شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٤٧.

(٣) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤١٩، والصلابي: الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج ١، ص ٤٦.

(٤) غياث الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف وهو وأبوه وأبوه الناصر أصحاب ملك حلب من أيام الناصر وكانت أم العزيز الخاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان حسن الصورة كريماً عفيفاً توفي وله من العمر أربع وعشرون سنة وكان مدبر دولته الطواشي شهاب الدين وقال أبو الفداء في تاريخه: ثلاث وعشرون سنة وشهوراً وقد توفي في ربيع الأول، ووردت في المحرم: بعد حمى قوية أصابته واشتد مرضه انظر: ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٩٤، ٢١٦، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٤٥٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٤٥، الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٧، ص ١١٥، وأبي شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ج ٤، ص ٤٠٦، ج ١، ص ٢٧٦.

للملك الأفضل^(١) حال منذ توفي والده السلطان صلاح الدين لقلة حظّه وسعادته لأنّه أقام في مملكة دمشق (٥٣-٥٠) مدة يسيرة ثم أخذها منه أخوه الملك العزيز عماد الدين عثمان ثم صار أتابكا بعد وفاة الملك العزيز لولده بالديار المصرية وقصد دمشق وحاصرها وبها عمه الملك العادل ولم يبق إلا أن يملكها فقطع عليه سوء الحظ ورجع عنها إلى مصر واتبعه عمه الملك العادل وانتزع مصر من يده ولم يبق بيده غير صرخد^(٢)، ثم قصد دمشق ثانيا مع أخيه الملك الظاهر غياث الدين غازي صاحب حلب، فلم يتم لهما أمرٌ واختلفا.

ولم يبق بيده غير سميساط^(٣) وحدها، وبعد وفاة أخيه الملك الظاهر طمع في حلب، وخرج إليها مع السلطان عز الدين كيكاس^(٤) سلطان الروم السلجوقي ووعدّه المساعدة على أخذ حلب وبلادها، فلم يتم لهما أمر ورجع عز الدين مكسورا، ورجع الأفضل إلى سميساط فأقام متجرعا غصته حتى أتته منيته، فمات كمدا فجأة كما سنذكره إن شاء الله تعالى، وكان الملك الأفضل فاضلاً، متأدباً، حليماً، عادلاً، حسن السيرة متديناً قلّ أن يُعاقب على ذنب، وكان يكتب خطاً حسناً، وبالجملّة فقد كان مستجمعا لفضائل ومناقب تفرقت في كثير من الملوك، وكان مع ذلك

(١) من أجل سيرة الملك الأفضل نور الدين بن صلاح الدين انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٧١-٣٧٢، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٢٨-٤٢٩ وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٣٥.

(٢) صرخد: بالفتح ثم السكون، هي صلخد الحالية، بلد ملاصق لبلاد حوران، قلعة من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠.

(٣) بالأصل شميساط، والصحيح: سميساط، وذلك كما وردت عند أبي الفداء الذي نقل عنه العيني هذا النص وكذلك عند ياقوت الحموي هي مدينة على شاطئ الفرات الأيمن وموقعها اليوم بتركيا. انظر: أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٤٨، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٥٨.

(٤) كيكاس: بفتح الكاف وسكون الياء وكاف وبعدها ألف وضم الواو انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٢٣.

قليل الحظ والسعادة جدا، وقد ذكرنا جميع ما اتفق له وشرحناه مبينا في مواضع تقدمت ونبهننا عليها الآن، وسوء الحظ وقلة السعادة جدا ذلك هو الغالب في أهل الفضل.

ولله در القائل في عبد الله بن المعتز بالله ^(١) (٥٣-ظ) وكان تام الشكل في بني العباس ولم يزل مبغضا طول عمره ولما بويع بالخلافة، وظن أن السعادة قد أقبلت عليه لم يتم له الأمر غير يوم واحد ثم قبض عليه وقتل ^(٢)

لله درك من ملك بمضيعة
ما فيه لو ولا ليت فينقصه
ناهيك في العلم والآداب والحسب
وإنما أدركته حرفة الأدب
وهكذا كان حال الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم بن الملك العادل الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وللملك الأفضل شعر حسن ، ومنه في خضاب الشعر ، ويعرض لسوء حظه قوله: ^(٣)

يا من يسود شعره بخضابه
ها: فاخضب بسواد حظي مرة
لعساه من أهل الشبيبة يحصل
ولك الأمان بأنه لا ينصل
ومن شعره قوله في السلطان غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقي وقد أصابته طعنة في الحرب:

وشمس غياث الدين عند ضيائها وإشراقها في كل شرق ومغرب

(١) انظر: المقرئ: السلوك، ج ١ ، ص ٦٥.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٥٦، وأبي الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج ١ ، ص ٤٣١، والذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٢ ، ص ١٨٨.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٥٧، وديوان السلطان خليل الأيوبي، تح: عبد الحسين الخضر، مج ١، ص ٧٠، وابن الخنيلي: شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب، ص ٧٠، وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣ ، ص ١٣٥.

أنار لديها كوكب الرمح فاخفت
ولم أر شمسا قط تُخفى بكوكب
ولمّا أخذت منه دمشق كتب إلى بعض أصحابه كتابا من جملة فصوله، وأما أصحابنا بدمشق
فلا علم لي بأحد منهم، وسبب ذلك أن: ^(١)

أي صديق سألت عنه ففي
وأي ضد سألت حالته
فتركت السؤال عنهم. ^(٢) وذكره ابن الساعي ^(٣)

فقال له شعر مليح ولفظ فصيح فمن ذلك قوله ^(٤):

في قلبه الصبر جوادي كبه
وفيها خاطبت قلبي بأن يسعدني
لهيبٌ وجدي من حين برحتم
سيسته من العدو عنوة
وسيف عزّي عن سلوى نساه (٥٤-و)
بالصبر منكم أباه
عن ناظري في خاطري ما أخباه
يا عجا كيف لقلبي قد سبقا

^(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٥٧، وديوان السلطان خليل الأيوبي، مج ١، ص ٧١.

^(٢) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٩١، ج ١٢، ص ٤٢٩.

^(٣) ابن الساعي: هو تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب خازن كتب المدرسة المستنصرية ولد سنة ثلاث وتسعين وسمع الحديث واعتنى بالتاريخ وجمع وصنف ولم يكن بالخافظ ولا الصابغ الموثق. وقد أوصى إليه ابن النجار حين توفي وله تاريخ كبير عندي أكثره ومصنفات آخر مفيدة والمتوفى سنة ٦٧٤ هـ له كتاب مشهور على السنين لم يصل إلينا ذكره الإربلي في خلاصة الذهب ٢٨٢ فقال إن ابن الساعي جمع كتابا في مناقب فضائل الإمام الناصر في خمسة مجلدات سماه «الروض الناضر في أخبار الإمام الناصر»، الساعي: عدا يعدو في مصالح غيره من الناس كالتجار والولاة والولاة والسلاطين وينتقل بين البلدين، والخازن: اصطلاح اطلق على جماعة منهم من كان خازن كتب ومنهم من كان خازن أموال وخازن الكتب هو الذي يقوم بحفظها وترميم شعنها وبذلها للمحتاج إليه انظر: وفيات ابن رافع السلامي، ج ٢، ص ٣٠٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٧٠، ج ٤٥، ص ١١، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٣، ص ١٤٧، والذهبي: تاريخ الاسلام، ج ١٥، ص ٢٧٨، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٤٣، وابن الساعي: الدر الثمين في أسماء المصنفين، ط ١، ص ٩، والسمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٣٥٥.

^(٤) لم أجد تخريج هذه الأبيات في المصادر المتوفرة بين يدي.

بدرُ إذا أشرق في قبابه
لبس له غير فؤادي مغربا
لما رأى سيف علي منتضيا
من حفتيه صير قلبي مرحبا
وقوله:

أقول له وهو يبكي الشباب
بدمع يواصله بالندب
أتبكي بدمع لفقد الشباب
ستبكي دما عند فقد المستجيبكم
وقوله وكتب به إلى أخيه الملك العزيز صاحب مصر:

لما رآك الأعادي إلى صدودي تصبوك
وأسعروا نارا فيك وأحرقوا واشبوا
وأني منار يقضي تقولوا واجتنبوا
إن كان للذنب ذنب فهكذا لي ذنب
وقوله:

لئن أخطا الكرام الحظ يوما
وخصن به اللئام بلا احتجاج
فإن الدر يعدل عن زلال
وعن عرب ويسكن في أجاج
وقوله:

لم يشب مفرقي لطول زمان العمر
لكن لصرف دهر عنيد
شيبتني الخطوب فأعجب أن صار
بياضا إثر الخطوب السود

وذكر محمد بن نظيف الحموي الملك الأفضل فقال^(١): كان سلطانا جوادا كريما حلما رحيما عالما بالفضائل، حملا للمكارم خبيراً بالسير، والتواريخ، وفضيلة الأدب وكان قد تعصب له سلطان الروم، ومال هو إليه، وخطب له بسميساط مدة عمره، وتوفي الملك الأفضل فجأة في صفر من شهور سنة اثنتين وعشرين وستمئة هذه السنة وعمره سبع وخمسون سنة وليس بيده من البلاد إلا سميساط، ولما توفي الملك الأفضل ملك البلد بعده أخوه الملك المفضل قطب الدين موسى في ليلة عيد الفطر من سنة خمس وستين.

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٥٧ - ١٥٨، وابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١١١.

وُلدَ في مصر المحروسة (٥٤-ظ) ابن السلطان صلاح الدين يوسف وهو شقيقه ، واختلف أولاد الأفضل وعمهم بعد موته في سميساط ، ولم يوافق أحد منهم على الآخر ليستبد بالامر وقيل وصل أحد أولاد الملك الأفضل إلى الملك الأشرف بن الملك العادل فخلع عليه وعمل عزاء والده، وكان طلب من الأشرف من يحضر عندهم سميساط ^(١) سماع الخطبة للأشرف، فشكره على ذلك وقال: " لا تخافوا مني شيئاً، وطيبوا قلوبكم، واتفقوا على مصالحكم، ولا تغيروا خطبة سلطان الروم، وأبقوا على ما أنتم عليه، وخلع عليه وأعاده. ثم بعد ذلك سیر إليهم كاتبه الصفي بن إسماعيل المصري المعروف بالأسود، وكان للملك العادل ثم انتقل إليه، وكان كاتباً مجيداً، بخلع وهدية إلى سميساط ثم عاد منها، وتوفي بالرقعة.

ذكر بعض خبر الخليفة الناصر لدين الله العباسي وسيرته ووفاته

هو أحمد بن أمير المؤمنين المستضيء ^(٢) بأمر الله أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين المستجد بالله أبي المظفر يوسف بن أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين، ولي العهد أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن أمير المؤمنين القادر بالله أبي العباس (٥٥-و) بن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بالله الناصر لدين الله، قيل: طلحة ، وقيل: محمد ، ولم يل الخلافة وإنما كان ولي غالباً على الأمر كلها بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي

^(١) وردت (صميصاط) انظر: ابن نضيف: التاريخ المنصوري، ص ١١.

^(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٣٨، وزمابور (إدوارد فون ت ١٨٦٦هـ / ١٩٤٧م): معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ج ١، ص ٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٠٤، وابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٧٠ - ٣٧١، والصلابي: المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار، ج ١، ص ٣٠٣.

الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المعتصم أبي إسحاق محمد بن أمير المؤمنين الرشيد هارون بن أمير المؤمنين المهدي، أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين المنصور أبي جعفر عبد الله ثاني خلفاء بني العباس بن الإمام المدعو له بالإمام في خراسان سرا محمد بن السجاد أبي الحسن علي بن الحبر^(١) صاحب رسول الله ﷺ والعالم بتفسير الكتاب العزيز عبد الله ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أبيه أبي الفضل العباس ابن جد رسول الله ﷺ أبي الحارث عبد المطلب شبيه الحمد بن هاشم العباسي الهاشمي، وبقيّة النسب إلى آدم عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله أفضل الصلوات والسلام معروف، مشهور.

ما أحسن قول القائل^(٢):

نسب كأنّ عليه من شمس الضّحى نورا ومن فلق الصباح عموداً
يُكنّى أبا العباس ويُنعت بالناصر لدين الله وما بين أمير المؤمنين المنصور العباسي والناصر لدين الله المذكور تولى قبله أربعة عشر خليفة،^(٣) واثنان لم يليا الخلافة، وإنّما كانا وليا عهدٍ وهما الموفق بالله [٥٥-ظ] وذخيرة الدين وواحدا لم يكن خليفة ولا ولي عهد، وما فوق أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس فليس منهم خليفة وباقي خلفاء بني العباس لم يكونوا من آباء الناصر لدين الله المذكور^(٤)؛ لأنّ السفاح عبد الله أول خلفاء بني العباس أخو المنصور^(٥) وولي قبله والهادي موسى أخو الرشيد وولي قبله ومحمد الأمين وعبد الله المأمون أخو المعتصم

(١) في نسخة [على بن الحسين بن صاحب رسول الله] وهو تصحيف والمقصود بالحبر أي [الصالح من

العلماء] وهو عبد الله بن عباس. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٦٠.

(٢) انظر: أبي تمام: ديوانه: ص ٨١ ط. بيروت، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٩٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٤٠٠.

(٤) في آباءه أربع عشرة خليفة أولهم المنصور وآخرهم المستضي وباقي الخلفاء العباسيين الذين كانوا قبله فهم

في حواشي النسب فأولهم السفاح. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٦٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٣٨.

ووليا قبله والواثق بالله هارون أخو المتوكل وولي قبله المنتصر محمد عم المعتضد وولي بعد المتوكل والمستعين أحمد بن محمد بن المعتصم ابن عم أبي المعتضد، وولي بعد المنتصر المعتز بالله أبو عبد الله محمد وقيل الزبير عم المعتضد، وولي بعد المستعين، والمهتدي بالله محمد بن الواثق بن عم أبي المعتضد وولي بعد المعتز والمعتد على الله أبو العباس أحمد عم المعتضد، وولي بعد المهتدي والمكتفي بالله أبو الحسن علي أخو المقتدر، وولي قبله والقاهر بالله أبو منصور محمد أخو المقتدر، وولي قبله القاهر بالله أبو منصور محمد أخو المقتدر أيضا وولي بعده الراضي بالله أبو العباس أحمد أخو اسحاق بن المقتدر، وولي بعد القاهر والمتقي لله أبو اسحاق إبراهيم أخو اسحاق أيضا وولي بعد الراضي المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفي ابن عم اسحاق وولي بعد المتقي المطيع لله أبو منصور الفضل أخو اسحاق وولي بعد المستكفي.

والطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع^(١) ابن أخي اسحاق وولي بعد أبيه المطيع ثم بعده وولي القادر [٥٦-و] وهو ذا نسب ولم يل بعد ذلك من ليس على عمود النسب إلا اثنتان المسترشد بالله أبو منصور الفضل والمستظهر وابنه الراشد بالله أبو جعفر المنصور.

وأم الخليفة الناصر لدين الله صاحب هذه الترجمة أم ولد تسمى زمرد وقيل نرجس، وولي الناصر لدين الله المذكور في يوم الأحد ثاني ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمئة وله من العمر إحدى وعشرين سنة - كما قدمنا شرح ذلك في موضعه - وكان الناصر لدين الله المذكور شهما أبي النفس حازما متيقظا، ذا فكرة صائبة، وعقل رصين ودهاء ومكر وكانت هيئته عظيمة جدا وكان له أصحاب أخبار في العراق وسائر الأطراف يطالعونه بجزئيات الأمور ووكلياتها فكان لا يخفى عليه من الأمور إلا ما قلّ وكانت سطوته شديدة، فكان أهل

(١) وردت [ابن عم اسحاق ولى بعد الطائع] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٦١.

العراق يخاف أحدهم أن يتحدث مع زوجته في منزله بما يظن أن الخليفة إذا بلغه عاقب عليه وقد ذكر أن رجلاً من أهل بغداد عمل دعوة وغسل يده قبل أضيافه فطالع أصحاب الأخبار الخليفة الناصر لدين الله بذلك، فكتب في جوابها سوء أدب من صاحب الدعوة، وفضول من كاتب المطالعة وكان الناصر لدين الله مع ما ذكرناه رديء السيرة في رعيته، مائلاً إلى الظلم والعسف، فخربت في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد وأخذ أموالهم وأملأهم.

قال صاحب نظم السلوك ما صيغته: كان فاضلاً أديباً ذا رأي [٥٦-ظ] وتديبير وحزم وسياسة وفكرة جيدة، وبديهة حاضرة، إلا أنه كان مُحِباً لجمع المال وظلم الرعايا والتجار والمترددين وأخذ أموالهم، وكان يباشر الأمور بنفسه، ويركب بين الناس، ويجتمع بهم ويطلع على أخبارهم. وقال غيره: كان خشن السيرة سفاكاً للدماء ظلوماً غشوماً جباراً، وكان يفعل أفعالاً متضادة عمل دار الضيافة ببغداد ليفطر فيها الناس في شهر رمضان فبقيت مدة، ثم قطع ذلك، ثم عمل دوراً لضيافة الحجاج^(١) فبقيت مدة، ثم أبطلها وأطلق بعض المكوس التي جردها ببغداد خاصة، ثم أعادها، ومع هذا فكان له بر ومعروف وصدقات جارية، وكان يميل إلى رمي البندق^(٢) والطيور المناسب ولبس سراويلات النبوية والفتوة^(٣).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٤٠.

(٢) البندق: كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص كان يستخدمها الرماة في تطيير الطير ونحوه

ويعدون ذلك من قبيل الفتوة انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣، ص ٢٠٧.

(٣) الفتوة: هو نظام اجتماعي إسلامي يعتمد على آداب وصفات الفروسية عن أصول الفتوة وتاريخها وآدابها

وطوقوسها انظر ما سبق؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣، ص ٢٠٦، وابن المعمار البغدادي: الفتوة، تح:

فؤاد حسنين، سلسلة كتب ثقافية (التراث القديم، القاهرة بغداد ١٩٥٨، ص ١٢، المقرئ: السلوك، ج ١،

ص ٦٦، وأبو الفداء: المختصر، ج ١، ص ٤٠٢، والعمرى: مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ج ٢٧،

ص ٢٥٩.

وكاتب سائر ملوك الأطراف في أن يمضوا إليه في رمي البندق والفتوة فبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من يلبس منه سراويل يدعى إليه فلبس سائر ملوك الآفاق سراويلات الفتوة له وادعوا له في رمي البندق ووصل رسوله إلى حماه في أيام الملك المنصور الأيوبي صاحب حماه وأمره بأن يلبس للخليفة ويلبس الأكابر له فأمر الملك المنصور صاحب حماه الشيخ سالم بن نصر الله بن واصل الشافعي الحموي بعمل خطبته في الفتوة فعمل خطبة بديعة في هذا المعنى.

واستشهد بآيات من القرآن العزيز منها قوله تعالى^(١): {إنا وجدنا فتى يذكرهم} ومنها قوله تعالى^(٢): {إذ أوى الفتية إلى الكهف} وغير ذلك من الأخبار والآثار^(٣) فقرئت هذه الخطبة بحضرة الملك المنصور صاحب حماه والأكابر وكان قاضي حماة [٥٧-و] يومئذ القاضي بهاء الدين أبا اليسر بن مرهوب^(٤) فأمره الملك بمصر بلبس سراويل الفتوة في المجلس فلبسها ولبسها الجماعة وكذلك منع الدعوة بالبندق إلا له، وأبطل المناسيب في جميع البلاد إلا له^(٥) وأجابه الناس بالعراق وسائر الأمصار إلى ذلك ما خلا رجلاً واحداً رامياً بالبندق من أهل بغداد فإنه امتنع من إجابته، وهرب من العراق ولحق بالشام فأرسل إليه الخليفة يرغبه بالأموال الجزيلة ليرمي عنه، وينسب في الرمي إليه فلم يفعل فأنكر ذلك عليه بعض الناس فقال: " يكفيني فخرا أنه ليس في الأرض أحداً من الرماة إلا وهو منسوب إلى الخليفة غيري " وصنف الخليفة

(١) الأنبياء الآية ٦٠.

(٢) الكهف الآية ١٠.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٦٤.

(٤) وردت موهوب انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٦٥، وابن الأثير: الكامل في التاريخ،

ج ١٠، ص ٤٠٠.

(٥) وردت عند ابن الأثير: [وكذلك أيضا منع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي

البندق إلا من ينتمي إليه] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٤٠.

الناصر لدين الله كتابا في حديث سيدنا ونبينا محمد رسول الله ﷺ فيه أسانيد صحيحة عالية. يرويها الخليفة عن أكابر من المحدثين وسمي الكتاب روح العارفين^(١).

ومن ثم أجاز له جماعة وأمرهم أن يسمعه في العراق وفي سائر الآفاق، ووصل هذا الكتاب إلى الشام في سنة ثمان مائة وستة عشر على يد رجل من أهل شيزر يروي عن الخليفة إجازة وأسمعه عنه^(٢).

وله شعر مشهور من ذلك أنه اعتقل بعض أرباب دولته فكتب إليه: ^(٣)

الفتى في لظى فإن غيرتني	فتيقن أن لست بالياقوت
عرف النسج كل من حاك لكن	نسج داود ليس كالعنكبوت

(١) روح العارفين: للخليفة أبي العباس الناصر لدين الله أحمد بن الحسن بن يوسف العبّاسي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ وهو مروياته في الحديث عن شيوخه انظر: أبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ١، ص ٢٦٥، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ٢٠٧، وحاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمد شرف الدين ياللقايا، رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج ١، ص ٩١٥، طبعة طهران، ١٩٤٧، ونسبه إلى الخليفة الناصر انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣، ص ٢٢٨، والذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٣، ص ٢٩.

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٦٥.

(٣) القول للفاضل عبد الرحيم البيساني مع بعض الاختلافات في بعض المفردات انظر: ابن الفوطي

الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ج ١، ص ٢، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٦٨، والدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أبيك): كنز الدرر وجامع الغرر، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م، ج ٧، ص ٢٧٢.

فكتب الخليفة الناصر في جوابها (٥٧)-

نسج داود لم يفد صاحب الغار
وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند^(٢) في لهب النار
مزيل فضيلة الياقوت
وعظمت حشمة الخلافة جدا وقوي شأنها في أيام الخليفة الناصر لدين الله المذكور، واستولى
مع العراق على بلاد خورستان وغيرها من الأطراف، وملك همذان وأصفهان ثم انتزعتا منه،
وفي خلافته مفسد التتر بلاد المسلمين في سنة سبع عشرة وستمئة كما قدمنا شرحه وكان هو
سبب ذلك وكان الحامل للخليفة على ذلك أنّ السلطان علاء الدين محمد بن السلطان تكش
خوارزم شاه أنّ سلطان العجم قصد أن يبقوه على بغداد، وأن تؤتى له فيها دار سلطنة وشحنه
كما كان ذلك السلاطين السلجوقية^(٣)، فأرسل إلى الخليفة الناصر لدين الله وكانوا يلقبونه
الخطيب يطلب منه ذلك وسأله أن يمدّه بمال فامتنع الخليفة الناصر لدين الله من ذلك فقصده
السلطان علاء الدين فحيل بينه ومقصده بما وقع من الثلوج^(٤) وشدة البرد عند وصوله إلى
عقبة حلوان، ومات من عسكره خلق كثير من الناس، وهلك من الدواب ما لم يُحصَر، فلمّا رأى
السلطان علاء الدين ذلك رجع مع من بقي من عسكره إلى بلاده، وعزم على العودة في وقت

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ج ١، ص ٢، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٦٨، والدوادري:

كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٧، ص ٢٧٢.

(٢) يقال إن السمند أو السمندل دابة دون الثعلب ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل إذا اتسخت أُلقيت في
في النار فلا تحترق كما يقال إن السمندل طائر ببلاد الهند لا تؤثر فيه النار ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى
بلاد الشام فإذا اتسخ بعضها طرح في النار فتأكل النار وسخه ولا يحترق المنديل انظر الدميري: حياة الحيوان
الكبرى، ١٩٦٣م، ج ٢، ص ٣٣ - ٣٤، المقرئ: اتعاظ الحنفاء، ج ٢، ص ٢٩١.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٣٥.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ص ٣٤ وما بعدها.

آخر، فبلغ ذلك الخليفة الناصر لدين الله فشق عليه وقيل: إِنَّ السلطان علاء الدين كتب إلى الخليفة كتابا فيه غلظة وتهديد، فكتب إليه الخليفة كتابا وضمنه هذا البيت^(١):

نسج داود لم يفد ليلة الغار وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النار مزيل فضيلة الياقوت
وكذلك النعام يبتلع الجمر وما الجمر للنعام بقوت

هناك ذكر يدل على أن الأبيات المتقدمة ليس فيها شيء للخليفة والله أعلم (٥٨-٥٩)

ستعلم أن حانت من الدهر لفقة عمود دواتي أم سنانك أقوم^(٢)

وكتب الخليفة الناصر لدين الله إلى جنكيز ملك التتر يحسن له قصد السلطان علاء الدين محمد

بن السلطان تكش خوارزم شاه وأطمعه فيه وقال له اقصدته أنت من بلادك وأنا من بلادي^(٣)،

فخرج حينئذ ملك التتر على السلطان علاء الدين بن خوارزم شاه، وجرى له كما قدمنا شرحه ثم

تطرقوا بعد ذلك إلى ما هو أعظم منه بما فيه خراب البلاد وهلاك العباد كما سنذكره إن شاء الله

تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ووقع أيضا بين الخليفة الناصر لدين الله وبين السلطان صلاح الدين يوسف بن والد الملوك نجم

الدين أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبي صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية وحشة وعنف

حتى بقيت في نفس السلطان صلاح الدين من الخليفة نفره وأنه كان عزم على قصد بغداد في

آخر أيامه بعد صلحه للفرنج فعاجلته المنية والله أعلم بحقيقة ذلك وعمي الخليفة الناصر لدين

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ج ١، ص ٢، ابن واصل: مفرج

الكروب، ج ٤، ص ١٦٨، والدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٧، ص ٢٧٢.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٣٩.

(٣) أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٣٦.

الله في آخر عمره وقيل بل ذهبت إحدى عينه وكان يبصر بالأخرى إبطاراً ضعيفاً^(١)، وُلِدَ في يوم الاثنين العاشر من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة، وكان موته بالدوزنطاريا مرض به نحو عشرين يوماً وتوفي في أول شوال، وقيل: توفي في الثاني من شوال وقيل: ليلة عيد الفطر، وقيل في السابع والعشرين من شهر رمضان من شهور سنة اثنتين وعشرين وستمئة ببغداد، وعمره تسع وستون سنة وكانت مدة خلافة الناصر لدين الله [٥٨-ظ] نحواً من سبع وأربعين سنة، وقيل سبع وأربعين سنة إلا شهراً واحداً وأيام كأنه وُلِيَ في يوم الأحد ثاني ذي القعدة من شهور سنة خمس وسبعين وخمسمئة، وتوفي في سنة اثنين وعشرين هذه السنة كما قدمنا شرحه، وقيل كانت مدة خلافته ست وأربعين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً أولها يوم الأحد وآخرها يوم السبت وذلك لتمتد عليه ست وإحدى وعشرين سنة وثمانية أشهر وستة وعشرين يوماً للهجرة، ولم يبلغ مدة أحد من الخلفاء من أبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناصر لدين الله إلى هذا القدر في الخلافة أطول من ولي قبله مدة اثنان القادر بالله إسحاق بن المقتدر وكانت مدة خلافته ثلاثاً وأربعين سنة، وابنه القائم بأمر الله وكانت مدة خلافته نحو خمس وأربعين سنة، وأما الذين دُعي لهم بالخلافة في الأطراف وكانوا في حكم الخوارج ففيهم من زادت مدته على مدة الخليفة الناصر لدين الله، فإنَّ عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس الملقَّب أيضاً بالناصر لدين الله وُلِيَ نحراً من خمسين سنة والمستنصر بالله أبو تميم مجد بن الظاهر بأمر الله صاحب الديار المصرية وُلِيَ نحواً من ستين سنة ولم يصل إلى هذه المدة أحد ممَّن دُعي له بالخلافة والله أعلم.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٧، ص ١٣٥، وأبو الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج ٣، ص ١٣٥، وابن

الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٤٠، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٥٩.

ذكر خلافة الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله العباسي الهاشمي^(١)

[٥٩-و] كان الخليفة الناصر لدين الله العباسي الهاشمي عهد بالخلافة لولده الظاهر بأمر الله ثم خلعه منها ثم أعاده إليها ولم يتفق مثل ذلك لولي عهد قبله وقدمنا شرح ذلك كله ولمّا توفي الناصر لدين الله بُويع ولده وولي عهده أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد، وولي الخلافة وهو شيخ ولمّا بُويع قال: كيف يفلح من يفتح دكانا بعد العصر^(٢) وفيه كان والده اعتقله في حياته مدة طويلة ثم أخرجه عند وفاته وعهد إليه بالخلافة وبُويع له البيعة العامة في يوم وفاة والده وكان عمره نيفا وخمسين سنة وكان يقول من يفتح دكانه العصر متى يستفتح، والظاهر^(٣) المذكور هو الخامس والثلاثون من الخلفاء العباسيين وهو السادس والخمسون من الخلفاء بعد النبي ﷺ قال بعض أهل التاريخ: مدته تسعة شهور وتسعة أيام لتتمة ستة آلاف سنة وسبعمئة سنة وسبعة عشر سنة وعشرة شهور وستة عشر يوما للعالم ولمّا ولي الظاهر الخلافة أظهر العدل وأزال المظالم والمكوس وأخرج المحبوسين وظهر للناس وكان الناصر لدين الله ومن قبله من الخلفاء لا يظهرون إلا نادرا^(٤)، وفي هذه السنة بعد وفاة جمال الدين المصري قاضي قضاة دمشق وبلادها قلد الملك المعظم الأيوبي صاحب دمشق قضاء القضاة بدمشق وبلادها لقاضي القضاة شمس الدين الخوي وكان فاضلا عالما متفنا في علوم شتى وقاد الذهن وفيها قبض الملك الناصر قليج أرسلان الأيوبي صاحب حماه على شهاب الدين بن

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٠١.

(٢) قصد بذلك عدم جدوى توليه الخلافة بعد أن بلغ الستين من العمر انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٠١.

(٣) تولى الخلافة ٦٢٢هـ، إلى ٦٢٣هـ. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧١.

(٤) المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٦٦، وأبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٣٦، وأبي الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج ٢، ص ٤١٧، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧١، وابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج ٢٧، ص ٢٥٩.

القطب [٥٩-ظ] وأودعه السجن، وفيها قبض الملك الناصر صاحب حماه على القاضي عماد الدين بن القطب ^(١) وعزله من القضاء بحماه وحبسه ثم أطلقه فسافر من حماه.

وفيها ولي الملك الناصر صاحب حماه القضاء بحماه للقاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن أبي الدم ^(٢)، وكان فاضلاً متقناً سافر إلى العراق واشتغل هناك بالعلم، وخلع عليه أمير المؤمنين الناصر لدين الله العباسي وقدم إلى حماه وعليه خلعة الخليفة ^(٣).

قال بعض أهل التاريخ: وفيها وصل الملك المسعود صلاح الدين بن الملك الكامل الأيوبي من اليمن إلى خدمة والده بمصر المحروسة، وأحضر صحبتته من التحف والألطف شيئاً كثيراً، وفيها بعد وفاة صاحب صفى الدين عبد الله بن شكر قبض السلطان الملك الكامل صاحب الديار المصرية على أولاده وأوقع الحوطة على جميع ماله وذخائره واعتقل ولديه تاج الدين وعز الدين في قاعة سهم الدين بدرب الأسواني، ولم يستوزر بعد صاحب صفى الدين أحداً ^(٤).

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٤.

(٢) ابن أبي الدم ياقوت الحموي: (٥٨٣ - ٦٤٢ هـ. / ١١٨٧ - ١٢٤٤ م) مؤرخ من علماء الشافعية تفقه ببغداد وسمع بالقاهرة وتولى قضاء حماه وتوجه رسولا إلى بغداد ومن تصانيفه (التاريخ المظفري) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٣٠٥، والزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٤٢.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٤.

(٤) المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٦٧، ابن العميد: تاريخ الأيوبيين، ص ٩.

ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض أخبارهم

إبراهيم بن الشيخ أبي منصور^(١) المظفر بن إبراهيم بن محمد بن علي الحراني الأصل الموصلي المولد والدار والوفاة، يكنى أبا اسحاق، ويلقب برهان الدين ويعرف بابن البرني الشيخ الإمام الحافظ الواعظ الحنبلي المذهب، سُمع ببغداد من أبي الفتح بن عبد الباقي بن أحمد والنقيب الظاهر أبي عبد الله أحمد بن علي بن العمر الحسيني وأبي علي أحمد بن محمد بن الرحبي، وأبي بكر عبد الله بن النقر، وأبي جعفر أحمد بن عبد الله بن يوسف وشهده وغيرهم، وحدث بالموصل وسنجار ووعظ بهما قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعموري: سمعت منه الكثير وقال: قرأ شيخنا الإمام الحافظ الواعظ برهان الدين إبراهيم الواعظ على الإمام أبي الفرج بن الجوزي وكان فاضلاً وهو واحد عصره في فنه وولي دار الحديث التي لابن مهاجر بالموصل ولد في الثاني عشر من ذي الحجة سنة ست وأربعين وخمسمئة بالموصل وتوفي في غرة المحرم سنة اثنتين وعشرين وستمئة هذه السنة بالموصل ودفن بها بمقبرة المعافى^(٢) بن عمران.

(١) الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله بن الديلمي، ج ١، ص ١٣٤، والذهبي:

تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ٩٩.

(٢) انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١١، ص ٧١٩.

إبراهيم بن الفقيه أبي عمرو عثمان بن عيسى بن درباس^(١) بن فير بن جهم بن عبدوس الهذباني الماراني الموصلّي يكنى أبا إسحاق، ويُلَقَّب جلال الدين سمع بمصر فاطمة بنت سعد الخير، وأبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد الأرتاحي وأبي محمد [٦١-و] عبد الله بن محمد بن المجليّ وجماعة وسمع بدمشق من جماعة منهم أبو حفص بن محمد بن طبرزد، والقاضي أبو القاسم بن الخراساني، وأبو اليمن الكندي زيد بن الحسن^(٢) وغيرهم، ودخل العراق وأصيبهان، وخراسان، وسمع بهذه البلاد وأجازته الحافظ السلفي وحدث عن رسول الله ﷺ وتفقّه على والده بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ولد في شوال سنة اثنين وسبعين وخمسمئة وتوفي في سنة اثنتين وعشرين هذه السنة فيما بين الهند واليمن والماراني نسبة إلى بني ماران بالمرج تحت الموصل.

أحمد بن علي بن أحمد بن الزيادة^(٣) الموصلّي يكنى أبا إسحاق سمع على علو سنه من المتأخرين وكان زاهدا مشهورا توفي في ليلة الرابع عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين بالموصل ودفن بها.

أحمد بن الشيخ العلامة كمال الدين^(٤) أبي الفتح موسى بن الشيخ رضي الدين أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد الأربليّ الموصلّي يكنى أبا الفضل ويلقب شرف الدين الشافعي المذهب من بيت الرياسة والفضل والمقدمين بأربل ذكره قاضي القضاة شمس الدين

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٦٨، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٧، ص ١٤٣، وابن خلكان:

وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٠٦ وورد في المجلد الخامس القسم الأول تح: حسن الشماع أنه توفي سنة ستمئة واثنين، انظر: تاريخ ابن الفرات، تح: حسن الشماع، ج ٥، ص ٤٥.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء: ص ١٣٣٠، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٣٩.

(٣) لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة بين يدي.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٣، ص ٣٠٧، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٧٤.

أحمد بن خلكان في تأليفه وفيات الأعيان، فقال ما صيغته كان إماما كبيرا فاضلا عادلا حسن السمعة جميل المنظر نسج على منوال والده في التفنن في العلوم وشرح كتاب التنبيه في الفقه [٦١-ظ] وأجاد شرحه، وكان مبدأ شروعه في شرح التنبيه بأربل، واستعار منا نسخة التنبيه عليها حواشي مفيدة بخط بعض الأفاضل رأيته بعد ذلك وقد فعل بالحواشي كلها في شرحه واختصر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي إلى مختصرين كبيراً وصغيراً، وكان كثير المحفوظات غزير المادة تلقى في جملة دروسه من كتاب الإحياء درساً وحفظاً، وتخرج عليه جماعة كثيرة، وتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين بعد صاحب أربل بمدينة أربل بعد والدي، وكان وصوله إليها من الموصل في أوائل شوال سنة ستة عشر وستمئة، وكانت وفاة الوالد ليلة الاثنين ثاني عشر من شعبان من السنة المذكورة وكنت احضر درسه وأنا صغير وما سمعت أحدا يلقي الدرس مثله وتعددت من محاسن الوجود وما اذكره إلا وتصغر الدنيا في عيني ولقد أفكرت فيه مرة فقلت هذا الرجل عاش مدة خلافة الإمام يحيى الناصر لدين الله أبي العباس أحمد^(١) فإنه وليّ الخلافة في سنة خمس وسبعين وخمسمئة وهي السنة التي ولد فيها الشيخ شرف الدين المذكور وماتا في سنة واحدة، وكان اشتغالي على أبيه بالموصل ولم يتغرب لأجل الاشتغال بالعلم، وكان الفقهاء يقولون خيراً منه كيف اشتغل في وطنه وبين أهله وفي عمره واشتغاله بالدنيا وخرج منه ما خرج ولو شرعت في وصف محاسنه لأطلت وفي هذا القدر كفاية ولم يزل الشيخ شرف الدين على تدريسه^(٢)، [٦٢-و] إلى أن حج ثم عاد وأقام قليلاً ثم انتقل إلى الموصل في سنة سبع عشرة وستمئة، وقُوضت إليه المدرسة

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ٩٥، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٤٧.

(٢) اليافعي (أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج ٤، ص ٤١.

القاهرة وأقام بها ملازم الاشتغال والإفادة إلى أن توفي ولد سنة خمس وسبعين وخمسمئة
بالموصل وتوفي يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين هذه السنة
بالموصل.

أسعد بن يحيى بن موسى^(١) بن منصور بن عبد العزيز بن وهب بن هبان بن سوار بن عبد
عبد الله بن ربيع بن ربيعة بن هبان السلمي السنجاري، يكنى أبا السعادات، ويلقب بهاء الدين
الشافعي المذهب الشاعر المشهور بالبهاء السنجاري، كان فقيها تكلم في الخلاف الا أنه غلب
عليه الشعر وأجاد به واشتهر به وخدم به الملوك، وأخذ جوائزهم، وطاف البلاد ومدح الأكابر،
ومن شعره من قصيدة:^(٢) [الكامل]

وهواك ما خطر السُّلو بباله
فمتى وشى واشٍ اليك بأنه
ولأنت أعلم في الغرام بحاله
سال هواك فذاك من عُدَّله
ومنها:

أقرباة سبقت له أم حاله
يا للعجائب من أسير دأبه
مألوفة من تيهه ودلاله
ريان من ماء الشبيبة والصبأ
يفدي الطليق بنفسه وبماله
يسرى النواظر في مراكب حسنه
شرقت معاطفه بطيب زلاته
فيكاد يغرق من بحار جماله

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١٠٢، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٥، ص ١٦٦، وابن الساعي:
الساعي: ديوانه، ص ٣٢٢.

(٢) وردت [ولأنت أدري في الغرام بحاله] انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٢٢ ووردت [وفتى
وشى شخصٌ إليك بأنه. . . سال هواك فذاك من عُدَّله] انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٦٩، وابن
الساعي: ديوانه، ص ٣٢٣.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٨٣.

كتب العذار على صحيفة خده نونا وأعجمها بنقطة خاله [٦٢-ظ]
فسواد طرّته كليل صُدوده وبياض غرّته كيوم وصاله
ولولا خوف الاطالة لذكرتها جميعها وكان يقول من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة
ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة فقد أخطأ الرأي وازداد مرضاً، وحمل
الوزر^(١) وله أشياء حسنة، وُلد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة وتوفي في أوائل سنة اثنين وعشرين
وعشرين هذه السنة بسنجار رحمه الله تعالى.

جعفر بن شمس الخلافة^(٢) أبي عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار المصري الأفضلي^(٣)،
الأفضلي^(٣)، يُكنى أبا الفضل ويُلقب مجد الدين الأديب الشاعر الكاتب، قال الحافظ جمال
الدين يوسف بن أحمد اليعموري في حقّه لقي جماعة من الأدباء، وكتب الخط الجيد، وله
تصانيف تدل على فضله، وحدث بديوانه.

وقال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان كان ابن شمس الخلافة جعفر فاضلاً حسن
الخط وكتب كثيراً وخطه مرغوبٌ فيه لحسنه وضبطه، وله تواليف جمع فيها أشياء لطيفة دلّت
على جودة اختياره، وله ديوان شعر أجاد فيه نُقلت من خطه لنفسه: ^(٤)

هي شدة يأتي الرخاء^(١) عقيبها وأسى يُبشر بالسرور العاجل

(١) الدينوري (ابن قتيبة): عيون الأخبار، ج ١، ص ١٣.

(٢) الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٨٧، والسيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٦٦، وابن العماد: شذرات
الذهب، ج ٥، ص ١٠٠.

(٣) الأفضلي: بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الضاد المعجمة وبعدها لام - هذه النسبة إلى الأفضل أمير
الجيوش بمصر انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٦٣.

(٤) انظر: ابن العديم: بغية الطلب، ج ٢، ص ٩٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٦٢.

وإذا نظرت فإن بؤسا زائلا ^(٢)	للمرء خير من نعيم زائل
وقال أيضا في الوزير بن شكر: ^(٣)	
مدحتك السنة الأنعام مخافة	وتشاهدت لك بالثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخرا في مدتي	حتى أعيش إلى انطلاق الألسن
وقال أيضا:	
أعط وإن فاتك الثراء ودع	سبيل من ضن وهو مقتدر [٦٣-و]
فكم غني بالناس عنه غنى	وكم فقير إليه يفتقر
وقال أيضا: ^(٤)	
كفي وعرضي إذا ما	سألت عن أخباري
هذا من الكاس كاس	وذا من العار عاري
ومن شعره: ^(٥)	
يا زمان الهوى عليك السلام	وعلي السلو عنك حرام
أي عيش قطعته لو دام	وهل يرتجى لظل دوام
كنت حلماء والعيش فيك خيالا	وسريعا ما تنقضي الأحلام
لهف على ليال تقضت	سأبتني برودها الأيام

(١) وردت [هي شدة يأتي السرور عقيبها. . . وأسى يبشر بالسرور العاجل] انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٧٦.

(٢) وردت [وإذا نظرت فإن يوما زائلا... بالبؤس خير من نعيم زائل] انظر: الدوادري (أبو بكر بن عبد الله بن أبيك): كنز الدرر وجامع الغرر، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م ج ٧، ص ٢٧٧ ووردت [وإذا نظرت فإن بؤسا دائما. . . للمرء خير من نعيم زائل] انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٧٦.

(٣) ابن شكر: هو الصفي: أبو محمد عبد الله بن علي وزير الملك الكامل رحمهما الله انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٦٢، والدوادري (أبي بكر بن عبد الله بن أبيك): الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٣٩١ هـ | ١٩٧٢ م، ج ٧، ص ٢٧٧.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٦٣.

(٥) التلمساني (شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان

عباس، دار صادر - بيروت، ج ١، ص ٢٢.

وشديداً على الوليد القطام
من بكى شجوه فليس يلام

فطممتي الأقدار عنها وليداً
لا تلمني على البكاء
وقوله: (١)

سحر تولد من فتور
قلوبنا قبل النحور
سوى در الثغور
مماثل وبلا نظير
في غفلة الواشي الغيور
يذ الصبح المنير
وطال بها سرور
وافتك بشرى من نذير
ورونق العيش النضير
مع كل محتال فخور

في مقلّة الرشاء الغرير
وبلحظة نبل يصيب
وبنيه راح ما لها حبيب
سبحان خالقه بغير
لم أنسه إذ زارني
والليل ستر لم تمزقه
يا حسنّها من ليلة قصرت
يسمح الزمان بها وكم
لمن لي بأيام الشباب
إذ ملبسي ثوب الأسى
وقوله: (٢)

فتمادوا في الرضى وفي الغضب [٦٣-
أنتم راحة قلبي والتعب
ثم ذا طمع وهذا مكتسب
لم أحتمل جوركم لكنه من خطب
بل عجبنا للرضى كل العجب
طبقة في الشعر حسنة، ولد في المحرم سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة، وتوفي في الثاني عشر
من المحرم (توفي يوم الجمعة ودفن بالقرافة عند قبور بني مخط، سنة اثنتين وعشرين هذه

ما لقلبي في سواكم من أرب
أنتم صحة جسمي والضنا
هجركم عام ويوم وصلكم
والهوى لولا الهوى
ما عجبنا لتمادي سخطكم

السنة بالموضع المعروف بالكوم الأحمر^(١) ظاهر مصر).

(١) لم أجدها بين المصادر المتوفرة بين يدي.

(٢) لم أجدها بين المصادر المتوفرة بين يدي.

عبد الله بن أبي الحسن علي بن الحسين^(٢) بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن إبراهيم أبو عمار بن منصور بن علي الشيباني^(٣) المصري، يكتى أبا محمد، ويلقب صفي الدين، ويعرف بابن شكر الوزير المالكي المذهب، دخل الإسكندرية وسمع بها على الإمام شمس الإسلام أبي القاسم مخلوف بن علي المعروف بابن جارة، وتفق عليه وسمع من الإمام أبي الظاهر اسماعيل بن مكى بن عوف الزهري، وأبي الطيب عبد المنعم بن يحيى بن الخلوف الحميري، وأبي الحسن محمد بن أحمد بن أبي نوح النحوي، وسمع إنشاداً من الحافظ السلفي، وأجاز له أبو الحسين الحرّاني أحمد بن حمزة بن علي السلمي، وأبو عبد الله محمد بن علي بن صدقة الحرّاني، وأبو محمد عبد الرحمن بن علي بن المسلم اللخمي، وأبو الفضل اسماعيل بن علي بن إبراهيم الخيزري وغيرهم، وأجاز له العلاء بن بري، وأبو القاسم البوصيري، وأبو عبد الله محمد بن حمد الأرتاحي وغيرهم.

وحدث بدمشق والقاهرة وغيرهما وتفق على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه على الفقيه أبي بكر عتيق النخامي وبه تخرج، وكان الملك العادل سيف الدين أبو بكر^(٤) بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبي [٦٤-و] غضب عليه وأخرجه من مصر إلى الشام وتسحب منها إلى حماه، فأنكر الملك العادل على صاحب حماه حنؤه عليه فسيّره إلى آمد وأقام بها مدة إلى أن استعاده الملك الكامل بن الملك العادل صاحب الديار المصرية واستوزره، وكان جباراً

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٦٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ج ١٥ ص ٢٨٦، الذهبي: تاريخ الإسلام،

ج ٤٥ ص ١٠٩، المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٦٦.

(٣) الشيباني: بالفتح والسكون إلى شيبه بن عثمان بن طلحة سادن الكعبة انظر: السيوطي (عبد الرحمن بن أبي

بكر جلال الدين ت ٩١١ هـ): لب الباب في تحرير الأنساب، دار صادر، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٦٥.

عائياً عانياً بتقدمة الأراذل، وتأخر الأماثل، أفقر علماً كثيراً، وُلِدَ في تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمئة بدميرة من بحري الفسطاط من مصر، وتوفي في يوم الجمعة الثامن من شعبان، وقيل يوم الجمعة ثامن شوال سنة اثنين وعشرين هذه السنة بالقاهرة المحروسة، ودُفِنَ من يومه برباطه الذي أنشأه بقرب داره، رحمه الله.

الحسين بن عمر بن نصر^(١) بن الحسن بن سعد بن عبد الله باز الموصلِي يُكْنَى أبا عبد الله، سمع بالموصل من والده، ومن أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الخطيب الطوسي، وسمع ببغداد من أبي محمد لاحق بن علي بن كاره، وأبي أحمد أسعد من يلدل الحرملِي، وأبي عبد الله المظفر بن أبي نصر النواب، وأبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق، وأبي شاعر عيسى بن أحمد، وأبي منصور محمد بن أحمد بن الفرج الدقاق، وأبي الحسن علي بن عبد الرحيم السلمي، وشهده بنت أحمد وغيرهم، دخل الشام ومصر.

قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعموري^(٢): وما علمت أنه سمع بمصر ولا حدث، والظاهر أنه قدمها للتجارة، سمعت منه بالموصل، وولّى دار الحديث المظفرية بالموصل، وُلِدَ في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة اثنين وخمسين وخمسمئة قال: [٦٤-و] وتوفي شيخنا في ليلة الثاني من شهر ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين هذه السنة.

عبد المحسن بن الخطيب^(٣) أبي الفضل عبد الله بن الخطيب أبي نصر أحمد بن محمد بن عبد الظاهر الموصلِي يُكْنَى أبا القاسم ويُلقَّب شمس الدين ويعرف بابن الطوسي الخطيب بالجامع العتيق بالموصل هو وأبوه وجدّه، سمع بالموصل من والده ومن عمه أبي محمد عبد الرحمن

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١٠٥.

(٢) سبقت ترجمته عند ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٣٣٨.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١١٧.

والقاضي أبي عبد الله الحسين بن نصر بن خميس، وغيرهم وسمع ببغداد من أبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري، وقيل إنه لم يسمع بها وحدث ببغداد والموصل.

قال الحافظ جمال الدين بن يوسف بن أحمد اليعموري: سمعتُ منه بالموصل كثيراً ومن ولده وُلِدَ في ليلة العاشر من شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة وتوفي في النصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين هذه السنة.

علي بن الإمام أبي العلامة يوسف بن عبد الله بن بندار^(١) الدمشقي الأصل البغدادي المولد المصري الدار والوفاء ، يُكنى أبا الحسن ، ويُلقب زين الدين قاضي القضاة بالديار المصرية، الشافعي المذهب، سمع ببغداد من أبي زرعة^(٢) طاهر بن محمد وقدم مصر، وحدث بها، وُلِدَ في يوم السبت سابع عشر شهر ربيع سنة خمسين وخمسمئة ببغداد، وتوفي في الثالث عشر من جمادى الآخرة اثنتين وعشرين هذه السنة بالقاهرة، ودُفِنَ بسفح المُقَطَّم [٦٥-و].

عمر بن سعيد الموصلي^(٣) الدمشقي يُكنى أبا حفص ويُلقب ضياء الدين الحنفي المذهب سمع من أبي الفرج بن كليب الحراني وغيره.

قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعموري: سمعت عليه بالموصل وبدمشق وُلِدَ في جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وخمسمئة ، وتوفي في الثاني من شوال سنة اثنتين وعشرين

(١) الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٨٨، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٧٧، ج ٥ ص ١٠١، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٦٣.

(٢) أبو زرعة: هو عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري الدمشقي من أئمة الحديث ورجاله له عدة كتب منها: "التاريخ وعلل الرجال" ومسائل في الحديث والفقه وتاريخ دمشق توفي بدمشق سنة ٢٨١هـ ٨٩٣م انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٣١١-٣١٦، الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٣٢٠.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٦، ص ٢٩٧.

هذه السنة بالبيمارستان بدمشق وقيل توفي في ليلة الثامن والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة والله أعلم أي ذلك كان.

محمد بن إسماعيل^(١) بن محمود بن أحمد بن حسن بن إسماعيل الحميري اليمني الأصل، يُكنى أبا عبد الله ويُلقب صفي الدين، ويُعرف بالصفى الأسود الأشرفي الكاتب سمع من والده ومن أبي القبائل عشير بن علي برادر المدارع ومن أبي عبد الله محمد بن حمد الأرتاحي، وحدث وكتب في ديوان الإنشاء العادلي ولّى غيره وتفقّه على أبي اسحاق بن مربيل الشافعي المذهب، وله شعر حسن، ومن شعره قوله من أبيات:

كرم شمولي يصوغ نثره
وبدا الطغلي بزور وما دعي
نظر إلى قول ابن حيوس: ^(٢)

ومن العجائب والعجائب جمّة
إنّي دعوتُ ندى الكرام فلم يُجب
شكرُ بطيء عن ندى متسرع
فلأشكرن ندى أجاب وما دعي

وكان الدنيا به وهو فيها
لبست للأيام ثوب حداد
توفي الصفى الأسود في سنة اثنين وعشرين هذه السنة بالرقّة على جانب الشراة^(٤) ودُفِن بها

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٧٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٤٤٢، وابن حيوس الغنوي الدمشقي (أبي الفتيان محمد بن سلطان ت ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م): ديوان ابن حيوس، تح: خليل مردم بك، ج ١ دمشق، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، ص ٣١٥-٣١٦.

(٣) الأصفهاني (عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ج ١، ص ٤٤٤.

(٤) الشراة: بفتح أوله قال الأصمعي: إبل شراة إذا كانت خياراً قال ذو الرمة: يذبّ القضايا عن شراة كأنّها . . . جماهير تحت المدجنات الهواضب، وهو جبل شامخ مرتفع في السماء من دون عسفان تأوي إليه القروذ ينبت

[٦٥-ظ].

محمد بن أبي القاسم الخضر^(١) بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله الحراني، يُكنى أبا عبد الله، ويُلقب فخر الدين، ويُعرف بابن تيمية^(٢) الإمام المفسر الواعظ الحنبلي المذهب، سمع ببغداد من أبي طالب المبارك بن علي بن محمد بن خضير، وأبي الفتح بن البطي، وأبي الحسن سعد الله بن نصر بن الرفاعي، وأبي القاسم يحيى بن ثابت يزيد بن بندار، وأبي بكر عبد الله بن محمد بن المنصور، وأبي الفضل أحمد بن صالح بن شافع الحنبلي، وأبي محمد عبد الله بن منصور بن الموصل، وأبي منصور جعفر بن عبد الله الدامغاني، وأبي محمد عبد الله بن عبد الصمد بن عبد الرزاق، وأبي الحسن علي بن عساكر بن المرحب وأبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف، وأبي نصر عبد الرحيم أخي أبي الحسين، وأبي الفتح بن سائل وشهده وغيرهم.

وسمع بحرّان من الشيخ أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، وأبي الفتح أحمد بن أبي الوفاء، وأبي الفضل حامد بن محمود المعروف بابن الحجر. وقرأ الأدب على أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب، وسمع عليه الحافظ اليعموري وغيره، وتفقه ببغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه على الإمام أبي الفتح نصر بن فتيان بن الحسين، وأبي العباس بن أحمد بن يلدوس، وتفقه بحرّان على الفقيه أبي الفتح أحمد بن أبي الوفاء.

التَّبَع والقرط والشوحت وهو لبني ليث خاصة ولبني ظفر من سليم وهو عن يسار عسفان وبه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز لمن سلك عسفان يقال لها الخريطة مصعدة مرتفعة جدًا والخريطة تلي الشراة جبل صلد لا ينبت شيئاً انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٣١.

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٧٧.

(٢) فخر الدين بن تيمية: انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٠، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٦٥، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص٢٦٢.

وأبي الفضل حامد بن محمود المعروف بابن الحجر^(١)، وقرأ الأدب على أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب، قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعموري: كان شيخنا الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن تيمية عارفا بالتفسير، وله خطب مشهورة، وشعر ومختصر في الفقه سمعت عليه بحرآن، وسُئل عن تيمية ما معناه قال: حجّ أبي وجدي وكانت امرأته حاملا [٦٦-و] فلما كان بتيماء رأى جويرة خرجت من خبائها، فلما رجع إلى حرآن وجد امرأته، قد وضعت جارية فلما رفعوها إليه قال: يا تيمية يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء فسُمي به^(٢) أو كما قال: وُلد في أواخر شعبان سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة بحرآن، وتوفي في حادي عشر صفر من سنة اثنتين وعشرين هذه السنة.

محمد بن إبراهيم بن طاهر الفارسي^(٣) الشيرازي الحموي الفيروزآبادي، يُكنى أبا عبد الله، ويلقب فخر الدين الشافعي المذهب الصوفي دخل دمشق في شهر رجب سنة ست وستين وخمسمئة ودخل إلى مصر في نصف شعبان من السنة المذكورة، ودخل إلى الإسكندرية وسمع بها من الحافظ السلفي، وحدث عنه وعن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي، وأبي الغنائم المطهر بن خلف بن عبد الكريم النيسابوري، وأبي القاسم محمود بن محمد بن الحسين القزويني، وسمع من جماعة من المتأخرين. قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعموري: وُلد الشيخ فخر الدين في شهر رمضان سنة أربع عشرة وستمئة إلى اليوم خمس وثمانون سنة تخميناً، وتوفي في السادس عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين هذه السنة

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١١، ص ١٦٤.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١٣٤.

(٣) الذهبي: العبر و ج ٣، ص ١٨٨.

بمصر بمعبد ذي النون المصري بقرافة مصر ، ودُفن بالمعبد المذكور ، والخبري منسوب إلى خبر بعد الخاء المعجم باء موحدة ثم راء مهملة.

قال الشيخ فخر الدين صاحب هذه الترجمة نحن من خبر سروشين إقليم من عمل شيراز شربهم من جبل الدينار ، وثم خبر آخر يُقال له خبر سمكان من عمل شيراز أيضا ، وخبر ثالث يُقال له خبر فيروزآباد.

[٦٦-ظ] **محمد بن أبي المنصور ظافر^(١) بن أبي الحسن علي بن فتوح بن الحسين بن إبراهيم بن القرشي الإسكندراني يُكنى أبا عبد الله** ، ويُعرف بابن رباح ، سمع من الحافظ السلفي وحدث . قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعموري : هو أخو شيخنا عبد الوهاب بن ظافر توفي في سنة اثنين وعشرين هذه السنة.

محمد بن عبد الواحد الأنصاري^(٢) الحموي الدمشقي وفاة الشيخ الأجل الأمين العدل نزيل دمشق يُعرف بابن رواحة ؛ لأنه ابن أخت أبي عبد الله الحسين بن رواحة سمع من أبي الفرج بن كليب ببغداد وحدث ، وهو باني المدرسة الرواحية^(٣).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج ٤٥ ، ص ١٣٦.

(٢) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، والذهبي: تاريخ الإسلام ، ج ٤٥ ، ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) وهي من مدارس الشافعية أيضا تقع بدمشق شرقي الجامع الأموي بناها زكي الدين بن رواحة ياقوت الحموي (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) سنة ٦٠٠ هـ ١٢٠٣م) درس بها ابن الصلاح والسهروردي وغيرهم انظر: ابن

خارج باب الناطفائيين، توفي في السابع من شهر رجب سنة اثنتين وعشرين هذه السنة بمدرسته بدمشق، ودُفن بتربة الصوفية على الشرف القبلي.

هبة الله بن القاضي^(١) أبي المكارم إسماعيل بن أبي القاسم هبة الله المليجي^(٢) الأصل المصري الدار، سمع من العلامة ابن بري، وأبي القاسم البوصيري وحدث وُلد في الثامن عشر من شعبان سنة اثنتين وستين وخمسئة وتوفي في ليلة العاشر من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين هذه السنة.

ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي^(٣) المنشأ والوفاء، يُكنى أبا الدر، ويُلقب مهذب الدين الشاعر المشهور، مولى أبي منصور الحلبي التاجر، اشتغل بالعلم وأكثر من الأدب، واستعمل قريحته في النظم فأجاد فيه [٦٧-و]، ولمّا تميز ومهر سمى نفسه عبد الرحمن، وكان مقيماً بالمدرسة النظامية ببغداد، ذكره ابن الديلمي في كتاب الذيل في جملة من اسمه عبد الرحمن. وقال: إنه نشأ ببغداد، وحفظ القرآن العزيز، وقرأ شيئاً من الأدب، وكتب خطأ حسناً، وقال الشعر وأكثر النظم منه في الغزل والتصابي وذكر المحبة، وراق شعره، ويحفظه الناس، وأورد له مقطوعاً من الشعر.

وذكر أنه أنشده إياه وهو: ^(٤)

خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٤٥-٢٤٦ وكرد علي: خطط الشام، ج ٦، ص ٧٩، والنعمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٢٦٥.

(١) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١٣٨، ج ١٠، ص ٧٩.

(٢) مَلِيحٌ: بالفتح ثم الكسر وياء تحتها نقطتان ساكنة وجيم: قرية بريف مصر قرب المحلة انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٦.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٨٤.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٢٣-١٢٤، والياضي: مرآة الجنان، ج ٤، ص ٤٠.

وأظلم إلا حره وحرَّ عاشق
وهي رقيقة لطيفة فمن ذلك قوله: (١)
فكل ما تدعي زور وبهتان
وقد خلا منهم ربع وأوطان
عن النواظر أقمار وأغصان
وبان جيش اصطباري عندما بانوا (٢)
ولا ترنح أيك لا ولا بان (٣)
غداة بينهم هم وأحزان
طي الحشا لخليل الله نيران
فيكم لجاد له أحد ولبنان
رضوى ولان لما ألقاه ثهلان
سلطان حسنك مالي منه احسان
أنت الزلال لقلبي وهو ظمان

ومهد إلى دار السلام سلامي
إلى معرق لم يرع عهد ذمامي
يرق لذلي في الهوى وهيامي

خليل لا والله ما جنَّ عاشق
وأشعاره سائرة يتغنى بها
إذا غاص دمعك والأحباب قد بانوا (٤)
وكيف تأنس أو تتسى خيالهم
لا أوحش الله من قوم نأوا فنأى
ساروا فسار فؤادي إثر ظعنهم
لا أفتر ثغر الثرى من بعد بينهم
أجرى دموعي وأذكى النار في كبدي
طوفان نوح ثوى (٥) في مقلتي وفي
لو كابد الصخر ما كابدت من حدَّ
وذاب يذبل من وجدي ورض على
يامن تملك رقي حُسن بهجته
كن كيف شئت فمالي عنك من بدل
[٦٧-ظ] ومن شعره (٦):

ألا من مبلغ وجدي بها وغرامي
نسيم الصبا بلغ تحية مُشتم
وصف بعض أشواقي إليه لعله

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥ ، ص ١٣٩.

(٢) وردت [ماتوا] انظر: اليافعي: مرآة الجنان، ج ٤ ، ص ٤٠.

(٣) ورد [ساروا فسار فؤادي إثر ظعنهم. . . وخلفوني نحيل الجسم حيرانا] انظر: السلاوي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، ج ٥ ، ص ٥٨.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦ ، ص ١٢٣ وورد [لا أفتر ثغر الثرى من بعد بينهم. . . ولا سقى هاطل وردا وريحانا] انظر: السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٥ ، ص ٥٨.

(٥) ثوى: أطل الإقامة بالمكان انظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ٢٢٨ .

(٦) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦ ، ص ١٢٤.

أيَا رَحْبَةَ الزُّورَاءِ لِي فِيكَ شَادِنٌ
بَدِيعِ جَمَالِ بَانَ صَبْرِي لَبِينِهِ
يَصْدُ إِذَا مَا صَدَّ عَنْ عَيْنِي الْكَرَى
حَيَاتِي وَمَوْتِي فِي يَدَيْهِ وَجَنْتِي
فَفِي بُعْدِهِ عَنِي وَفَاتِي وَقُرْبِهِ
وَمِنْ وَجَنْتِيهِ نَارٌ وَجَدِي وَخَصْرِهِ
فَكُنْ عَانِذِي فَدَلَالِهِ
قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان: رأيت كثيرا من الفقهاء بالشام وبلاد الشرق

يحفظون لمهذب الدين ياقوت قصيدة أولها: ^(١)

جَسَدِي لَتُبْعِدِكَ يَا مَثِيرَ بِلَابِلِي
يَا مَن إِذَا مَا لَامَ فِيهِ لَوَائِمِي
أَجِيزُ قَتْلِي فِي "الْوَجِيزِ" لِقَاتِلِي
أَمْ فِي "المَهْذَبِ" إِنْ يُعَذِّبُ عَاشِقُ
أَمْ طَرَفِكَ الْفَتَاكِ قَدْ افْتَاكَ فِي
قال: وهي أكثر من هذا القدر لكن هذا هو الذي نستحضره في هذا الوقت منها قال وأنشدني له

بعض الأدباء بمدينة حلب أبياتا ومنها قوله: ^(٢)

أَلَسْتُ مِنَ الْوُلْدَانِ أَحْلَا شَمَائِلَا
فَكَيْفَ سَكَنْتَ الْقَلْبَ وَهُوَ جَهَنَّمُ
ثم قال وقد انتقدوا عليه في ^(٣) بغداد في هذا البيت قال ابن خلكان ^(١): فأفكرت فيه ثم قلت له:
لعل الانتقاد من جهة أنه مما يلزم من كونه [٦٨-و] أحلا شمائلًا من الولدان أنه لا يكون في

^(١) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٢٤.

^(٢) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٨٤، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٢٤.

^(٣) وردت [أهل] انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٢٤.

جهنم، فإنه قد يكون أحلى شمائل منهم وليس منهم وليس الممتنع إلا لأن يكون الولدان في جهنم، فقال: نعم هذا هو الذي أخذ عليه، قال وأخبرني بعض الأفاضل بمدينة أربل قال كنت ببغداد في سنة عشرين وستمئة بالمدرسة النظامية فعدت يوماً على بابها إلى جانب أبي الدر ونحن نتذاكر الأدب إذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال يتوكأ على عصا فجلس قريباً منا، فقال لي أبو الدر: أتعرف هذا، فقلت: لا، فقال: هذا مملوك الحيص بيص الذي يقول^(٢) فيه:

تشرېش^(٣) أو تقمص أو تقبى فلن تزداد عندي قط حُباً
تملك بعض حبك كل قلبي فإن ترد الزيادة هات قلباً
قال: فجعلت أنظر إليه وأفكر فيما كان عليه وما آل حاله إليه
قال ابن خلكان: ولقد طلبت أنا هذين البيتين في ديوان الحيص بيص فلم أجدهما فيه والله أعلم.

ولأبي الدر المذكور ديوان شعر صغير، وشعره مُتداول بالعراق وبلاد الشرق والشام.

قال: ورأيت في بعض التواريخ المتأخرة أنه وُجد ميتاً بمنزله ببغداد في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين هذه السنة، وقال الناس: إنّه كان قد توفي قبل ذلك بأيام رحمه الله تعالى.

والزُّومِي: بضم الراء المهملة وسكون الواو وبعدها ميم هذه النسبة إلى بلاد الروم، وهو إقليم مشهور متنسح كثير البلاد والله أعلم^(١).

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥ ص ٧٨، ج ١، ص ١٧٣.

(٢) لم أجد تخريجاً لها عند ديوان حيص بيص انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٢٥.

(٣) تشرېش: لبس ثوباً ذا شرابيش

(٦٨-ظ)

ذكر الحوادث في سنة ثلاث وعشرين وستمئة في هذه السنة

قوي أمر السلطان جلال الدين منكبرتي بن السلطان علاء الدين بن خوارزم شاه، وعظم شأنه وصارت له مملكة عراق العجم وبلاد أذربيجان، وترددت الرسل بينه وبين الملك المعظم^(١) صاحب دمشق والملك مظفر الدين كوكبوري بن علي كوجك، صاحب أربل وصارت كلمتهم واحدة، وتمكنت الوحشة بين الملك المعظم صاحب دمشق وأخويه الملك الكامل صاحب الديار المصرية والملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية، وفيها توجه صاحب محيي الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي من جهة الخليفة الظاهر بأمر الله العباسي ومعه التشريفات لملوك بني أيوب فوصل أولاً إلى الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية، وأفاض عليه الخلع الإمامية الظاهرية، ثم وصل إلى حلب فتلقيه الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر صاحب حلب، وقد ترعرع وقارب من العمر ثلاث عشرة فألبدسه صاحب محيي الدين خلعة الخليفة، وكانت سنينة واسعة الكُم سوداء وعمامة سوداء مذهبة والثوب بالزركش، وركب الملك العزيز بها، ثم توجه صاحب محيي الدين إلى دمشق وألبس الملك المعظم صاحب دمشق خلعة الخلافة، ثم توجه صاحب محيي الدين إلى مصر وألبس السلطان الملك الكامل صاحب الديار المصرية خلعة الخلافة ثم رجع إلى مرسله^(٢).

وقيل وصلت خلع الخليفة الظاهر بالله بالتقليد [٦٩-و] إلى السلطان الملك الكامل وأولاده الملك المسعود والملك الصالح نجم الدين أيوب وخلعة للوزير صاحب صفى الدين بن شكر،

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) عيسى بن العادل، انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٥.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٥-١٧٦.

وكان قد توفي، فأمر السلطان الكامل أن يلبسها الفخر سليمان كاتب الإنشاء ولبس السلطان الكامل وأولاده الخلع، وعبروا من باب النصر^(١)، وشقوا القاهرة وخرجوا من باب زويلة وطلعوا إلى قلعة الجبل وكان يوماً مشهوداً^(٢).

وقال محمد بن نظيف الحموي: كان رسول الخليفة الظاهر المعمم محيي الدين بن الجوزي ومعه أمير مملوك تركي يُقال له شمس الدين فخطبت له بالممالك وضربت السكة باسمه، وكان الرسول من الملك الأشرف.

قال الملك العادل الأيوبي صاحب الشرق في الهناء والعزاء لجؤوا إلى بغداد بدر الدين عثمان أخو الحاجب علي الأشرفي صاحب دولته، ورسول الملك المعظم بن الملك العادل صاحب دمشق على ذلك القاضي الأشرف بن القاضي الفاضل فأكرم إكراماً زائداً إجلالاً لأبيه القاضي الفاضل^(٣) ورسول السلطان الملك الكامل بن الملك العادل الأيوبي صاحب الديار المصرية بذلك معين الدين بن شيخ الشيوخ بن حمويه^(٤)، واتفق موت الخليفة الظاهر وخلافة ولده المستنصر ورسول الملك الكامل عند الملك الأشرف مقيماً فاستأذن مخدمه الكامل فيما يفعل فأمره بالمضي إلى المستنصر بن الظاهر ويغريه بجده وأبيه ويُهنيه بخلافته، وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(١) باب النصر: أحد أبواب دمشق المحدث في سورها الغربي (لا وجود له اليوم) كان يقع عند مدخل سوق

الحميدية، انظر: الشهابي قتيبة: معالم دمشق التاريخية، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦ م ج ٢، ص ٦٣.

(٢) المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٦٧، وابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ٩.

(٣) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١١٧ - ١١٨، ١٣٢.

(٤) أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٧٧، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٦٤٢، وابن كثير:

البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٧١.

وفي هذه السنة سافر الملك المسعود بن الملك الكامل الأيوبي صاحب اليمن إلى اليمن بعد أن سأل أن يقيم بمصر في خدمة والده الملك الكامل، وتسلم اليمن بأمر السلطان الكامل فلم يوافق السلطان على ذلك.

[٦٩-ظ] وفيها بعد وفاة الأمير الجعبري^(١) والي دمشق ولي الملك المعظم صاحب دمشق الخادم شبل الدولة^(٢) المعظمي ولاية دمشق، وفيها عاد عماد الدين وزير الجزيرة من جواب رسالة من مصر.

ذكر منازلة الملك المعظم صاحب دمشق حمص وقدم الملك الأشرف إلى أخيه المعظم

لما اتفق الملك المعظم بن الملك العادل صاحب دمشق والسلطان جلال الدين بن خوارزم شاه صاحب مملكة عراق العجم وبلاد أذربيجان والملك مظفر الدين بن زين الدين صاحب أربل وصاروا يدا واحدة وقع الاتفاق بينهم على أن يقصد مظفر الدين صاحب أربل الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ويبعث في بلاده وبحصرها، ويقصد جلال الدين خلاط وأعمال الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية ليشغل كل منها بنفسه، ويقصد الملك المعظم حمص وحماه ويحاصرها، وكان الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين

(١) أبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ١، ص ٣٩٦، ١٥١، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٦٤٢.

(٢) هو شبل الدولة كافور الحسامي انظر: أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٥٠، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٦٤٢، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١٠٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١١٦.

شيركوه^(١) صاحب حمص، والملك الناصر قليج أرسلان بن الملك المنصور صاحب حماه والحلبيون كلهم ينتمون إلى خدمة الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية، ولم يكن أحد من البيت الأيوبي منتميا إلى الملك المعظم صاحب دمشق إلا الملك الأمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه بن والد الملوك نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان صاحب بعلبك والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن والد الملوك نجم الدين أيوب [٧٠-و] الأيوبي صاحب بصري والسواد والملك العزيز عثمان^(٢) بن الملك العادل وكان هاذان ملازمين خدمة أخيهما الملك المعظم صاحب دمشق لا يفارقانه والذي قوي طمع الملك المعظم أن أخاه الملك الكامل صاحب الديار المصرية كان خائفا من جنده إذا خرج من مصر بعساكره وأرسل إليه الملك المعظم مرارا تقول له^(٣) وإن قصدتني لا آخذك إلا بعسكرك، فوقع عند الملك الكامل وهم من ذلك، ولم يجسر الخروج من مصر فصمم الملك المعظم صاحب دمشق عزمه على قصد حمص وحماه ورأى البداية بحمص فسير أولا جماعة من عرب دمشق فأغاروا على حمص فنهبوها وأحرقوها.

(١) ناصر الدين محمد: هو محمد بن أسد الدين شيركوه بن مروان ابن عم السلطان صلاح الدين صاحب حمص توفي سنة ٥٨١ هـ ١١٨٥٩ م انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٨٠ رقم ٥٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢١ ص ١٤٣ رقم ٧٢.

(٢) توفي أثناء حصار حصن كيفا سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣١ م انظر: أبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥ ص ٢٤٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ٥ ص ٩٠.

(٣) انظر: المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٦٧.

ووصل من جهة الملك الأشرف الأمير مانع بن حديثة أمير آل فضل^(١) في جموع كثيرة من العرب لإنجاد الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص فانهبوا قرى المعرة وحماه وقسموا البيادر^(٢) ولم يودوا عنها لأحد ثم خرج الملك المعظم من دمشق في عساكره ولما وصل إلى حمص، اندفع مانع وعرب حلب والجزيرة إلى قنسرين ثم نزلوا قرى حماه^(٣) ثم تركوا أثقالهم أو أظعانهم بمرج دابق^(٤)، وساروا جريدة إلى أرض حمص، ف وقعت بين عرب مانع وعرب دمشق عدة وقعت، وجرد الأتابك شهاب الدين طغرل عسكراً من حلب واتفق عند وصولهم^(٥) وصول عسكر الملك المعظم فتواقعوا واقتتلوا، ثم دخلوا^(٦) إلى حمص وكان الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية نازلاً [٧٠-ظ] بالرفة وجاءه الخبر بحركة السلطان علاء الدين كيقباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقي صاحب بلاد الروم إلى جهة آمد وصاحبها الملك المسعود بن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق واستولى من بلاده على حصن منصور^(٧) والكنتين^(٨) [٧١-و] جلال الدين بن خوارزم شاه ووصل رسول

(١) آل فضل: هم بنو فضل بن ربيعة وهم عدة بطون من طي من القحطانية ومنازلهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة آخذين على شقي الفرات وأطراف العراق إلى البصرة، انظر: القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط بغداد ١٩٥٨، ص ١٠٦.

(٢) البيادر: جمع بيدر وهو الموضع الذي تدرس فيه الغلال، انظر: ابن منظور، (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب دار صادر، ط ٣ - ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ٥، ص ١١٤، وعاشور، سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط ٢، ١٩٧٦م، ص ٣٩٩.

(٣) وردت [فنزلوا إلى قرى حماه] انظر: ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٣ ص ١٩٧.

(٤) دابق: بكسر الراء، قرية قرب حلب، من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢ ص ٥١٤.

(٥) [إلى حمص] سقط سهواً.

(٦) [أي دخلوا الحلبيون] انظر: ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٩٧.

(٧) يقع حصن منصور في ديار مضر قرب سميساط انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٦ -

١٧٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٨.

رسول السلطان جلال الدين ومعه خلعة للملك المعظم صاحب دمشق فلبسها، ولما انقضى شهر رمضان من هذه السنة خرج الملك المعظم وأخوه الملك الأشرف إلى المرج منتزهين ومتصيدين وورد إليهما من حلب القاضي زين الدين بن الأستاذ نائب القاضي بهاء الدين ابن شدّاد^(٢) في قضاء حلب ومظفر الدين بن جُرديك، رسولين يطلبان تجديد الأيمان للسلطان الملك العزيز بن الملك الظاهر صاحب حلب ولأتاكبه شهاب الدين طغرل، ولما وصلا وجدا الملك الأشرف عند الملك المعظم قد أصبح كالتبع له لا يمكنه أن ينفرد عنه بأمر ولا يتجاسر؛ لكونه في قبضته على مخالفته في قليل ولا كثير ولا يتأتى له الانفراد عنه بسر يرفدها المراجعات بينهما وبين الأتابك مستمرة مدة شهرين إلى أن ورد خبر نزول السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه على خلاط كما سنذكره إن شاء الله تعالى^(٣).

وقال الشيخ محمد بن نظيف الحموي ما صيغته^(٤): كان المعظم قد أظهر خروجه إلى الصيد فورد عليه رسول صاحب أربل بأنني قد خرجت إلى الموصل فتخرج أنت إلى بقية البلاد تملكها، فقبل رأيه وتجهز من ساعته فلم يعد إلى دمشق وساق معه العسكر ونزل بظاهر حمص وتراسل هو والملك المجاهد صاحبها عدة طرق وبذل له جملة مثل بيسان ونابلس وغير ذلك وقال: ما أكلفك الحركة معي، بل بعض أولادك لا غير. فما وافقه ولا أجابه فلما أيس منه، خربوا البلد

(١) قلعة اسمها كختا وذكر أنها قلعة عالية البناء حصينة في أقاصي الشام بشرق حلب بينها وبين ملطية مسيرة يومين في طرف الحد الشمالي للشام على مرحلة من حصن منصور. ولعل كختا هي الكختين الواردة في المتن انظر أيضا ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٩٨، وأبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٦٢-٢٦٣، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٤، ص ١٢٠.

(٢) ابن شدّاد: هو بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع المعروف باسم ابن شداد جده لأمه، وقد توفي القاضي بهاء الدين بـ ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩ م وهو صاحب كتاب النوارد السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٨٠.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٩-١٨٠.

(٤) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٢٥-١٢٦.

ونهبوا القرايا [٧١-ظ] والغلال والمواشي وقطع الأشجار وخرب الطواحين، وفعلوا جهدهم هذا، وقد رتب الملك المجاهد صاحب حمص البلد أحسن ترتيب وشحنه خيلا ورجلا، ووصلته نجدة حلب ثم ترأسل المعظم والأشرف وكان الأشرف توجه إلى ماردين وغيرها من معاهدي المعظم فاتفق الحال بينهم على الاجتماع وكان الهيجاوي قد توجه رسولا إلى الشرق من عند المعظم من حمص، فوصل كتابه بوصول الأشرف ووصل كتاب الأشرف بخطه بذلك، فوقع التلقي على القريتين، وتوجه المعظم إليه، والتقى وتصيدا ورحلا إلى دمشق من غير تقرير حال.

وذلك في ثاني شهر رمضان من هذه السنة، ووصلت رسل حماه وحلب وحمص إليهما بدمشق وأقاموا عندهما مدة طويلة وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى. ^(١)

واشتهر عند الناس كلهم بدمشق أن الملك الأشرف معتقل مؤصى عليه من جهة الملك المعظم وأنه لا يطلقه حتى تأخذ منه جميع بلاده ولم يكن الأمر على ما ظنوه وإنما كانت ملازمته له ليساعده على أغراضه ثم استدعيا رسولي حلب وحلفا لهما ورجعا إلى حلب ^(٢).

وقال محمد بن نظيف الحموي حلف المعظم لحماه وحلب وما حلف بحمص ولا أزال نوابه عن قارا ^(٣) والنيل والوادي الشرقي ثم بعد مدة عاد المعظم والأشرف إلى الصيد بالمرسى والرسل ترد عليهما من الأطراف فوصل إليهما الزكي بن العجمي من جواب رسالة إلى الخوارزمي ووصل فلك الدين بن المسيري ^(٤) في جواب الخليفة ووصل أيضا المعين بن شيخ الشيوخ في

(١) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٢٧.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٨١.

(٣) قارا: قرية كبيرة تقع بين حمص ودمشق انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢.

(٤) توفي فلك الدين بن المسيري سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م انظر: غوثشالك: الملك الكامل، ص ٢٢٣.

جواب رسالته من عند الخليفة^(١)، كل هؤلاء وصولهم إلى المرسى وخرجت هذه السنة والملك الأشرف عند أخيه الملك المعظم بمنزلة الأسير ثم انتقلا إلى البلاد الغورية^(٢) يشنبا بها [٧٢-و] واشتدت ملازمة الملك الأشرف على قدومه على أخيه الملك المعظم واغتنم الملك المعظم قدوم أخيه عليه ليتمكن من المواءمة وموافقته على كل ما يؤثره ويريده ويمكنه من قصد حمص وحماه وتملكهما والملك الأشرف يداريه ويمغلطه ولا يمكنه مخاشنته لأنه كالأسير في قبضته وهما في الظاهر في غاية التصافي والتواد متحابان متعاشران على اللذات وهذا أيضا من محاسن هذا البيت الأيوبي وما تميزوا به على من تقدمهم من الملوك وهو أن يجتمع ملكان عظيمان كل منهما مالك إقليم عظيم ويصير إحداهما في قبضة الآخر وليس معه جند ولا عسكر ويكون بينهما في الباطن غاية التعادي والتنافس ثم لا يعدو القاهر منهما على المقهور ثم أنه يُطلقه ليمضي إلى بلاده والله أعلم. ^(٣)

ذكر بعض خبر تفليس ومسير السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه إليها وفتحها.

اعلم أن تفليس هذه مدينة عظيمة من أحسن البلاد وأحصنها وأمنعها، وكانت قبل الإسلام أعظم الثغور ضررا على مجاوريها من الفرس، فلما جاء الإسلام كانت في أول الإسلام من أعظم الثغور ضرراً على المسلمين ونكاية ثم ملكها المسلمون ولم تنزل في أيديهم إلى سنة خمس عشرة وخمسمئة فملكها الكرج واستولوا عليها، وكان السلطان في ذلك الزمان السلطان

(١) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٢٧.

(٢) الغور: يقصد غور الأردن أي القرى والأماكن الواقعة بين بيت المقدس ودمشق، وهو أرض منخفضة شديد

الحر يجري فيه نهر الأردن انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٧، ج ٣، ص ٨٢٢.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤، ص ١٨١.

محمود بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي [٧٢-ظ] وكان من أعظم السلاطين السلجوقية شأنًا وأوسعهم مملكة وأكثرهم عساكر وكانت بيده مملكة بغداد والخليفة تحت حكمه والعراق كله وبلاد الجبل^(١) المسماة عراق العجم وأصفهان وهمذان والري وغيرها ومملكة خوزستان وأذربيجان وأرمينية وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وغير ذلك وعمه السلطان سنجر صاحب خراسان وغيرها وبالجملية معظم البلاد الإسلامية كانت بأيديهم كما قدمنا شرحه، ومع هذا فملك الكرج تغليس ولم يقدر على دفعهم عنها، وجمع السلطان محمود العساكر سنة سبع عشرة وخمسة وسار إلى الكرج فلم يقدر^(٢) على دفعهم عن تغليس .

كما سبق ذكر ذلك ثم لما ملك بعد السلطان محمود السلطان مسعود السلجوقي وهو الذي كسر عسكر الخليفة المسترشد بالله العباسي وقبض عليه وعمل على قتله كما قدمنا شرحه، ثم خلع الخليفة الراشد بالله بن المسترشد بالله وتملك بغداد وولي فيها المقتفي^(٣) لم يُقدم على الكرج ولم يقدر على استنقاذ تغليس منهم، ثم لما زالت مملكة السلاطين السلجوقية ببلاد العجم وملك إيلدكز أحد مماليكهم عراق العجم وأذربيجان وأران وأطاعه صاحب فارس وصاحب خوزستان.

وشاهنشاه^(٤) صاحب خلاط حشد الكرج وجمع ، وكان قصاره أن يتخلص^(١) منهم ثم ملك بعده ابنه البهلوان محمد ثم ابن البهلوان مظفر الدين أوزبك وكانت البلاد كلها عامرة في يد أولئك

(١) بلاد الجبل: هي التي تسمى عراق العجم وهي البلاد الواقعة بين أذربيجان من الغرب وخوزستان، وقسم من بلاد العراق من الجنوب ومن الشرق مفازة خراسان وفارس ومن الشمال بلاد الديلم وقزوين. انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان ، ص ٤٠٨ ، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ، ص ٣٦٦ .

(٢) السلطان محمود ابن ملكشاه انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٨٢ .

(٣) المقتفي لأمر الله انظر ما سبق ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١ ، ص ٥٨ - ٦٨ .

(٤) يقصد «شاه أرمن» وهو لقب حكام خلاط انظر: زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ج ٢ ، ص ٣٤٨ .

كلهم ثم جاء التتار كما قدمنا شرحه وخزبوا البلاد وزادها [٧٣-و] الكرج خرابا وضعفا فقدر الله سبحانه وتعالى أن السلطان جلال الدين منكبرتي بن علاء الدين محمد بن خوارزم شاه كسر الكرج تلك الكسرة العظيمة التي قدمنا ذكرها وكان الكرج لما ملكوا تغليس أبقوا من فيها من المسلمين وأذنوا لهم في إقامة شعائر الإسلام فكانت الجمع تُقام فيها ويعلم بالآذان^(١) ومع هذا فكان من فيها من المسلمين يتمنون أن يستنقذها الله تعالى من الكفار.

فلما غزا السلطان جلال الدين الكرج وكسرهم وعاد عنهم كما قدمنا شرحه جمعوا بعد ذلك وحشدوا وجمعوا خلقا من الأمم المجاورة لهم، وهم آلان^(٢) واللكز^(٣) والققجاق، واجتمعوا في أمم لا تُحصى، فلقبهم السلطان جلال الدين رحمه الله تعالى وقد رتب لهم الكمائن في عدة مواضع والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فولت الكرج لا يلوي أحد منهم أحد وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب فلم ينج منهم إلا الشاذ اليسير، وأمر السلطان جلال الدين أن لا يبقوا على أحد منهم فتبعوا المنهزمين يقتلونهم، وأشار على جلال الدين أصحابه بقصد مدينة تغليس فإنها كرسي مملكتهم فقال: " لا حاجة لنا أن نقتل رجالنا تحت الأسوار وإنما إذا فنيت الكرج أخذنا بلادهم صفوا عفوا" ، فلم يزل^(٤) يتبعهم ويستقصي في طلبهم حتى كاد يأتي عليهم، ثم قصد تغليس ونزل بالقرب منها ثم سار في بعض الأيام بطائفة من العسكر لينظر إليها ويبصر مواضع النزول عليها وكيف يقاتلها فلما قاربها كمن أكثر العسكر الذين معه في عدة مواضع ثم تقدم

(١) وردت [أن يخلص منهم] ووردت هذه الجملة كما يلي: [وكان قصده أن يخلص منهم تغليس فلم يقدر على ذلك]، والصيغة المثبتة من ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٢ ، ص ٤٥٣ .

(٢) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٨٢-١٨٣ .

(٣) اللان: شعب يسكن في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورة لبلاد الخزر وهم نصارى انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥ ، ص ٨-٩ .

(٤) اللكز: قبيلة تسكن بالقرب من مدينة دربند انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥ ، ص ٩ .

(٥) [أي جلال الدين] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٨٤ .

إليها في نحو ثلاثة آلاف [٧٣-ظ] فارس فلما رآه من بها من الكرج طمعوا فيه لقلّة من معه ولم يعلموا أنه في ذلك الجمع فخرجوا من المدينة إليه وقاتلوه فتأخر عنهم فقوي طمعهم فيه وظنوه منهزماً فتبعوه فلما توسطوا الكمين خرجوا عليهم وبذلوا فيهم السيف فقتل أكثرهم، وانهزم الباقون إلى المدينة فدخلوها وتبعهم المسلمون فلما وصلوا إليها نادى المسلمون من أهل تفليس بشعار الإسلام وشعار السلطان جلال الدين رحمه الله تعالى فأبقى الكرج بأيديهم واستسلموا، ودخل المسلمون والسلطان جلال الدين مدينة تفليس قهراً وعنوة في ثامن شهر ربيع الأول من شهور هذه السنة بغير أمان وقتل كل من فيها من الكرج ولم يبق السلطان جلال الدين على كبير ولا صغير إلا من أذعن بالإسلام وأقرّ بكلمة الشهادة فإنه أبقى عليهم وأمر بهم فختنوا، ونهب المسلمون الأموال وسبوا النساء والأولاد، لكن وصل إلى المسلمين المقيمين بتفليس بعض الأذى من قتل ونهب وغير ذلك من العسكر وهم مع ذلك فرحين بفتح تفليس مستبشرين.

وحكى الشيخ ظهير الدين التفليسي رحمه الله وكان يحضر فتح السلطان جلال الدين تفليس قال:

كان الرجل من أهل تفليس يقول لأولاده عند وفاته^(١) إذا فتح الله تعالى تفليس على المسلمين فقفوا عند قبري وقولوا إنّ الله تعالى من فتح تفليس على المسلمين فلما افتتحها السلطان جلال الدين كان أحدهم يمضي إلى قبر والده ويقول عند قبره كما أمره به والله أعلم.

[٧٤-و]

(١) ابن واصل: مفرج الكرب، ج ٤ ، ص ١٨٤ - ١٨٥.

ذكر مسير السلطان جلال الدين إلى كرمان لعصيان نائبه ورجوعه

كان السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه قد عزم على قصد خلاط وأخذها من الملك الأشرف بن الملك العادل صاحب البلاد الشرقية لما قدمنا شرحه من مكاتبة الملك المعظم صاحب دمشق إليه بذلك، فصمم عزمه على ذلك، وتوجه إليها، فبلغه في جمادى الآخرة من هذه السنة أنّ الأمير بلاق^(١) حاجب نائبه بكرمان قد عصى عليه ونزع يده من طاعته وطمع في تملكها لبعد السلطان جلال الدين عنه واشتغاله بحرب الكرج وغيرهم، وأرسل إلى التتار يُعرفهم قوة السلطان جلال الدين واستيلائه على كثير من البلاد وأنه أن أخذ الباقي عظمت مملكته وكثرت عساكره "وسار إليكم واستعاد ما بأيديكم من البلاد" فلما تحقق السلطان جلال الدين ما فعله نائبه بكرمان عدل عن قصد خلاط وسار يطوي المراحل إلى كرمان وأرسل بين يديه رسولا إلى نائبه بكرمان وعلى يده الخلع ليطمئن ويأتيه وهو غير محتاط ولا مستعد للامتناع، فلما وصل إليه الرسول^(٢) بذلك علم أن ذلك مكيدة من السلطان جلال الدين لما يعلم من عادته فأخذ^(٣) ما يعز عليه وصعد إلى قلعة حصينة فامتنع بها وجعل من يثق به من أصحابه في الحصون يمتنعون بها، وأرسل إلى السلطان جلال الدين يقول له: "إني أنا العبد المملوك، ولما سمعت بمسير السلطان إلى هذه البلاد أخليت لها لأنها بلاده ولو علمت أنه يُبقي عليّ لحضرت إلى بابي ولكنني أخاف منه" [٧٤-ظ] وحلف الرسول له أن السلطان جلال الدين بتقليس وهو لا يلتفت إلى قوله وعاد الرسول وعلم السلطان جلال الدين أنه لا يمكنه أخذ ما بيده من الحصون

(١) وردت [بلان] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٥٤.

(٢) [أي رسول جلال الدين] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ص ١٨٦.

(٣) [أي النائب] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٥٥.

لأنه يحتاج لحصرها إلى مدة طويلة فأقام^(١) بالقرب من أصفهان وأرسل إليه^(٢) الخلع وأقره على ولايته، وبينما الرسل تتردد بينهما، إذ وصل رسول وزيره الوزير شرف الملك - وكان بتفليس - يُعرفه أن عسكر الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية الذين بخلاط قد هزموا بعض عسكره وأوقعوا بهم ويحثه على العود إلى تفليس فعاد إليها مسرعاً^(٣).

وكان سبب الحرب بين عسكر الملك الأشرف وبين عسكر السلطان جلال الدين أن جلال الدين كان لما سار إلى كرمان ترك بتفليس عسكراً مع وزيره شرف الملك فقلت عليهم الميرة فساروا إلى أرزن الروم، فوصلوا إليها ونهبوا وسبوا النساء وأخذوا من الغنائم ما لا يُحصى وعادوا وكانت طريقهم على أطراف ولاية خلاط والنائب بخلاط عن الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية الحاجب حسام الدين علي، وهو أخص أصحاب الملك الأشرف فجمع العساكر وسار إليهم فأوقع بهم وهزمهم ، واستنقذ ما معهم من الغنائم وغنم كثيراً مما معهم ، وعاد هو وعسكره سالمين فلما فعل ذلك خاف شرف الملك وزير السلطان جلال الدين منهم فأرسل إلى السلطان جلال الدين وعرفه الحال وحثه إلى الوصول إليه وخوفه عاقبة التواني فعاد السلطان جلال الدين إلى تفليس كما قدّمنا شرحه والله أعلم^(٤).

ذكر منازل السلطان مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل الموصل ورجوعه عنها

(١) [أي جلال الدين] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ص ١٨٧.

(٢) [أي إلى نائبه بكرمان] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ص ١٨٧.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٨٧ - ١٨٨.

[٧٥-و] كنا ذكرنا مكاتبة الملك المعظم صاحب دمشق السلطان مظفر الدين واعتضاده به والتقدم اليه بمنازلة الموصل فتوجه مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل في جمادى الأولى^(١) من هذه السنة لقصد حصار الموصل ونزل الزاب وكان الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل قد ارسل إلى الملك الأشرف يستجد به ويطلب منه ان يحضر بنفسه إلى الموصل ويدفع عنها وكان الملك الأشرف إذ ذاك بالرقّة فسار منها إلى حران ومن حران إلى دنيسر فحرب بلد ماردين، ثم سار بعد ذلك إلى دمشق كما قدمنا ذكره^(٢) وأقام عند الملك المعظم إلى ان خرجت هذه السنة ولم يجسر مظفر الدين على منازلة الموصل وعلم عجزه عن ذلك فعاد إلى أربل بعد ان اخرب بعض اعمال الموصل وكان الغلاء شديداً فأجحفت هذه الواقعة بأهل البلاد^(٣).

ذكر حضر السلطان جلال الدين آني وقرس^(٤) من اعمال الكرج في شهر رمضان في هذه السنة. ^(٥).

سار السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه من تغليس بعد ان عاد اليها من بلاد كرمان، وقصد آني وبها إيواني مقدم الكرج في من بقي معه من أعيانهم فحصرهم، وسير طائفة من العسكر

(١) وردت [في جمادى الآخرة] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢ ، ص ٤٥٣.

(٢) عند ابن واصل: مفرج الكروب، ص ١٧٩.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٤) آني: قلعة حصينة ومدينة بأرض ارمنية بين خلاط وكنجة وقرس كتبها ياقوت الحموي وابن عبد الحق قرص مدينة بأرمنية من نواحي تغليس انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ابن عبد الحق: مرصد الاطلاع،

ج ١ ، ص ٦ ، ج ٣ ، ص ١٠٧٨.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٨٩.

إلى قرس، وهاتان البلدتان من أحصن بلاد الكرج فنازلهما ونصب عليهما المجانيق وجدّ في القتال عليهما واقام إلى بعد انقضاء شوال، ثم ترك العسكر عليهما يحصرونهما وعاد إلى تغليس ثم سار من تغليس مُجدّاً إلى بلاد أبخاز^(١) وبقايا الكرج[٧٥-ظ] فأوقع بمن فيها وقتل وسبى وغنم عساكره ما فيها وعاد إلى تغليس والله اعلم.

ذكر حصر السلطان جلال الدين خلّاط

وهو الحصر الأول لما رجع السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه من غزو الأبخاز سار مجدّاً إلى ملاذ كرت^(٢) من بلاد خلّاط فنازلها يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة من هذه السنة، ثم رحل منها فنزل على خلّاط وبها الحاجب حسام الدين على الموصلّي نائب الملك الأشرف بن الملك العادل، وقاتل أهلها قتالاً شديداً ووصل عسكره إلى سور المدينة وقتل بينهم قتلاً كثيرة ثم زحف إليها مرة ثانية وقاتل أهل البلد قتالاً شديداً فعظمت نكاية العسكر بأهل خلّاط، ووصلوا إلى سور البلد ودخلوا الربض^(٣) الذي له، ومدّوا أيديهم في النهب وسبي الحريم، فلما رأى أهل خلّاط ذلك حرص بعضهم بعضاً فعادوا إلى العسكر فقاتلوهم فأخرجوهم من البلد وقتل بينهم خلق كثير، وتربّل الحاجب حسام الدين علي ووقف في نحر العدو وأبلى بلاءً عظيماً، وأسر

(١) أبخاز: اسم ناحية من جبل القبق المتصل بباب الأبواب تجاور بلاد اللان يسكنها الكرج النصارى وهي إحدى مقاطعات جورجيا الجبلية وصعبة المسالك وعرة لا مجال للخيل فيها، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٦٤.

(٢) ملاز كرد: وتعرف أيضاً منازجرد ومنازكرد -كما ذكر ياقوت الحموي- وملاسكرد وملسجرد مدينة بأرمينية تقع إلى شمال بحيرة فان وفيها وقعت سنة ١٠٧١ وقعة فاصلة مشهورة بين السلاجقة والبيزنطيين، أسر فيها الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع (ديوجينيس)، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٢، ج ١ ص ٧٠٨.

(٣) الربض: ما حول المدينة أو الضاحية من بيوت ومساكن انظر: ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ص ٢٠٢.

عسكر السلطان جلال الدين من أمراء خلاط جماعة وقتل منهم كثير، ثم استراح جلال الدين عدة أيام، وعاود الزحف مثل أول يوم فقاتله أهل خلاط حتى ابعدوا عسكره عن البلد، فأقام جلال الدين محاصراً لخلاط إلى أن اشتدَّ البرد ونزل الثلج فرحل عنها لسبع بقين من ذي الحجة آخر شهور هذه السنة، وكان سبب رحيله مع خوف الثلج ما بلغه من فساد التركمان الإيوانية، كما سنذكره إن شاء الله تعالى وقال بعض أهل التاريخ في أواخر سنة ثلاث وعشرين^(١) وصل عسكر الخوارزمي إلى خلاط وحصروها وهجموها وبلغوا إلى سوق الدقيق، وكان الحاجب على ميمنتها في حين اخذها الأشرف من أحياء المظفر غازي فأخرجوه منها عنوة ورحلوا عنها بعد جوابه لشروط أهل خلاط هم الذين استدعوا الخوارزمي ليسلموها إليه ثم عادوا عن قولهم فعاد الحاجب علي بعد رحيل الخوارزمي وحصن خلاط بجميع ما أمكن من مؤن وخيل ورجال والله اعلم^(٢).

[٧٦-و] في هذه السنة مرض الملك المعظم صاحب دمشق مرضة شديدة وأرجف عليه بموته في الشام وجميع الساحل، وعنده يومئذ رسول الخوارزمي قاضي الممالك فلما أبل من مرضه تكلف الناس من الأمراء والعوام وزينوا أتم زينة وأجملها في الدروب والأسواق والقلعة وأبواب البلد عشرة أيام بلياليها، وردت عليه الرسل بالهناء من البلاد، وسيّر كاتبه إلى عكا يعرفهم عافيته، ولما ووردت رسل الخليفة الظاهر كان في عقيب ذلك مرضه، وعجز عن تلقيهم فسيّر أخوته العزيز والصالح وعامة الخلائق لتلقيهم فوصلوا وأقام لهم بأعظم إقامة، وحمل نفسه إلى عندهم. . . . ولبس الخلعة وركب بها في البلد وفيها وصل رسول كبير من عند الخوارزمي وأخلع على الملك المعظم خلعة فاخرة، وأضاف إلى السنجق حربيتين من حرايه وبعض سيوفه.

(١) ابن نطف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٠.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٩٠ - ١٩١.

فصار الملك المعظم يركب بسنجد الخليفة وسنجد الخوارزمي بمحضر من رسل الخليفة والحراب أيضاً^(١).

ذكر بعض خبر أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله محمد العباسي الهاشمي وسيرته ووفاته

هو محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي الهاشمي، يكنى أبا نصر^(٢)، ولي الظاهر بأمر الله بعد وفاة والده في أواخر شهر رمضان وأوائل شوال سنة اثنين وعشرين وستمئة كما قدمنا شرحه ، وكان إماماً عادلاً متواضعاً مُحباً إلى الرعية جداً، وقيل كان حسن السيرة عادلاً كريماً كثير البر والصدقات كارهاً للظلم، فقال (٧٦-ظ) انه أعاد على التجار والرعايا والأموال التي كان والده الناصر لدين الله اخذها منهم ، وكان من جملتهم رجل تاجر عجمي قد أخذ منه الإمام الناصر ثلاثين ألف دينار فرسم الإمام الظاهر أن تعاد عليه فامتنع من أحدها، وقال هذه قد خرجت عنها وجعلتها في سبيل الله ما بقيت برسم الإمام الظاهر أن يتصدق بها عن صاحبها التاجر العجمي، وأن يجعل والده الإمام الناصر في حل ولعمري ان هذه سيرة فاضلة ونفس شريفة، لكن كانت مدته لطيفة ، وقال الشيخ محمد بن نظيف كان الظاهر ورعاً عادلاً ديناً حسن السيرة وفي زمانه ترك الحقوق وأعاد على الناس ما اخذ في زمن ابيه من مال وملك وغيره وطابت القلوب به، وكان الخليفة الظاهر رحمه الله تعالى قبل وفاته قد اخرج توقيعاً إلى الوزير بخطه ليقرأه على أرباب الدولة، وقال الرسول بحضرة

(١) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥ ، ص ١٠٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١١٢، والياضي: مرآة الجنان، ج ٤ ، ص ٥٦، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦ ، ص ٢٦٦، والذهبي: العبر، ص ١٩١.

الوزير أمير المؤمنين يقول: "ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم أو نُفَذ مناك ثم ولا يُبين له أثر بل أنتم إلى إمام فعالّ احوج منكم إلى إمام قوال" ثم قرى عليه التوقيع ونسخته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{اعلموا أنه ليس امهالنا إهمالاً، ولا إغضاؤنا اغفالاً، ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملاً، وقد عفونا لكم ما سلف من إخراج البلاد، وتشريد الرعايا، وتقبيح السمعة، وإظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاءً واستدراكاً لأغراض انتهزتم فرصتها مختلسة من براثن ليث باسل، وأنياب أسد مهيب تتفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد، وأنتم أمناؤه [٧٧-و] وثقاته، فتميلون رأيه إلى هواكم، وتمزجون باطلكم بحقه، فيطيعكم وأنتم له عاصون، ويوافقكم وأنتم له مخالفون، والان فقد بدّل الله سبحانه وتعالى بخوفكم أمناً وبفقركم غنى، وبباطلكم حقاً ورزقكم سلطاناً يقيّل العثرة ويقبل المعذرة، ولا يؤاخذ إلا من أصرّ، ولا ينتقم إلا ممن استمر، يأمركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور، وهو يكرهه، لكم يخاف الله تعالى، فيخوفكم مكره، ويرجوا الله تعالى ويرغبكم في طاعته فإن سلكتم مسالك خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه وإلا هلكتم والسلام} (١).

ومن مآثره الحسنة الجليلة أنه أعاد من الاملاك المغصوبة في أيام أبيه وقبلها شيئاً كثيراً وأطلق المكوس في سائر البلاد، وأمر بالاقتصار على الخراج القديم في جميع البلاد، وان يسقط جميع ما جدّده أبوه، فكان كثيراً لا يَحصى، فمن ذلك ان القرية المعروفة ببعقوبا كان يؤخذ منها كل سنة عشرة آلاف دينار، فلما ولي أبوه الناصر لدين الله الخلافة كان يؤخذ منها كل سنة ثمانون ألف دينار فحضر اهلها واستغاثوا، وذكروا ان املاكهم قد أخذت لأنه لا يتحصل منها هذا

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤١٣-٤١٤.

المبلغ، فأمر^(١) بأن يقتصر على الخراج الأول وهو عشرة آلاف دينار، وأطلق لهم سبعون ألف دينار فإذا كان هذا القدر العظيم قد أُطلق من قرية واحدة فما الظن بباقي البلاد؟ ولما فعل الخليفة الظاهر بأمر الله ذلك تصور اصحاب الديوان الخيفتي وقالوا: " ان هذا القدر يصل إلى المخزن فمن أين يكون العوض؟ " فأقام لهم العوض من جهات اخرى ومن ذلك، [٧٧-ظ] أن المخزن هو بيت المال كان له صنجه يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس فسمع بذلك امير المؤمنين الظاهر بأمر الله فخرج توقيعه إلى الوزير وأوله {ويل للمطففين الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون، ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين}^(٢) وقد بلغنا كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن إلى الصنجة التي يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى، فكتب إليه بعض اصحاب الديوان يقول: هذا مبلغ [عظيم]^(٣) وقد حسبناه، فكان في السنة الماضية خمسة وثلاثين ألف دينار، فأعاد الجواب ينكر على القائل: " لو أنه ثلاثمئة ألف وخمسون ألف دينار يطلق"، وكذلك فعل أيضاً في إطلاق الصنجة التي للديوان، وهي في كل دينار^(٤) حبة، ومن ذلك أنه رضي الله عنه أمر القاضي بأن كل من عرض عليه كتاباً صحيحاً بملك أخذ منه يعيده إليه^(٥) ولايراجع فيه ومن ذلك انه اقام رجلاً حنبلياً في ولاية الحشري^(٦) وبيت المال فكتب اليه: " إن

(١) [أي الظاهر بأمر الله].

(٢) المطففين الآية ١ - ٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٤٢.

(٤) الحبة هي ١/٧٢ من الدينار.

(٥) وردت [يعيده اليه من غير إذن] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٤٢.

(٦) ولاية الحشري وظيفة يتولى صاحبها النظر في شئون أموال الحشريين وهم الذين يتوفون بلا وارث شرعي وكذلك أموال المتوفين الذين يتركون ورثة لا يستحقون كل الميراث، انظر ابن مماتي (أسعد بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن نينا شرف الدين، ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م): قوانين الدواوين، تح: عزيز سوريال عطية، القاهرة

من مذهبي توريث ذوي الارحام، فإن أذن أمير المؤمنين أن أفعل ذلك وليت وإلا فلا" ، فكتب إليه الخليفة رضي الله عنه " أعط كل ذي حق حقه واثق بالله ولا تتق سواه " .

وكانت العادة جارية في بغداد أن حارس كل درب يبكر ويكتب مطالعة إلى الخليفة بما تجدد في دربه من اجتماع بعض الاصدقاء ببعض على نزهة أو سماع أو غير ذلك، ويكتب ما سواه من صغير وكبير، فكان الناس من هذا في حجر عظيم، فلما ولي أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله رحمه الله الخلافة أتمته المطالعات، [٧٨-و] على العادة فأمر بقطعها، وقال " أي غرض لنا في معرفة أحوال الناس في بيوتهم، فلا يكتب أحدٌ إلينا إلا بما يتعلق بمصالح دولتنا" ، فقليل له: إنَّ العامة تفسد بذلك ويعظم شرها فقال: " نحن ندعو الله أن يصلحهم " ، وكان لما ولي الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط ، وكان قد سار إليها في أيام والده الخليفة الناصر لدين الله لتحصيل الاموال فلا وصل بغداد وصل مقدماً يزيد على مائة ألف دينار، وكتب مطالعة للخليفة الظاهر بأمر الله تتضمن إعلامه بما احضره ويستخرج الامر في جملة فخرج الجواب من الخليفة الظاهر بأن يعاد المال إلى اربابه ولما ولي الظاهر الخلافة اخرج كل من كان في الحبوس وأمر بإعادة ما اخذ منهم وبعث إلى القاضي عشرة الاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس بحبس الشرع الشريف وليس له مال واطلق في ليلة عيد النحر^(١) من سنة اثنين وعشرين وستمئة السنة الماضية ، ولم يشهد عيداً في خلافته سواه - مئة ألف دينار

٣١٩م، ص ٤٦٤، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٤، وربع (حسنين محمد ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م):

النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٤٧.

(١) عيد النحر هو عيد الأضحى وردت [عيد الفطر] انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٤٤.

للعلماء وأهل الدين^(١) من الفقراء وعوقب رضي الله عنه في بذل الأموال التي لم يبذلها خليفة قبله قال: أنا فتحت دكانا بعد العصر فأتركوني أفعل الخير [فكم أعيش]^(٢).

توفي الخليفة الظاهر بأمر الله رحمه الله تعالى في رابع عشر شهر رجب الفرد من شهور سنة ثلاث وعشرين وستمئة هذه السنة ببغداد ، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً، وقيل كانت مدة خلافته تسعة أشهر [٧٨-ظ] وتسعة أيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة لتتمه ستمئة اثنين وعشرين سنة وستة أشهر وأحد عشر يوماً للهجرة ، ولا يعرف أنه ولي الخلافة من بني العباس.^(٣)

لمّا توفي أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله ولي بعده ولده الأكبر أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو جعفر المنصور، وأقام بها أقصر مدة من الخليفة الظاهر كما انه لم يكُ منهم أطول مدة من أبيه فقد تباعد في هذا الأمر إلى الغاية كما تباعد في غيره فإنّه كان في غاية الحد كما كان أبوه في غاية العسف وكان متعصباً جداً لمذهب أهل السُنّة كما كان أبوه متعصباً جداً لمذهب الروافض^(٤) والله أعلم.

(١) ورد [وُفرق في العلماء وأهل الدين مائة ألف دينار] وفي نسخة «مئة ألف دينار للصدقة ومئة ألف دينار أخرى للعلماء وأهل الدين» انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٤٤، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٩٦.

(٢) وردت [فكم أعيش] سقط انظر: ابن الأثير الكامل، ج ١٢، ص ٤٤٤.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٩٣-١٩٦، وابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١١٦.

(٤) الروافض: هم الغلاة في حب علي بن أبي طالب وبغض أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وبعض الصحابة ، وسموا رافضة؛ لأن زيد بن علي بن الحسين امتنع من لعن أبي بكر وعمر، وقال: «هما وزيرا جدي محمد ﷺ» فرفضوا رأيه ومنهم من قال: لأنهم رفضوا رأى الصحابة حيث بايعوا أبا بكر وعمر. وقد اختلف الروافض في الإمامة اختلافا كثيرا وانقسموا إلى فرق كثيرة انظر: ابن طاهر البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي ت ١٠٣٧م/ ٤٢٩هـ): الفرق بين الفرق، ص ١٨، ٢٢-٤٤

ذكر خلافة أمير المؤمنين المستنصر بالله بن أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله العباسي

الهاشمي

وهو السادس والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، وهو السابع والخمسون بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكان جدّه الخليفة الناصر لدين الله يسميه القاضي، وكان للظاهر بأمر الله ولد آخر يلقب بالخفاجي عنده شهامة عظيمة وشجاعة، وأظن أنه بقي حياً إلى أن ملك التتار بغداد وقتل مع من قتل من بني العباس رضي الله عنهم، وكان جديراً بالخلافة بعد موت أخيه المستنصر بالله لكن لما ناداه الله عز وجل عدلوا عنه إلى المستعصم بن المستنصر على ما نذكره إن شاء الله تعالى، بويع للمستنصر بالله بالخلافة وعمره عشرون سنة^(١).

ولما وليّ المستنصر بالله الخلافة سلك في العدل والإحسان، [٧٩و] مسلك أبيه أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله وأمر فتوذي ببغداد بإفاضة العدل، وأن من كانت له حاجة أو مظلمة، يطالع بها لتقضى حاجته وتكشف مظلمته فلما كانت أول جمعة أتت على خلافته أراد أن يصلي الجمعة في المقصورة التي جرت عادة الخلفاء بالصلاة فيها فقبل له إن المطبق^(٢) الذي يسلك فيه إليها خراب لا يمكن سلوكه، فركب فرسا وسار إلى جامع القصر ظاهراً بحيث يراه الناس بقميص أبيض وعمامة بيضاء بسكاكين حرير^(٣) ولم يترك احداً يمشي

والمقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٣٥١، وعن الأمامية انظر: الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد): الملل والنحل، تح: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م مؤسسه الحلبي، ط ٢، ص ٣٢٤ - ٣٦٢.

(١) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ١٣٧.

(٢) المطبق: هو السجن المقام تحت الأرض لأنه أطبق على من فيه ويبدو أنه هنا بمعنى طريق تحت الأرض، انظر: الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى): تاج العروس، دار الهداية، ج ٦، ص ٤١٧.

(٣) المقصود أن طرف العمامة من الحرير المشرشر كالسكاكين انظر: ابن الأثير، ج ١٢، ص ٤٥٨.

معه بل أمر كل من أراد المشي معه من أصحابه بالصلاة في الموضع الذي كان يصلي فيه وسار ومعه خادمان وركاب دار لا غير^(١)، وصلّى وعاد، وكذلك فعل في الجمعة الثانية حتى أصلح له المطبق.

ولما توفي الخليفة الظاهر بأمر الله وولي الخلافة المستنصر بالله وردت إليه رسل ملوك الأطراف مهنيين له بخلافته ومعزين له عن والده الظاهر بأمر الله^(٢)، وممن قدم في هذا المعنى معين الدين بن شيخ الشيوخ رسولاً من الملك الكامل بن الملك العادل صاحب الديار المصرية، والكلمات التي قالها معين الدين بين يدي الوزير مؤيد الدين نيابة عن الملك الكامل "عبد الدولة المقدسة النبوية المستنصرية يُقبل العتبات التي يستشفى بتقبيل ثراها ويستكفي بتمسكه من عبوديتها بأوثق عراها، ويوالي شكر الله تعالى على إمّاطة ليل العزاء الذي عمّ مصابه بصبح الهناء الذي تمّ نصابه حتى تزحزح عن شمس الهدى شفق الإشفاق، فجعل الله كلمتها العليا، وكلمة معاديبها السفلى وزادها شرفاً في الآخرة والأولى".

(١) الركا بدارية أو الركيدارية: هم الذين يحملون الغاشية في المواكب الكبيرة رافعين لها يلفتونها يمينا وشمالا والركيدار: هو الذي يتبع بيت الركائب الذي تحفظ فيه السروج واللجم ونحوها كما أنه كان يحمل الغاشية وهي سرج من جلد مخروز بالذهب يخالها الناظر أنها كلها من الذهب تحمل بين يدي السلطان ويكون مستورا بها في المواكب الحافلة كالأعياد وتجاريد السلطان عند فتح البلدان أو النصر على العدو . انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ، ص ٧، ١٢، والخطيب البغدادي: معجم المصطلحات التاريخية، ص ٣٢٩، وابن طولون (محمد بن طولون الصالحي الدمشقي): إعلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك دمشق الشام الكبرى، تح: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، ط ٢، دمشق ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م، ص ٢٨٤، وعاشور، سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي، ص ٤٢٠، ودهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص ٨٣، ص ١١٥.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٩٧ - ١٩٨.

ثم قعد ثم سِيرَ الملك [٧٩-ظ] الأشرف بن الملك العادل صاحب البلاد الشرقية إلى الإمام المستنصر بالله للهنا والعزاء فلك الدين بن المسيري المصري فأكرم غاية الاكرام، ثم سِيرَ المعظم ناصر الدين بن أيمر.

وممن قدم أيضاً في هذا المعنى ضياء الدين أبو الفتح بن الأثير الجزري^(١) رسولاً عن الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وكان قد اتصل بخدمته لما فارق مخدومه الملك الأفضل^(٢)

ولما حضر الديوان قال: ^(٣) [الطويل]

ما لَّيْلٍ والنَّهَارِ لَا يَعْتَذِرَانِ وَقَدْ عَظُمَ حَادِثُهُمَا
وما لِلشَّمْسِ والقَمَرِ لَا يَنْكَسِفَانِ وَقَدْ قُفِدَ ثَالِثُهُمَا
فيا وحشة الدُّنْيَا وكانت أنيسة ووحدّة من فيها لمصرعٍ واحدٍ
وذلك الواحد هو سيدنا ومولانا الإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين الذي كانت ولايته رحمة للعالم، واختير من أرومة النبي الذي هو سيد ولد آدم، فذمته موصولة بذمته وهو شقيقه في نسبه وخليفته في أمته، ولقد وقف على السنن وأتى بالحسن وحمدت الأيام في زمنه فلم يشك أحد من الزمن، ومما عظم الرزية أنه أتى عقيب رزه، أنه وصل فجعه بفجعة، وكان يستهول أحدهما وهو وتر، فشفع الوتر بشفعه، فيا ويح الإسلام، فُجِعَ أمس بناصره، وفجع الآن

(١) هو صاحب كتاب "المثل السائر" وغيره توفي سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م.

(٢) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١١٨ - ١١٩.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٩٨ ووردت باختلاف عند الذهبي انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٤٤، وابن الساعي (علي بن أنجب ت ٦٧٤هـ / ١٢٥٠م): تاريخ ابن الساعي، تح: محمد عبد الله القدحات، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م ج ٩، ص ٣٢٠، والسيوطي: تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٣٢٥، والمكي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي ت ١١١١هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٥١٣.

بظاهره، وقرب الوقت بينهما حتى كاد يغمر أوله بآخره فلم تفق النفوس من برحائها حتى وافى ما طوى مضضاً على مضض، ووقع ذلك موقع نكسة عطفت على مرض، ونكا القرع بالقرع أوجع، وذهاب فرع العلياء بعد أصله ذهاب بالعلياء أجمع، وكلا هذين الرزين رمى الناس بسهم غائر ليس عليه من صابر، [٨٠- و] ما كان الله ليسوء دينه بمصاب خليفتين، ولا يجلو ظلمته بصباح سافر.

وقد جاء سيدنا ومولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين فأرضي به كل قلب سخط ولم يرض، وقيل هذا بدل الكل من الكل لا بدل البعض من البعض، وكان الناس على خطر من انتقاض أمرهم، فأبيح لهم إبرام ذلك النقض ونسي ما تقدم من البرح^(١)، ودمل ما أعضل من القرع، ولئن عظم الأسف على ليلتين مضيتا برامه، لقد سألت عنهما ليلة السفح والعبد قائم بهذا المقام وقلبه مقسم للعزاء شطراً، وللهناء شطراً فإذا نطق بهذا أسبل دمعاً، وإذا نطق بهذا أبدى ثغراً، وهو نائب عن مرسله في أخذ البيعة التي يد الله فوق يدها، والسابق إلى يومها أفضل من المتأخر إلى غدها، وهي التي تجملت بحسنها أقلام الكرام السفرة، وجعلها الله معدودة في بيعة العقبة وبيعة الشجرة، ولها يصح قول القائل: ^(٢)

وبيعة من قلوب غير شاردة ما كان في عودها ضعف ولا خور
لو أنها لعتيق^(٣) لم يمت حسرا سعد^(١) ولا قال كانت فلتة عمر

(١) البرح: الشدة والشر انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ١، ص ٢١٣.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤، ص ٢٠٠.

(٣) أبو بكر المغربي الواعظ المعروف بالبكري كان من غلاة الأشاعرة ودُعاهم. هاجر إلى باب نظام الملك، الملك، فنفق عليه انظر: انظر عن (عتيق) في: المنتظم ٩/ ٣، ٤ (في حوادث سنة ٤٧٥ هـ) (١٦/ ٢٢٤، ٢٢٥)، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٢٤ - ١٢٥، والذهبي: العبر، ج ٣، ص ٢٨٤ -

وكذلك فإن العبد ينهي طاعة مرسله التي جعل يومه فيها كأسمه، وزاد في مباني الإسلام فهو يبنى بها على ستة لا على خمسة، وقد أعدها في الدنيا معقلاً يكتن بذراه، وفي الآخرة عتادا صالحاً يسره أن يراه انتهى.

لقد أبدع ضياء الدين-رحمه الله- في هذا القول وسلك في مزج التهنة بالتعزية مسلك أبي نواس^(٢) الشاعر المشهور حيث يقول في التهنة بولاية أمير المؤمنين الأمين محمد بن أمير المؤمنين هارون الرشيد العباسي، والتعزية بأبيه هارون الرشيد رحمه الله تعالى: [٨٠-ظ]^(٣)

جرت جوار بالسعد والنحس	فنحن في وحشة وفي أنس
يضحكها القائم الأمين ويكيها ^(٤)	وفاة الرشيد بالأمس
العين تبكي والسن ضاحكة	فنحن في ماتم وفي عرس
بدران: بدر بدا ببغداد في الحل	وبدر بطوس في الرسم

وفي هذه السنة ورد رسول من سلطان سلاجقة الروم علاء الدين كيقباز بقود^(٥) كثير وتقدمة للسلطان الملك الكامل صاحب الديار المصرية والملك المعظم صاحب دمشق وأدى رسالته

٢٨٥ وسير أعلام النبلاء ج ١٨، ص ٥٦١-٥٦٢ ومراة الجنان ج ٣ ص ١١٩، ١٢٠، وابن النجار: ذيل تاريخ بغداد ج ٢، ص ١٨-١٨٧، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٥٣.

(١) سعد بن عباد بن ديلم بن حارثة الخزرجي، صحابي كان سيد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد أحدا والخندق وغيرهما، وكان أحد النقباء الإثني عشر، ولما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم طمح إلى الخلافة ولم يبايع أبا بكر، خرج في زمن عمر إلى الشام مهاجرا فمات بحوران سنة ١٤ هـ انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣ ص ٦٥-٦٧، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج ١، ص ٢٠، والزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٨٦.

(٢) أبي نواس: هو الحسن بن هانئ انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٠.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٤) وردت عند الطبري يضحكنا القائم الأمين و... يبكينا وفاة الإمام بالأمس انظر: الطبري (محمد بن جرير

بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ

الطبري، دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م، ج ٨، ص ٣٦٤.

(٥) بقود: الهدايا

على المعظمّ فما أجاب عنها فما قبل الرسول طعامه ولا قبل المعظم هديته ثم توجه الرسول إلى السلطان الكامل.

وفيها عاد القاضي نجم الدين بن الحموي من عند سلطان الروم وفيها عاد الشرف بن عنين الشاعر المشهور الدمشقي من عند صاحب أربل، وفيها عاد قاضي الممالك مجد الدين إلى الخوارزمي بعد اكرامه والانعام عليه حتى انه سير صحبته لمخدومه ثلاثة آلاف قوس دمشقية. وفيها قبض الملك الناصر^(١) صاحب حماه على قاضيه عماد الدين المعروف بابن القطب وبابن المقيشع وأهاناه وعصره كاللصوص وهرب منه واعتصم عليه بصهيون^(٢) وفيها ولي الملك الناصر صاحب حماه القاضي شهاب الدين ابراهيم بن البرهان المعروف بابن ابي الدم^(٣) القضاء بحماه.

ذكر ايقاع السلطان جلال الدين بالإيوانية

كان التركمان الإيوانية قد تغلبوا على أشنه^(٤) وأرمية^(٥) وكثير من بلاد أذربيجان واخذوا الخراج من أهل خوى ليكفوا عنهم، واغتروا باشتغال السلطان جلال الدين بالكُرج، وخلاط [٨١-و]

(١) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٢١، ١٢٣.

(٢) صهيون: كانت بلد من أعمال حمص. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٣٨.

(٣) ابن أبي الدم: توفي سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م انظر: السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥ ص ٤٧، وابن العماد:

شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢١٣، وابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٢٤.

(٤) أشنه: بالضم ثم السكون وضم النون وهاء محضة قال ياقوت الحموي: بلدة شاهدها في طرف أذربيجان من جهة إربل بينها وبين أرمية يومان وبينها وبين إربل خمسة أيام وهي بين إربل وأرمية، ذات بساتين، انظر: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠١.

(٥) أرمية: اسم مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان بينها وبين البحيرة نحو ثلاثة أميال أو أربعة وهي فيما يزعمون مدينة زرادشت نبي المجوس، وهي مدينة حسنة كثيرة الخيرات واسعة الفواكه والبساتين صحيحة

وازداد طمعهم وانبطوا في البلاد ينهبون ويقطعون الطريق وأتت الأخبار بذلك إلى السلطان جلال الدين وهو متغافل عنهم لاشتغاله بما هو أهم منه، وبلغ من طمعهم أنهم قطعوا الطريق بقرب توريز، واخذوا من تجار أهلها شيئاً كثيراً، ولما اشتد ذلك على الناس أرسلت ابنة السلطان طغرل بن أرسلان السلجوقي إلى زوجها السلطان جلال الدين تستغيث به، وتعرفه أن البلاد قد استولى عليها الإيوانية، وإن لم يتداركها وإلا هلكت بالكلية، فلما وصلت الرسالة إليه رحل عن خلاط، وكان منازلها كما قدمنا شرحه، وجد في السير وأتى الإيوانية وهم آمنون، فأوقع بهم وأخذتهم السيوف وهم مارون غافلون، فقتل منهم ما لا يحصى واسترق حريمهم وأولادهم، ولما فرغ منهم عاد إلى توريز، وأقام بها والله أعلم.

ذكر الحرب بين صاحب آمد وسلطان الروم

كان الملك المسعود بن الملك الصالح محمود بن محمد الأرتقي صاحب آمد قد وافق الملك المعظم صاحب دمشق معاضداً له ولصاحب أربل، والسلطان جلال الدين، وكان السلطان علاء الدين كيقباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقي صاحب الروم، خائفاً من السلطان جلال الدين فاتفق مع الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية، ثم إن الملك الأشرف أرسل إلى السلطان علاء الدين يطلب منه أن يقصد بلاد آمد، فسار السلطان علاء الدين إلى ملطية وهي

الهواء كثيرة الماء انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٥٩، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٥٩.

له ، وسير منها العساكر إلى بلاد آمد ففتحوا حصن منصور وغيره [٨١-ظ]، فلما رأى صاحب آمد هذا الأمر راسل الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية، وعاد إلى موافقته، ورجع عن الملك المعظم صاحب دمشق، فأرسل الملك الأشرف إلى السلطان علاء الدين صاحب الروم يُعرفه ذلك ويطلب منه أن يعيد على صاحب آمد ما أخذ منه فامتنع من ذلك، وقال: " ما كنت نائباً للأشرف يأمرني مرة وينهاني أخرى"، فأمر الملك الأشرف عسكره بمساعدة صاحب آمد وجمع صاحب آمد عسكره ، وسار الجميع إلى عسكر الروم، وهم يحاصرون الكختين^(١) من بلاده ، فالتقوا هناك، واقتتلوا فانهزم صاحب آمد ومن معه وجرح وأسر منهم خلق ، وملك عسكر الروم الكختين وهي من أمنع الحصون ثم عادوا إلى صاحبهم والله أعلم^(٢). وفي هذه السنة توفي القاضي نجم الدين المعروف بابن الحجاج نائب قاضي القضاة بهاء الدين ابن شداد قاضي حلب، وولى بعده الزين بن الأستاذ^(٣).

وفيها مات القاضي جمال الدين المصري قاضي دمشق الذي كان أولاً وكيلاً لبית المال من قبل السلطان الملك العادل، ودفن في داره بدمشق، فتحدث جماعة من الأكابر الرؤساء في طلب القضاة، وبذلوا ألوفاً، فما أجاب إلى ذلك الملك المعظم صاحب دمشق.

(١) الكختين: قلعة اسمها كختا وذكر أنها قلعة عالية البناء حصينة بينها وبين ملطيه مسيرة يومين في طرف الحد الشمالي للشام على مرحلة من حصن منصور انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان ، ج٢٦٢، ٢٦٣، وابن العديم: زبدة الحلب، ج٣ ، ص١٩٨.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤ ، ص٢٠٣.

(٣) القاضي زين الدين أبي محمد عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن علوان المعروف بابن الأستاذ انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥ ص٩٢، الصفي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٤٠، وابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص١٧٠، وابن شداد: الأعلام، ج١ ، ص١٠٣.

وقال الشيخ محمد بن نظيف الحموي ما صيغته : بعد وفاة جمال الدين بيويقات رتب معظم شخصاً أعجماً فقيهاً يعرف بالشمس الخوئي^(١)، وهو فقيه حسن خبر بعلم الكلام إلا أنه لم يدر في خلد أحد هذا ؛ لأنه أكل معه ونادمه على الشراب ولعب بالنرد معه [٨٢-و] وغنى على الملاهي وهو مجيد في علم النغم فشق على الناس ولايته لمعرفتهم به ، ولذلك ذكرنا فصلاً في أحواله لشهرتها؛ لأنه يجب صدق المؤرخ، وولاه معظم مع القضاء مدرسة أبيه الملك العادل ونزل إليه وسمع درسه مراراً، وحمل الناس إلى درسه ومجلس حكمه وبعد مدة خلع عليه وجعله قاضي قضاائه والله أعلم.^(٢)

[٨٢-ظ]

ذكر وفاة من توفي من الأعيان في هذا العام وبعض اخبارهم

أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي البخاري^(٣) يكنى أبا العباس سمع الحديث ببغداد من أبي الفتح عبيد الله بن شاتيل وغيره، وسمع بنيسابور من أبي المعالي عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله بن محمد الفراوي وغيره، وسمع بواسط من جماعة، وحدث بدمشق وبحمص، ووُلِّي القضاء والتدريس بحمص ولد في العشر

(١) توفي سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١٨٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٣١٦، وابن أبي أصيبعة، (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٣، ص ٢٨٠.

(٢) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٢٢.

(٣) لقب بالبخاري لاشتغاله بالخلاف ببخاري على الرضي النيسابوري انظر: الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٩٠.

الآخر من شوال سنة أربع وستين وخمسمئة، وتوفي ليلة الخامس من جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وستمئة هذه السنة بجبل قاسيون بدمشق ودفن به، وقيل له البخاري؛ لأنه تفقه ببخارى وأقام مدة فنسب إليها، وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليعموري، ومن خطه نقلت، وهو أخو شيخنا الحافظ ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد رحمهما الله تعالى.

إسماعيل بن ظافر^(١) بن عبد الله العقيلي المصري، يكنى أبا الطاهر المقرئ الفقيه المالكي المذهب سمع من أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد الصمد الكامل، والشريف أبي المفاخر سعيد بن الحسين المأموني، وأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حسين الشيباني، وأبي الجيوش عساكر بن علي المقرئ والعلامة أبي محمد بن بري، والفقيه أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعد الله الحنفي وجماعة كثيرة من أهل مصر، والقادمين عليها، وتصدر بالجامع الظافري بالقاهرة المحروسة.

وُلد في سنة أربع وخمسين وخمسمئة [٨٣-٩٠]، وتوفي في الثاني والعشرين من شهر رجب الفرد ثلاث وعشرين هذه السنة بمصر المحروسة، ودفن من يومه بسفح المقطم رحمه الله تعالى.

إسماعيل بن أبي الشكر الأنصاري^(٢) الخزرجي، يكنى أبا الفداء، من ولد عبادة بن الصامت رضي الله عنه كان شيخاً جليلاً فاضلاً، ولد بمدينة قوص من الديار المصرية، وتوفي سنة ثلاث وعشرين هذه السنة بدمشق رحمه الله.

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١٤٨.

(٢) لم أجد ترجمته في المصادر المتوفرة بين يدي.

حسين بن أبي الوفاء صادق^(١) بن عبد الله بن نصر بن علي بن أبي عبد الله محمد بن أبي محمد المقدسي الأصل، المصري المولد والدار، والوفاء، الشافعي المذهب، ولد في يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وخمسمئة بالقاهرة المحروسة، وتوفي في ليلة الثلاثاء بالقاهرة، ودفن يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين هذه السنة.

حسين بن أبي عبد الله^(٢) محمد بن أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن عبد الله الجباب التميمي الأغلب السعدي، يكنى أبا علي، ولد في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة، وتوفي في سحر يوم الإثنين سادس عشر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين هذه السنة بمصر المحروسة ودفن يوم الإثنين المذكور.

خزعل بن عسكر بن خليل^(٣) الشامي الدمشقي، يُكنى أبا المجد الشيخ الفاضل المقري النحوي اللغوي، قرأ القرآن العزيز بالبيت المقدس مدة، ثم تحوّل إلى دمشق المحروسة فسكنها إلى أن مات .

وقال الحافظ جمال الدين [٨٣-ظ] يوسف بن أحمد اليغموري رحمه الله تعالى حدث بشيء من شعره، وكان يذكر أنه سمع من الحافظ السلفي، وأنه دخل بغداد، وقرأ على الكمال أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري أكثر تصانيفه، وعند عوده من بغداد قطع عليه الطريق وأخذ ما كان معه من الكتب، وسمعت عليه، توفي في الثالث أو الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين هذه السنة بدمشق المحروسة، ودفن من الغد بباب الصغير.

(١) المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ١٨٦-١٨٧

(٢) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٣، ص ٣٦٥.

(٣) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١٥٢.

عبد المنعم بن علي بن صدقة^(١) ابن علي بن الحسن بن محمد الحراني الأصل الدمشقي المولد والدار والوفاء، يكنى أبا الفضل، وقيل: يكنى أبا محمد الشيخ العدل سمع الحديث من الحافظ أبي القاسم علي بن عساكر، وأبي الفهم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن أبي العجائز الأزدي، وأبي الحسين، وأبي العلاء محمد بن حمزة بن علي السلمين، وآخرين، وحدث وتوفي في منتصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين هذه السنة بدمشق، ودفن من يومه، وهو ابن نيف وستين سنة رحمه الله تعالى.

عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان^(٢) بن عبد الله الأسدي الحلبي يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الأستاذ، سمع الحديث بحلب من الحافظين: أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الأسدي، وأبي بكر محمد بن علي بن ياسر الجبائي، وأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي العباس النوقاني، وأبي طالب عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن العجمي، وأبي علي الحسن بن علي بن الحسن البطليوسي، وأبي حامد محمد بن عبد الرحيم بن سليمان الغرناطي، وأبي سالم أحمد بن عبد القاهر بن أحمد الحلبي، وأبي الأصبع عبد العزيز [٨٤-و] علي بن محمد السُماتي، وأبي الفتح أحمد بن أبي الوفاء بن عبد الرحمن البغدادي، وأبي بكر محمد بن بركة بن كرما الصلحي وجماعة غيرهم، وسمع ببغداد من الشريف النقيب أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي المكي، وسمع بدمشق من الحافظ أبي القاسم علي بن عساكر، وأبي المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلم بن هلال، وأبي الغنائم هبة الله بن محفوظ بن حصري، وأجاز لجماعة من خراسان، وأصبهان، والموصل، ودمشق، ومصر، والإسكندرية وحدث.

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١٥٩.

(٢) سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزؤغلي بن عبد الله ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، الذهبي: العبر، ج ٣، ص ٣٧٩.

قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعموري: سمعت منه بحلب، ولد في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وخمسمئة وتوفي في ليلة العاشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين هذه السنة بحلب، ودفن من الغد رحمه الله تعالى.

عبد القوي بن عبد الباقي^(١) بن أبي اليقظان المعري الدمشقي، يكنى أبا محمد، ويلقب ضياء الدين الكتبي سمع من الحافظ السلفي، وحدث بدمشق توفي في الحادي من جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين هذه السنة بدمشق ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى.

مظفر بن ابراهيم^(٢) بن جماعة بن علي بن شامي بن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق العيلاني المصري، يكنى أبا العز، ويلقب موفق الدين الضرير الحنبلي المذهب الشاعر المشهور العروضي،

قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان -رحمه الله تعالى- كان شاعراً مجيداً أديباً عروضياً صنف في العروض مختصراً جيداً دلّ على حذقه فيه، وله ديوان شعرٍ رائع.

وكان ضريراً ومن شعره [٨٤-ظ]:^(٣)

ظبيّا ^(٤) كحيل الطرف ألمى	قالوا عشقت وأنت أعمى
فنقول قد شغفتك وهماً ^(٥)	وخلّاه ما عاينتها

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١٥٧.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٨٨.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٨٨، والياضي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من

حوادث الزمان، ج ٤، ص ٤٣، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٩٥.

(٤) وردت [أحوى] انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ص ١٩٥.

(٥) وردت [فنقول قد شغفتك دهما] انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ص ١٩٥، والياضي: مرآة الجنان، ج ٤،

ج ٤، ص ٤٣.

فأجبتُ أني موسوي العشق إنصاتا وفهماً^(١)

أهوى بجارحة السماع ولا أرى ذات المسامي^(٢)
قال: وأخبرني أحد أصحاب بعض أصحاب مظفر المذكور أنه قال له رأيت في بعض تواليف
أبي العلاء المعري ما صورته:

أصلحك الله وأبقاك لقد كان من ال
الواجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا
الخالي لكي تحدث عهداً بك يـأـزـين الأـخـلاء
فمـا مـثـلـك مـن غـير^(٣) عهداً أو غفل.
وسأله من أي الأبحر هذا؟ وهل هو بيت وأحد أم أكثر؟ فإن كان أكثر فهل أبياته على روي
واحد أم هي مختلفة الروي؟ قال: فأفكر فيه، ثم أجابه بجواب حسن.

فلما قال لي المخبر ذلك قلت له: اصبر عليّ حتى انظر فيه، ولا تقل ما قاله، ثم أفكرت فيه
فوجدته يخرج من بحر الرجز، وهو المجزوء ، وتشتمل هذه الكلمات على أربعة أبيات على
روي اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين، ومن لا يكون له بهذا الفن
معرفة، فإنه ينكرها لأجل قطع الموصول منها^(٤).

(١) وردت [العشق إنصافاً وفهماً] عند ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧ ص ١٩٥، ووردت [العشق أنسا وفهماً]
انظر: اليافعي: مرآة الجنان، ج ٤، ص ٤٣.

(٢) وردت [ولا أرى ذاك المسمى] انظر: اليافعي: مرآة الجنان، ج ٤، ص ٤٣.

(٣) وردت [فما مثلك من ضيع عهداً أو غفل] انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٩٦.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٨٨.

ولابد من الإتيان بها ليظهر صورة ذلك وهي^(١)

أصلحك الله وأبقاك
الواجب أن تأتينا
الخالى لكى نحدث عهداً
فمما مثلك من
لقد كان من ال
اليوم إلى منازلنا
بك يـازين الأخلاء
غير عهداً أو غفل
وهذا إنما يذكره أهل هذا الشأن للمعاينة، لا لأنه من الأشعار المستعملة [٨٥-و] فلمّا
استخرجته عرضته على ذلك الشخص فقال: هكذا قاله مظفر الأعمى.

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد الـيـغموري رحمه الله تعالى: لقي موفق الدين مظفر
جماعة من الأدباء، وقال الشعر الجيد، وله تصنيف في العروض، وسمع الحديث من أبي
القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حسين السيبي، وأبي الفتح محمود بن أحمد الصابوني، وأبي
الظاهر اسماعيل بن صالح بن ياسين.

وأبي القاسم هبة الله البوصيري، وأبي الفضل نعمة بن يحيى بن نعمة التدمري، وكان بقية
فضلاء طبقة، ومن خطه نقلت: أنشدني شيخنا عبد العظيم المنذري.

قال: أنشدني الأديب موفق الدين أبو العز مظفر بن إبراهيم العيلاني الضرير الشاعر
لنفسه^(١):

(١) ووردت عند الـيـافعي أكرمك الله وأتقاك. . . لقد كان من آل

واجب أن تأتينا. . . فالـيـوم إلى منازلنا

خالى لكى نحدث عهداً. . . بك يا زين الأخل=

= لاء فما مثلك من. . . غير عهداً أو عقل ووردت عند ابن العماد فما مثلك من. . . ضيع عهداً أو

غفل انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢١٥، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٩٦،

والـيـافعي: مرآة الجنان، ج ٤، ص ٤٤.

لي مدمعٌ وحببي به	من فيضه وحببي به
وحوى غدى ولهى به	من حره ولهي به
قل للذي أسرى به	ومع الدجى سرى به
يامن عليّ تهدي به	عدالنا تهدي به
حمل مدفعا يجري به	بلواه في بحريه
أمسي على بدر به	بقي ولا يدري به
أعيا الطبيب دواره	فبكته عين طبيبه

وقيل: كان الوزير صفى الدين بن شكر قد عاد من الشام إلى مصر فخرج أصحابه للقاءه إلى الخشبي المنزلة المجاورة للعباسة، فكتب مظفر المذكور إليه هذه الابيات يعتذر إليه من تأخره عن الخروج إليه.

وهي: (٢)

قالوا إلى الخشبي سرنا على	نلقى الوزير جميعاً ذوي الرتب
ولم تسر أيها الأعمى فقلت لهم	لم أخش من تعب ألقى ولا نصب
وإنما النار في قلبي لوحشته	فخفت أجمع بين النار والخشب

[٨٥-ظ] وهذا المعنى مطروحاً لكنه استعمله استعمالاً حسناً.

وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام يسوق بعضه بعضاً كما قيل: (٣)

ولزبما ساق المحدث بعض	ما ليس النديم إليه بالمحتاج
-----------------------	-----------------------------

(١) انظر: أبي الفتح السبتي: ديوانه، ص ٢١.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢١٥.

(٣) كبريت (محمد بن عبد الله بن محمد من أحفاد شرف الدين بن يحيى الحمزي الحسيني المولوي: رحلة الشتاء والصيف، تح: الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٣٨٥ هـ، ج ١، ص ١٣.

وُلِدَ مظفر المذكور لخمس ليالٍ بقين من جمادي الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمئة بمصر المحروسة، وتوفي بها سحر يوم السبت التاسع من المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمئة هذه السنة، ودفن من الغد بسفح المقطم.

والعيلاني بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد اللام ألف نون، هذه النسبة إلى قيس عيلان، وقيل: قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان، فمن قال إنه قيس عيلان، فاختلفوا في عيلان، فمنهم من قال هو اسم فرس كان له فأضيف إليه، وقيل اسم كلب كان له، وقيل اسم رجل كان قد حضنه صغيراً، وإنما أضيف إلى عيلان؛ لأنه كان في عصره شخص يقال له قيس كُبه - بضم الكاف وتشديد الباء الموحدة - وهو اسم فرس كانت له أيضاً، فكان كل واحد منهما يضاف إلى ما له ليميز عن الآخر، وقد قيل إن قيس عيلان اسمه الناس - بالنون - وهو أخو الياس - بالياء - المسماة من تحتها جد النبي ﷺ. ^(١)

مظفر بن القاضي أبي علي ^(٢) عبد القاهر بن أبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن القاسم الشهرزوري الموصلية وفاة، يكنى أبا منصور الفقيه الشافعي المذهب الحاكم سمع الحديث ببغداد من الشيخ أبي أحمد عبد الوهاب بن علي بن سكينه، والحافظ أبي محمد عبد العزيز بن الأحمد وغيرهما [٨٦-٩] وحدث، وتولي قضاء الموصل مدة ونفذ رسولاً إلى الديوان العزيز

(١) انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢١٧.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥ ص ١٧٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٢٢.

غير مرة ، ونفذ رسولاً إلى الشام ومصر قبل وفاته بمدة ^(١)، وأصابه فالج، ووالده أبو علي عبد القاهر ناب عن عمه القاضي أبي عبد الله الحسين بن علي الشهرزوري في القضاء ببغداد لما توجه عمه رسولاً.

وُلد المظفر في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة، وتوفي في السابع عشر من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين هذه السنة بالموصل.

يونس بن بدران بن فيروز ^(٢) بن صاعد بن علي بن محمد بن علي القرشي الشيبلي الشافعي الحجازي الأصل المصري، المليجي المولد الدمشقي الوفاة، يكنى أبا محمد أبا الفضائل وأبا الوليد وأبا الفرج ، ويلقب جمال الدين الشافعي المذهب قاضي القضاة بدمشق المحروسة، سمع بالإسكندرية من الحافظ السلفي، وبالقاهرة من أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد الصمد، وبالموصل من أبي الفرج يحيى بن محمود الثقفي، وحدث وتفقّه بمصر على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وترسل إلى الديوان العزيز، وولي الوكالة السلطانية بدمشق المحروسة والتدريس وقضاء القضاة بها، وُلد تقريباً في سنة خمسين وخمسمئة أوجز فيها

(١) قال ابن الأثير: وكان قد أضرّ قبل وفاته بنحو سنتين وكان عالماً بالقضاء عفيفاً ونزيهاً ذا رئاسة كبيرة وله صلات دائمة للمقيم والوارد رحمه الله فقد كان من محاسن الدنيا ولم يخلف غير بنت توفيت بعده بثلاثة أشهر. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٢٢.

(٢) النعمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ١٣٩ وابن قاضي شعبة: طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٢٢-١٢٣، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٦٦، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١١٢، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١١٤، والذهبي: العبر، ج ٥، ص ٩٧، و سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ٢٥٧-١٥٨، وأبي شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٥٠، والزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٢٦٧.

وتوفي في العشر الأخير من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين هذه السنة بدمشق ودفن بداره^(١) رحمه الله تعالى.

محمد بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم^(٢) بن صدقة الأربلي الدار والمنشأ، يكنى أبا الفضل له نظم حسن فمناه: ^(٣)

كل صعب سوى صدودك سهل كثر العاذلون فيكم وتلوا
أسفى ما أقرُّ بالحب اليقين يشـفينا ورب الجبـل
وبنفسى أفدي أنا سأذكر أيا جثث حلّوا عقود صبري وحلّوا
وُلد في سنة أربع وستين وخمسة، وتوفي في ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين هذه السنة

[٨٦-ظ]

ذكر الحوادث في سنة أربع وعشرين وستمئة

في هذه السنة تزوج السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه صاحب بلاد أذربيجان وإيران وعراق العجم وغيرها إحدى بنات الملك المعظم بن الملك العادل الأيوبي صاحب دمشق المحروسة، إلا أنها لم تحمل إليه، وتأكد الود بينهما وهماً، وكان الأشرف^(٤) والمعظم توجهها إلى الغور ثم عادا

(١) داره قرب القليجية ودفن في مجلس بقاعته شرقي القليجية من قبلي الخضر. انظر: الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٩٢، والنعمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٢) الذهبي: تاريخ الاسلام، ج ٤٧، ص ٣٢٦.

(٣) لم أجد تخريجاً للأبيات في المصادر المتوفرة بين يدي.

(٤) انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٦.

إلى خربة اللصوص^(١) بعد صيدهما وتفرجهما ، وفيها أوصل الفارسي خليل الذي سُجن بدمشق وأخو الحاجب علي رسالة إلى حلب وحماه والجواب يُرضي فيها زودتنا الأخبار أن الباطنية قتلوا أخاك فذلك وهو بدمشق.

ذكر رجوع الملك الأشرف إلى بلاده وتخلّصه من الملك المعظم صاحب دمشق

كنا قدّمنا أن الملك الأشرف بن الملك العادل صاحب البلاد الشرقية صار عند أخيه الملك المعظم كالأسير في قبضته، ومع هذا يظهر كل منهما التصافي لصاحبه والأمر في الباطن بخلافه ، والملك الأشرف لا يتجاسر أن يخالف أخاه في أمر من الأمور وهو يتلون معه، وكلما أجابه الملك الأشرف إلى أمر من الأمور رجع عنه إلى غيره، وانقطعت مراسلة الملك الأشرف عن الحلبيين لكثرة عيون الملك المعظم عليه، وكونه لا يأمن من جهته من أمر إلا بمرسومه لأنه أصبح في قبضته.

ذكر صاحب كمال الدين عمر بن أبي جرادة قال : وصلت من الحج في صفر من هذه السنة فاستدعاني الملك الأشرف وحملني رسالة إلى الأتابك شهاب الدين مضمونها ما قد وقع فيه مع أخيه، وأنه يتلون معه تلون الحرباء، ولا يعتمد على أمر من الأمور، وأنه آخر ما وقع بينه^(٢) وبينه أنه التمس منه أن يحلف له أتابك على مساعدته ومعاضدته ، وأن لا [٨٧-و] يوافق السلطان الملك الكامل عليه، وأنه متى قصده الملك الكامل كان عوناً له على الملك الكامل. فلما أبلغت الأتابك ما قال الملك الأشرف امتنع من الموافقة على ذلك، وقال: أنا حلفني الملك

(١) خربة اللصوص: مكان في الشام الجنوبي انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٦٠٤.

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، ٤٧٢.

الأشرف للملك الكامل، وفي جملة يمينه أنني لا أهادن أحداً من الملوك على قضية إلا بأمره فإذا أراد هذا مني فليأتني بأمر من الملك الكامل حتى أساعده على ذلك.

وحين تحقق الملك الأشرف أنه لا خلاص له من أخيه، وأنه لا يخلص من اعتقاله إلا بمساعدته على كل ما يريده فساعده في حكم المكره على كل ما طلبه منه، وحلف له على أنه يعاضده على الملك الكامل صاحب الديار المصرية، والملك المجاهد صاحب حمص، والملك الناصر صاحب حماه، ولما حلف الملك الأشرف لأخيه الملك المعظم على ما اراده مكرهاً، اطمأن أخوه الملك المعظم إلى ذلك، ومكّنه من الرحيل إلى بلاده وأن لا مخلص له إلا بما يريده منه، وكان رحيله من دمشق إلى بلاده الشرقية وودعه الملك المعظم لميوله بظاهر دمشق ثم دخل دمشق في جمادى الآخرة من شهور هذه السنة.

ولما رجع الملك الأشرف إلى بلاده رجع عن جميع ما تقرر بينه وبين أخيه الملك المعظم صاحب دمشق، وتأول في أيمانه التي حلفها أنه كان مكرهاً عليها، وأنه تحقق أنه لا ينجيه من يده إلا بموافقة على مراده وندم الملك المعظم من تمكنه من الانفصال عنه وسير العرب إلى بلد حمص وحماه فعاثوا فيهما ونهبوا.

وفي هذه السنة رجع الملك الناصر داود^(١) بن الملك المعظم صاحب دمشق إلى أبيه من أربل.

وصحبه الشيخ شمس الدين الخسروشاهي، تلميذ الإمام [٨٧-ظ] علامة العصر فخر الدين

ابن الخطيب الرازي^(١)، وكان الملك الناصر داود يشتغل عليه في العلوم العقلية^(٢).

(١) الملك الناصر داود: هو داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ١ ص ١٢٦، المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٤١٢، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٩٨، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٨٥.

وفيها بعد انفصال الملك الأشرف من دمشق وصل رسول ملك الروم عائداً من الديار المصرية إلى مخدومة سلطان الروم، فلتقاه الملك المجاهد صاحب حمص وأحسن تلقيه.

وفيها وصل قاضي حصن كيفا إلى الملك الأشرف يخبره أن صاحب آمد في خدمته، وما عاد إلى سلطان الروم كما نقل عنه.

وفيها بعد أن أخذ سلطان الروم الكختين، وحصن منصور، وغيرهما من بلاد آمد سير الملك الأشرف إلى أخيه الملك الحافظ صاحب قلعة جعبر^(٣) إلى مملوكه مقدّم عسكره الأمير عز الدين أيبك^(٤) بأن ينجدا بمن عندهما من عسكر الجزيرة صاحب آمد فصار إليه نجدة فوردت الأخبار بعودة سلطان الروم عن حصار آمد.

وفيها خطب الملك المنصور صاحب ماردين لسلطان الروم كيقلاب، وعاد إلى خدمته.

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي ولد في الري ٥٤٤ هـ وقد ذكر في ترجمته أنه فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل. وقد توفي سنة ٦٠٦ هـ - ١٢١٠ م بمدينة هراه. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٤٧٤.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٤-٢٠٦.

(٣) قلعة جعبر: تقع بين الرقة وبالس على تل مشرف على الفرات من الشمال وهي قلعة برية وبحرية جزرية لها ربض وكانت عامرة بالأسواق تنسب إلى جعبر بن سابق القشيري الذي استولى عليها وجدد بناءها وهي الآن على طرف بحيرة سد الفرات انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٢٧٧، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ٣، ص ١١٠-١١١.

(٤) قُتل عز الدين أيبك بعد استيلاء الخوارزمي على خلاط سنة ٦٢٧ هـ ١٢٢٩ م انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٣٨٠.

وفيهما عاد النجم خليل قاضي العسكر من عند الخوارزمي^(١) وكان له عنده مدة وحكى من جوره وظلمه وفتكه وجبروته وعظمته ما لا سمعَ عن غيره ، وأنه فارقه متوجهاً إلى كنجه^٢، وتوجه صحبته إليها مملوك الملك المعظم المعروف بالبركين^(٣).

وفيهما وصل كمال الدين بن المهاجر^(٤) الموصلي المعروف بالدين والزهد والورع من عند الملك بدر الدين لؤلؤ أتابك الموصل، وقد كان وزيره بقود وهدية إلى الأشرف والمعظم وهما بدمشق فتلقى بحلب أحسن تلقى وحمل [٨٨-٩] إليه أشياء فلم يقبل شيئاً من أحد ولا أكل طعامه ثم وصل إلى حمص فلتقاه الملك المجاهد صاحبها وحمل إليه فأكل طعامه، وبالح في الإحسان إليه، ثم توجه إلى دمشق.

وفيهما وصل رسول الخليفة المستنصر بالله العباسي إلى الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطيب قلبه ويعدده بالجميل عنه، وعن صاحب أربل أيضاً.

وفيهما وصل إليه رسول صاحب الروم كقبياذ في المعاوضة على الخوارزمي والتعجب من تأخر الأشرف عند المعظم في وقت هذا المهم^(٥).

(١) انظر: ابن نطف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٢.

(٢) هي أم بلاد أران فعلمو بكثرة أهلها وشجاعتهم انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ص ٣٥٢.

(٣) ورد اسمه [الركين] انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٦٩٩.

(٤) توفي كمال الدين بن مهاجر سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ، ص ٧٠٣،

وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٤٦، ابن نطف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٣.

(٥) انظر: ابن نطف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٤.

وفيهما عاد ناصر الدين بن أمير^(١) من عند الخليفة وفيها عاد كريم الدين الخلاطي^(٢) من عند سلطان الروم إلى الملك المعظم بجوابه وفيها عاد الجواد بن مودود إلى الديار المصرية بطلب عمه السلطان الملك الكامل له، وبرأي أعمامه^(٣).

وفيهما كانت الواقعة بين مانع بن حديثه^(٤) وابن عمه منيع^(٥) على يرمع^(٦) ببلد بارين بالشام، وكانت وقعة عظيمة جرح فيها منيع وقتل جماعة، وأصلح بينهما الملك المجاهد بحمص، وحُمل منيع إلى بلده وأحسن علاجه إلى أن صلح وأُخلع عليه ثم رحل بقية جماعة منيع إلى بعلبك يخطفون الناس من طريقها، وفيها سُلمت عين تاب^(٧).

والزاوية، والروب^(٨) إلى الملك العزيز بن الملك الظاهر، وأخذت منه الشجر وبكاس^(٩) وما كان كان في يده معها^(١٠).

(١) لم أجد تعريف له بالمصادر المتوفرة بين يدي.

(٢) هو الأمير كريم الدين الأخلاطي: خدم الملك الأشرف والملك المعظم عيسى والملك الكامل تولى إمرة الحاج سنة ٦١٩هـ ١٢٢٢م وتوفي بدمشق سنة ٦٣١هـ ١٢٣٣م انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١٣، ص ٢٣١، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٦٩٢، وابن نطيف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٤.

(٣) ابن نطيف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٥.

(٤) هو حسام الدين مانع بن حديثه أمير آل فضل وذكر وفاته سنة ٦٣٠هـ ١٢٣٢م انظر: ابن نطيف: التاريخ المنصوري ص ١٣٥، المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٢٢٧، والنويري: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٤، ص ٢٠٤.

(٥) الأمير منيع: ابن عم الأمير مانع انظر: القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٧٨، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٤.

(٦) لم أجد شرح للمكان بالمصادر المتوفرة بين يدي.

(٧) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية، وكانت تُعرف بدلوك، وهي الآن من أعمال حلب، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٥٩.

(٨) الروب: وردت رُؤب: بضم أوله، وسكون ثانيه، وآخره باء موحدة: موضع بقرب سمنجان من نواحي بلخ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٥.

ذكر مراسلة الملك الكامل صاحب الديار المصرية الامبراطور ملك الفرنج واتفاقهما في هذه

السنة

لما تأكدت الوحشة بين الملك المعظم صاحب دمشق وأخويه الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية والملك الكامل صاحب الديار المصرية، وخاف الملك الكامل انتماء المعظم إلى السلطان جلال الدين [٨٨-ظ] بن خوارزم شاه سلطان العجم خاف من أن يكون اتفاقهما سبباً لزوال الدولة، فأرسل الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى الأنبرور فردريك^(٣) ملك الفرنج وطلب منه القدوم إلى عكا ووعدته أن يعطيه بعض الفتوح^(٤) الناصري[الصلاحى]، ليشغل سر الملك المعظم صاحب دمشق بذلك، ويحتاج إلى موافقته والدخول في طاعته، فتجهز الأنبرور لقصد الساحل، وبلغ الملك المعظم صاحب دمشق ذلك ، فكتب أخاه الملك الأشرف صاحب

(١) الشجر وبكاس: قلعان حصينتان على نهر العاصي متقابلتان بينهما واد يقال له: الشجر وهما بين أنطاكية وأقاميا وتعدان من أعمال حلب انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٤، ج ٣ ص ٣٥٢، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٦١.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٧، وابن نطيف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٨، وابن العديم(عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين): زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ج ١، ص ٤٧٣.

(٣) الإمبراطور المقصود هنا هو فردريك الثاني امبراطور الدولة الرومانية المقدسة (١١٩٤ - ١٢٥٠) انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٩٨.

(٤) الفتوح الناصري: أي فتوحات صلاح الدين

البلاد الشرقية ولاطفه، وأرسل إليه يطلب موافقته فعنّفه على أفعاله التي فعلها معه، وقرّعه على ما اعتمده في حقه وحق أهله^(١).

وقال صاحب نظم السلوك ما صيغته: في سنة أربع وعشرين وستمئة حصلت الوحشة بين السلطان الملك الكامل وأخيه الملك المعظم صاحب دمشق لأمر بلغه عنه، فكتب السلطان الملك الكامل إلى الأنبرور ملك الألمان بأن يحضر إلى الشام والساحل ويعطيه البيت المقدس وجميع فتوح السلطان صلاح الدين بالساحل، وكتب الملك المعظم إلى جلال الدين بن خوارزم شاه، وكان قد ملك أخلاط وبلاد أرمينية مضافاً إلى ما بقي بيده من البلاد المجاورة لأخلاط، يسأله أن ينجده على أخيه الملك الكامل، ويكون من جملة المنتمين إليه، ويخطب له، ويضرب له الدنانير والدرهم باسمه، فأجابه إلى ذلك وسير إليه خلعة يلبسها، وشقّ بها مدينة دمشق وقطع خطبة الملك الكامل، وبلغ ذلك الملك الكامل فتجهز وخرج بعساكره [٨٩-٩٠] ليأخذ دمشق من أخيه الملك المعظم ونزل بين بلبيس^(٢) والعباسة^(٣)، في شهر رمضان سنة أربع وعشرين هذه السنة.

سير إليه الملك المعظم يقول: إنني قد نذرتُ نذراً لله تعالى أن كل مرحلة رحلت منها لقصدي أتصدق بألف دينار، فإن جميع عسكرك معي وكتبهم عندي، وأنا آخذك بعسكرك، هذا كان في

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٦، ٢٠٧، وابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ١، ص ٤٧٢-٤٧٣.

(٢) بكسر الباءين وسكون اللام وياء وسين مهمة كذا ضبطه نصر الاسكندري، قال: والعامّة تقول بلبيس، مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام يسكنها عبس بن بغيض فتحت في سنة ١١٨ أو ١٩ على يد عمرو بن العاص انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٤٦.

(٣) العباسة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وبعد الألف سين مهمة وهو من العبوس ضد البش هكذا يتلفظون بها من غير إلحاق ياء النسبة. وهي بليدة أول ما يلقي القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية ذات نخل طوال انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٤.

الباطن والظاهر قال: أنا مملوكك وما خرجت عن محبتك وطاعتك، وحاشاك أن تخرج وتقاتلني، وأنا أول من نجدك وحضر إلى خدمتك من جميع ملوك الشام والشرق، فأظهر السلطان هذا القول بين الأمراء وعاد إلى مستقر ملكه ثم بلغ السلطان الملك الكامل أن الملك المعظم قد نزل على حمص وحاصرها وأشرف على أخذها فسيّر إليه بأن يرحل عنها فرحل.^(١)

وفي هذه السنة قبض الملك الكامل على جماعة من الامراء مماليك والده الذين توهّم فيهم أنهم كاتبو الملك المعظم من جملتهم فخر الدين ألبنا الحبيشي، وفخر الدين ألبنا الفيومي^(٢) وكان أمير جانداره^(٣)، وقبض أيضا على عشر أمراء من البحرية العادلية واعتقلهم وأخذ جميع أموالهم وموجودهم.

قال وفيها مات المبارز^(٤) المعتمد الذي كان شحنة دمشق.

قال وفيها عاد الملك المسعود أقيس من عند أبيه الملك الكامل إلى اليمن بعد جهد منه أن لا يتوجه إليه وذلك لأنه ما وافق مزاجه حتى أن أصابعه تفقعت كالجرام والله أعلم.^(٥)

(١) المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٦٨.

(٢) الفيوم: ولاية غرب مصر في منخفض من الأرض يشرف عليها نهر النيل بينها وبين الفسطاط مسيرة أربعة أيام انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٦، والقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٣٨.

(٣) وظيفة أمير جاندار السلطان أنه يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهما إلى الديوان وجاندار: نسبة إلى الجاندارية وهي فئة من مماليك السلطان أو الأمير والكلمة مكونة من مقطعين فارسيين أحدهما جان ومعناه سلاح والثاني دار ومعناها ممسك، انظر: المقرئ: السلوك، ج ١، ص ١٣٣.

(٤) هو المبارز إبراهيم بن موسى المعروف بالمعتمد ولد بالموصل وقدم الشام وولي دمشق وكان ديناً عفيفاً ورعا انظر: أبي شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٥٠، وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٦٣٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١١٥.

(٥) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ج ١، ص ١٢٩، وابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٢.

وفيهما في جمادى الآخرة أغار العربان وهم غزية البطنيين على بلد حمص حتى غنم أهل البلد وغيره، ثم أمر الملك المعظم عربيه بمثل ذلك من الاغارة على حمص وحماه وبارين وسلمية [٨٩-ظ] فجاءوا ونزلوا الزراعة من أرض حمص وأرض جوسية الخربة والقصب وبقوا أياماً يغيرون على البلاد ويعودون إلى منازلهم فلما تكرر ذلك منهم ضرب البوق بحمص وركب العسكر ونادى صاحبها في الرعية بالنهب والكسب من العربان وركب الملك المجاهد وأولاده وصحبته مانع بن حديثة وجاءوا إلى بيوتهم نهبوا وأخذوا أكثر ما لهم من أقمشة وإبل وغيرها وقتلوا وجرحوا خلقاً، وكان عندهم علم الدين سنجر^(١) مملوك الملك المعظم لأنه أمير عربيه فرحلهم عنوة وكاتبوا الملك المعظم بما جرى فأمرهم بالرحيل إلى الغوطة من بلد دمشق خوفاً عليهم وسير يعاتب الملك المجاهد على فعله بعربه^(٢) وفيها عاد مانع بن حديثة من خدمة الملك المجاهد صاحب حمص بما حصل له من الغنيمة في الوقعة المقدم ذكرها على الفردوس من بلاد حلب بعد وقعة كانت جرت لعربه وأخيه علي مع عسكر حماه وظفرهم بهم ولولا عسكر حلب أنجد الحمويين ما بقي للعربان أحد منهم ، ولكن نهبوا حماه والمعرّة، وانقطعت طرقهما، ومنها وردت الأخبار إلى الشام بأن السلطان الملك الكامل أنفق الأموال في عسكره وخروجه منها، ومنها عاد شمس الدين خاص بك بن صاحب تكريت وأخبر بتأخير السلطان الخوارزمي واشتغاله بمن قد قام عليه في تلك الخطة وفيها عاد الملك الظافر خضر^(٣) من عند أولاد عمه من دمشق فأحسن إليه الملك المجاهد صاحب حمص إحساناً كثيراً غير مرة وفيها شرع الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص في تجديد حفر خنادق القلعة والبلد

(١) هو علم الدين سنجر أمير العرب انظر: ابن نضيف: التاريخ المنصوري، ص ١٤٢.

(٢) ابن نضيف: التاريخ المنصوري، ج ١ ، ص ١٤١-١٤٣.

(٣) المعروف بالمشمر لدين الله بن صلاح الدين ، انظر: ابن نضيف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٨.

المجاورة العدو المخذول وفيها وقع بين الملك الناصر صاحب حماه [٩٠-و] وشهاب الدين صاحب شيزر على ضامنة اللطف وفرطاً في الديار والأموال إلى أن وصل رسول الملك الأشرف فأصلح بينهما، وفيها جدّد عمارة البرج الذي كان خرّبهُ الملك المنصور صاحب حماه على يد الملك صاحبها بإشارة خاله السلطان الملك الكامل عناية منه في حقّه.

وفيها توفي نور الدين بن عماد الدين بن أتابك الذي كان صاحب قرقيسيا وأخذها الملك الأشرف منه بدمشق.

وفيها في العشرين من آذار، وقع من الثلوج والأهوية ما يجاوز الحد وتُلف معظم الأشجار^(١) وفيها أمطر بمدينة حلب رملٌ أحمر شبيه بالبرد وفيه تراب يشبه الطباشير^(٢) وفيها وصل رسول صاحب الروم إلى الملك المجاهد صاحب حمص في جواب رسالته ثم توجه إلى الملك المعظم في قضاء شغله، وكان عند وصول هذا الرسول قد تجهزت سرية عظيمة إلى بلد حماه من عرب المعظم فأخذ الملك المجاهد خبزهم، فركب هو وأولاده وتبعهم فأخذهم وقتلوا منهم جماعة ولم يفلت منهم إلا من فرسه سابق وكانوا قد غنموا من المعرة وحماه فاستعاد الجميع وعاد إلى حمص ظافراً.

وفيها اجتمع الملك صاحب ماردين والملك المسعود صاحب آمد وجاء كل واحد منهم إلى بعض الطريق واتفقوا على ما جرى بينهم، وذلك برأي الملك المعظم صاحب دمشق، ورأي صاحب أربل.

(١) انظر: ابن نطف: التاريخ المنصوري، ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) ابن العميد (المكين بن جرجس): أخبار الأيوبيين، ص ١١.

وفيهما وصل الخبر بأن الملك المعظم سير إلى الجزائر ليكشف حديث الأنبرور ملك الفرنج فوجد ما يناهز أربعين ألفا ما بين فارس وراجل، وكان الملك المعظم قد سير جميع عساكره إلى نابلس وتخلّف هو بدمشق وفيها وصل رسول الأنبرور ملك الفرنج وعلي يده [٩٠-ظ] هدية سنّية وتحف غريبة من البلاد الفرنجية والمغربية وعدة خيل وفرس وأحضر له من مراكيبه عدة بالذهب والرسول يقال له الكبير وهو ملتجئاً للأنبرور، وهو قاضي الفرنجية فتلقاه السلطان الملك الكامل في الطرقات والمنازل بما رتبته من الإقامة، وترتيب العساكر في الجهات بحيث إنه بقي في الطريق من الإسكندرية إلى مصر مدة أيام، ورأى من الاهتمام والترتب ما حيّره، فلمّا قرّب من القاهرة تلقاه بنفسه وأكرمه وأنزله في دار الوزير صفى الدين بن شكر^(١) وقد كان السلطان الملك الكامل سير مع الكمال بن شيخ الشيوخ إلى الملك العزيز بن أخيه صاحب حلب من هدية الأنبرور ثلاثة أفراس، ومن جملتها فرس الأنبرور بمركبه وعدة مراكيب، واهتم السلطان الملك الكامل بتجهيز هدية سنّية من تحف الهند واليمن والشام والعراق والعجم وعدة مراكيب ما قيمته أضعاف ما سيّره وفيها سرج من ذهب وفيها جوهر على ما ذكره بعشرة آلاف دينار مصرية وعين السائر بها جمال الدين بن منقذ الشيرازي^(٢).

وفيهما وصل رسول الأشكري^(٣) الرومي إلى الملك الكامل في البحر وبذل من نفسه.

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١٠٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٠٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ٢٦٣.

(٢) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) الأشكري: تسمية يطلقها المؤرخون العرب المتأخرون على أباطرة الدولة البيزنطية منذ أوائل القرن السابع الهجري لأن الأشكري الأول تزعم حركة إخراج الفرنج اللاتين فتوجوه امبراطورا سنة ١٢٠٦م انظر: المقريزي: السلوك، ج ١، ص ١٠١، ١٧٩.

وفيهما وصل رسول من الأمبراطور بتقديمه وهدية حسنة إلى الملك المعظم من الأنبرور وفيها سار الملك المعظم إلى صفد، وكوكب^(١) وتبنين وغيرها ؛ ليخرب بقية أساساتها، وكذلك سدّ صهاريج الماء بالقدس، وذلك بلغه من حركة الفرنج.

وفيهما^(٢) وصل أولاد شيخ الشيوخ بن حمويه وهم الكمال^(٣) والمعين رسلا من السلطان الملك الكامل صاحب مصر، وفي صحبتها الشمس قاضي العسكر الشريف الحسيني إلى الملك المعظم صاحب دمشق، وقرر معهم عودهم من دمشق إلى مصر بعد وقوف الكمال على جواب الملك المعظم، وأن يصل مع أخيه المعين إلى عند الملك المجاهد بجمص يجتمع به ويعرفه صورة رسالة السلطان الملك الكامل وجواب الملك [٩١-و] المعظم عنها وتوجه أخوه المعين إلى بغداد^(٤) فما له مع أحد غير الخليفة رسالة فوصلا إلى حمص وتلقاهما الملك المجاهد وأولاده، ومن عنده من عسكر حلب، وفاوضه كمال الدين بالرسالة حديث ما أمر به، وتوجه المعين إلى بغداد وكان في جملة ما قاله الكمال: " قال لي صاحبي السلطان الكامل: " مهما أشار به المولى الملك المجاهد كان العمل بمقتضاه " فقرر معه ما وقع رأييه عليه، وتوجه الكمال إلى الملك الأشرف وإلى حماه وحلب والموصل وذلك في شعبان من هذه السنة.

وفيهما توجه رسولا من حلب بدر بن أبي الهيجاء إلى الرومي في الخطبة.

(١) كوكب: قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية، حصينة رصينة تشرف على الأردن، افتتحها صلاح

الدين فيما افتتحه من البلاد، ثم خربت فيما بعد، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٨.

(٢) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) هو كمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه توفي سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م انظر: أبو شامة:

الذيل على الروضتين، ج ٥ ص ١٨٩ - ١٩٠، ١٧٢، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٤٥، وابن

كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٨٧.

(٤) المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٦٨.

وفيهما توجه الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد صاحب حمص إلى حلب في طلب نجدة إلى حمص فسيروا إلى خدمته عسكرياً.

وفيهما عاد رسول الملك المجاهد وهو الجمال بن الإمام الحموي من عند سلطان الروم وأخبره بما عنده من الرسل المجتمعة من الخليفة وسائر الملوك وأنه حلف لصاحب آمد بعد أن كان مقيماً عنده مدة وذلك عند سماعه بوصول الملك الأشرف الزكي بن العجمي حلف قبل وصوله حنقاً على الملك الأشرف وكانوا في ترقب وصول كريم الدين الخلاطي رسول الملك المعظم، وفيها وصل عماد الدين أحمد بن موسك إلى الملك الأشرف وهو بسنجار وصحبته رسول الخوارزمي الذي كان ابنه، ولما توفي المعظم أوصاه به^(١)، وفيها وصل رسول الخوارزمي وعلى يده كتاب بخط الوزير خواجه جهان^(٢) إلى الملك المجاهد صاحب حمص يخبر فيه ما جرى لهم مع الكافر وأنه في عزم المضي لاستقصاء شأفته، وكان صحبتهم هدية في جملتها ثلاثة أسارى من الكفار المأخوذون وعدة إلى المعظم وأنهم اتهموا بغدي مملوك أتابك أوزبك (٩١-ظ) صاحب الوزير بأن تبعهم بعد انفصاله عن الملك الأشرف وأخذهم بعد انفصاله عن الملك الأشرف.

وفيهما عاد شبل الدولة من عند الرومي ووصل في جوابه كيمياري^(٣) في اتمام الصلح والإيمان، وذلك بحرّان .

(١) ابن نضيف: التاريخ المنصوري ، ص ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤.

(٢) خواجه جهان: عبارة فارسية معناها سيد العالم انظر: النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص ١٨٦.

(٣) كمال الدين كيمياري: قاضي أرزنجان توفي سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م وأرزنجان: إحدى مدن أرمينية بين سيواس وأرزن الروم وبينها وبين كل من المدينتين أربعون فرسخاً وكان غالب أهلها من الأرمن وفيها مسلمون وتسمى أيضاً أرزنكان انظر: ابن البيبي (ناصر الدين حسين بن محمد ت ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م): الأوامر العلانية في

وفيها هرب بغدي مملوك أوزبك صاحب الوزير بأن تبعهم بعد انفصاله عن الأشرف وأخذهم بعد انفصاله عن الملك الأشرف حرّان إلى الخوارزمي بسبب أنه كان له حوالة وصار كل وقت يطلبها فقال بدر الدين قابيا الأشرفي وهو يومئذ نائبه في البلاد قولاً قبيحاً عن بغدي فلما بلغه هرب والتحق بالخوارزمي وكان بغدي في غاية الوبال على الناس هربته وكان قد عرف البلاد وتحقق العساكر بها ومن فيها^(١).

وفيها اتفق اجتماع عيد فطر المسلمين وعيد النصارى وعيد اليهود.

ذكر بعض خبر الملك المعظم صاحب دمشق وسيرته ووفاته

هو عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن والد الملوك نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الأيوبي صاحب دمشق، يُكنى أبا الفتح ويُلقب شرف الدين وتُنعى بالملك المعظم وكانت مملكته مُتسعة ما بين حمص وعريش مصر، يدخل في ذلك بلاد الساحل الإسلامية منها وبلاد الغور، وفلسطين، والقدس، والكرك، والشوبك، وصرخد، وغير ذلك، وكان عسكره ثلاثة آلاف فارس^(٢) ولم يكن عند أحد من أخوته جنودٌ مثلهم في فرط تجملهم وحسن زيهم، فكان بهذا العسكر القليل يكاد يقاوم أخويه الملك الكامل صاحب الديار المصرية، والملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية وبياريهما، وكان الملك الكامل يخافه لما يتوهمه من ميل عسكر مصر إلى الملك المعظم ومحبتهم له لما يعلمونه من قيامه بأمر الجند

الأمر العلانية، ص ٢٠٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٠، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٥٤.

(١) ابن نطف: التاريخ المنصوري، ج ١، ص ١٥٤.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥ ص ٢٠٥، النعماني (عبد القادر بن محمد ت ٩٢٧هـ): الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ص ٤٤٩.

وعنايته بهم ، وكان الملك [٩٢-و] الكامل مع أن عسكره كان يناهز اثني عشر ألفا وسعة ملكه لا يجسر على الخروج إلى الشام ويظن أنه إن خرج انحاز أكثر عسكره إلى الملك المعظم وحيل بينه وبين الديار المصرية فكان لذلك يُداريه ويهادنه في الظاهر وكان الملك المعظم مع ذلك يداري أخاه الملك الكامل ويخطب له على منابر بلاده ولا يذكر اسمه معه، ويضرب السكة باسمه ، وكذلك يُداري أخاه الملك الأشرف، وفي الباطن يؤلب عليهما سلطان العجم وملوك الأطراف فلذلك اضطر الملك الكامل إلى مراسلة الامبراطور ملك الفرنج واستدعائه إلى الساحل كما قدمنا شرحه وكان الملك المعظم ملكا كبيرا شجاعا أديبا كثير العدل والإحسان لئن الجانب سهل العريكة عالماً فاضلاً متفقها في الفقه والنحو وغيرهما وشيخه في النحو وعلم الأدب الشيخ تاج الدين^(١) أبو الحسن زيد بن الحسن الكندي وقرأ عليه كتاب سيبويه قال بعضهم لقد وقفتُ على نسخة من كتاب سيبويه ، وعليها خط الملك المعظم في عدة مواضع أظنها سيئة في بعضها:

يقول أتممتة مطالعة، وكان حنفي المذهب، وشيخه في الفقه الإمام جمال الدين الحصري، وكان يتردد إليه وإلى الشيخ تاج الدين المَقْدَم ذكره في معظم الأوقات ، وربما أتى إليهما ماشياً ولم يكن في بني أيوب حنفي المذهب سواه انفرد بذلك عن جميع ملوك بني أيوب فإنهم كلهم شافعية وتبعهما أولاده في المذهب[٩٢-ظ].

قال الشيخ الإمام العالم العامل القدوة والعلامة قاضي القضاة جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الشافعي المذهب الحموي في تأليفه مفرج الكروب في أخبار دول بني أيوب ما

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥ ، ص ٥٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ، ص ٧١، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦ ، ص ٢١٦.

صيعته: بلغني أَنَّ السلطان الملك العادل لأمّ ولدة الملك المعظم، وقال له كيف اخترت مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه واهلك كلهم شافعية؟ فقال لأبيه على سبيل الدعابة: يا خوند^(١) أما ترغبون أن يكون فيكم رجلٌ واحدٌ مسلم؟^(٢).

وكان شديد التعصب لمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، عزل خطيب الأقصى وكان شافعيًا ووليّ خطابة الأقصى رجلاً حنفيًا بغداديًا يُقال له شهاب الدين، وأبقى للشافعية قبة الصخرة فقط وأمر المؤذنين أن لا يرفعوا أصواتهم بتبليغ التكبير في حرم القدس الشريف، إلّا خلف إمام الأقصى لا غير وبنى بحرم القدس الشريف قبة ووقف عليها وقفًا جليلاً على من يشتغل في تلك القبة بعلم النحو واللغة والقراءات السبعة، وشرط أن لا يصرف الوقف إلّا إلى الحنفية فقط ومن اشتغل فيها من غيرهم لا يصرف إليه من الوقف شيء وليّ تدريسها الشيخ شمس الدين بن زريق البعلبكي تلميذ الشيخ تاج الدين الكندي، وقرأت عليه في تلك القبة الإيضاح لأبي علي الفارسي.

قال ولما وقف الملك المعظم على تاريخ بغداد للخطيب أبي بكر أحمد بن ثابت^(٣) الحافظ وفيه مطاعن على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه رواها الخطيب عن جماعة من المحدثين، وصنّف كتاباً في الرد على الخطيب وسمّاه السهم المصيب في الرد على الخطيب [٩٣-٩٠] وأجاب في هذا الكتاب عن كل مطعن ذكره بأحسن جواب، وذكر فيه مباحث جليلة ودقيقة في النحو والفقه ووقفْتُ على هذا الكتاب بالقدس الشريف وطالعتُهُ جميعه ووجدته في غاية

(١) خوند: كلمة فارسية ؛ وتعني: السيد العظيم، انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص ٧٠.

(٢) المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٦٨، ٦٩، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢١٢.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب المتوفى سنة ٤٦٣ هـ /

١٠٧٢ م صاحب كتاب تاريخ بغداد، انظر: خليفة، حاجي: كشف الظنون، ج ٤، ص ٢٨٨، والزركلي:

الأعلام، ج ١، ص ١٦٦.

الحسن، ثم ذكر في آخره مطاعن على الخطيب^(١)، وروي له أشعارا غزلية طعن بسببها في عدالته وقرّر بها جرحه وصنّف غير ذلك من الكتب^(٢).

وقال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله تعالى: كان الملك المعظم صاحب دمشق عالي الهمة حازما شجاعا مهيبا فاضلاً جامعاً شمل أرباب الفضائل محباً لهم وكان حنفي المذهب متعصباً لمذهبه وله فيه مشاركة حسنة، ولم يكن في بني أيوب حنفي سواه وتبعه أولاده، وقيل: أنه كان شرط لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مئة دينار وخلعه فحفظه لهذا السبب جماعة ورأيت بعضهم بدمشق، والناس يقولون: أن سبب حفظهم له كان هذا، وقيل إنه لما توفي كان قد انتهى بعضهم إلى أواخره وبعضهم في أثائه وهم على قدر أوقات شروعه فيهم ولم يُسمع بمثل هذه المنقبة لغيره.

قال وأخبرني جماعة عن شرف الدين بن عيين بن عيين بأمور كانت تجري بينهما تدل على حسن إدراكه وإصابة المقصد منها أنه بن عيين قد مرض فكتب إلى الملك المعظم^(٣).

انظر إليّ بعين مولى لم يزل يُولي الندى وتلاف قبل تلافِي
أنا كالذي احتاج ما تحتاجه فاغنم ثوابي والثناء الوافي
فجاء إليه بنفسه يعودته ومعه صرة فيها ثلاثمئة دينار، فقال هذه الصلة وأنا العائد، وهذه لو وقعت لأكابر النّحاة [٩٣-ظ] ومن هو في ممارسته طول عمره لاستعظم منه، لاسيما مثل هذا

(١) صاحب تاريخ بغداد انظر: المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٧٠.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣ ص ٤٩٥، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢١٣.

(٣) ابن عيين: ديوانه، ص ٩٢، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٠٢، والياضي: مرآة الجنان، ج ٤ ص ٤٧، والتلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص ٣٤٩، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٩٦.

الملك، وأشياء كثيرة غير هذه يطول شرحها، وكان المقصود ذكر أنموذج منها ليستدل بها على الباقي.

قال: وكان قد حجَّ إلى بيت الله الحرام ومدحه جماعة من الشعراء المجيدين، فأحسنوا في مدحه وكانت له رغبة في فنّه، وسمعتُ أشعاراً منسوبة إليه، ولم استثبتها فلم أثبت شيئاً منها^(١).

وقال غيره كان الملك المعظم ملكاً جليلاً شجاعاً مقداماً شديد البأس مهيباً، وكان عنده جماعة من الفضلاء لا يفارقونه في سفر ولا حضر منهم فخر القضاة نصر الله بن براقه المصري، وهو فاضلٌ في فنون الأدب والنظم والرسائل، فمنهم شرف الدين أبو المحاسن بن عيين الدمشقي كاتب الإنشاء وكان خيرَ الترسل فاضلاً متأدباً^(٢)، وذكر أنَّ الملك المعظم كان نازلاً بنابلس وفي معسكره بهاء الدين نصر بن محمد بن القيسراني، وبعث الملك المعظم جماعة من عسكره، فأغاروا على مدينة قيسارية من الساحل وكانت يومئذ بيد الفرنج فأسروا وقتلوا وعادوا مظفرين منصورين ومعهم من ثمار قيسارية أترج كثير وليمون وكان الملك المعظم عند قدومهم في دعوة الأمير ظهير الدين بن سنقر الحلبي، وهو من أكبر أمراء الملك المعظم وأبوه سنقر، كان مملوكاً لبيت القيسراني.

فقال الملك المعظم لظهير الدين: يا ظهير هذه الهدية من بلد استاذك " يعني ابن القيسراني^(٣) لأنَّ جدّه كان من أهل قيسارية، وأمر الملك المعظم بتعبئة طبق كبير من ذلك الأترج والليمون

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٩٤ - ٤٩٥.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص٢١٤، ٢١٥.

(٣) عز الدين ابن القيسراني: هو محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير المخزومي الحلبي القيسراني سمع عن ابن طبرذ وحدث وتقديم عند الملك صلاح الدين الصغير وخدمه مدة ثم ولاه النظر في دواوين الشام ووزر له توفي بدمشق سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٢٥.

وأمر بعض الغلمان بحمله إلى بهاء الدين بن القيسراني، ومضى مع الهدية ظهير الدين [٩٤و] ظهير الدين بن سنقر الحلبي، وكان في ذلك الوقت قد وصل إلى الملك المعظم الأمير سعد الدين بن كمشبه^(١) الأسدي، وهو ابن أخت الملك العادل، وقد سُرَّ الملك المعظم بوصوله إليه.

ولمَّا وصلت الهدية إلى بهاء الدين بن القيسراني كتب إلى الملك المعظم^(٢):

يا أيُّها الملك المعظم والذي
أوليتني نعمًا إذا أظهرتها
فليهنك اليوم الذي قد أطلعت
وقدوم سعد الدين أسعدُ ذابحٍ
فكتب إليه الملك المعظم رحمه الله :
يا مَنْ تفرَّد بالفضائل دائماً
لا زلتَ في درج المكارم راقياً
فكتب إليه بهاء الدين بن القيسراني
مَدحٌ بمدحٍ يستطاب ولا أرى
فأمر له الملك المعظم بقماش كثير^(٣) وذهب وحنطة وشعير وشمع، وخلع عليه ذكر أنَّ قيمة
الجميع يناهز ألف دينار سورية،^(٢) وقال للرسول: " قُل لبهاء الدين فلوس ما بيننا^(٣) ، وكان

(١) ورد [وكان صهره أي صهر الملك العادل سعد الدين كمشبه الأسدي بالكرك موكلًا]. انظر: العماد

الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ١٦١.

(٢) انظر: بهاء الدين ابن القيسراني: ديوانه، ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢١٨، والخضر، عبد الحسين: الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية،

الناصرية، ط ١٩٩٦م دمشق، ج ١، ص ٧٢.

(٤) وردت محروسا عند ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢١٨.

وكان شرف الدين بن عيين بن كثير الهجو، وكان الملك المعظم يعجبه هجوه ويضحكه فقال شرف الدين يوما أبياتا، وهو في المعسكر المعظمي يعرض لجمال الدين بن شيث^(٤) كاتب الإنشاء وكان مغرى بصناعة الكيمياء وجماعة من أصحاب الملك المعظم ويذكر غرام جمال الدين بعلم الكيمياء وهجا مع ذلك نفسه وهي^(٥)

أنا وابن شيث في الخيام زيادة
[٩٤-ظ] لا نيلنا يرجى ولا أضيافنا
أما الملق كما علمت فنسكه^(٦)
وفتى بجيله إن قرأ ما خطه
ومهوس بالكيمياء يقطع
يبغى من الأبوال تبرأ خالسا
وابن النفيس وذا الملق الصوفى
تقرى ولا تدعى لدفع مخوف
وقف^(٧) على زبدية ورغيف
عائنت^(٨) منه غرائب التصحيف
الأوقات بالأمال والتسويق
عقل لعمر أبيك جد سخي
ولما بلغ ذلك القاضي جمال الدين بن شيث، غضب وشكا شرف الدين بن عيين إلى الملك المعظم فأحضر الملك المعظم ابن عيين وأمره أن لا يعود يتعرض لجمال الدين بن شيث.

(١) القماش: قمش : قماش البيت : متاعه والمراد هنا ما يُعد لبس الأمير أو أحد الأعيان وأتباعه ودوابه

انظر: ابن منظور : لسان العرب، ج ١، ص ٤٨٧.

(٢) وردت [مصرية] ويبدو أن المقصود بالدنانير السورية العملة الذهبية التي كانت تضرب في مدينة صور في عصر الحروب الصليبية؛ انظر حسنين ربيع: النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، ص ٩٨.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ٢١٨.

(٤) ابن شيث: هو عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي صاحب كتاب معالم الكتابة (ت سنة ٦٢٥ هـ - ١٢٢٨ م) وقد نشر الخورى قسطنطين الباشا المخلصى هذا الكتاب في بيروت سنة ١٩١٣. انظر: ابن

العماد: شذرات الذهب، ج ٥ ص ١١٧.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ٢١٦.

(٦) وردت [وشكه] في ديوان ابن عيين، ص ١٤٧.

(٧) وردت [نصب] بمعنى الاحتفال كما يستعمله أهل دمشق. انظر: ديوان ابن عيين، ص ١٤٧.

(٨) وردت [أبصرت] انظر: ابن عيين (شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م): ديوان ابن عيين، ص ١٤٨.

فقال السمع والطاعة وقال بديها^(١):

كذب كل ما ادعى وزور أنا وحدي زيادة في الخيام
ولزوم السمات^(٢) أكبر همي ويدي الطوال عند الطعام
وضيوفي الأولى^(٣) يبيتون غرثي وعلاج الأبول أقصى مرامي
فأتى في هذا الاعتذار بما هو أعظم من الأول وأضحك الملك المعظم وأعجبه وولاه الملك
المعظم نظر الدواوين بدمشق، فكتب إليه يستعفيه من ذلك: ^(٤) [البحر الطويل]

أقلني عثاري واحتسبها^(٥) صنيعة تكون برحماها لك الله جازيا
كفى حزنا أن لست ترضى ولا أرى فتى راضيا عني ولا الله راضيا

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤، ص ٢١٦.

(٢) السمات: قطعة قماش ليس لها بطانة يمد عليها الطعام في المآدب ونحوها انظر: الزبيدي: تاج العروس،

ج ١٩، ص ٣٨٦، ومصطفى ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٩٣٠.

(٣) وردت [وضيوفي هم يبيتون غرثي. . . وعلاج الأبول أقصى مرامي] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢١٦.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢١٥، وابن عيين: ديوان ابن عيين، ص ٩٣.

(٥) وردت [اتخذها] انظر: ابن عيين: ديوان ابن عيين، ص ٩٣ ووردت [وَأَذْخَرَهَا] انظر: سبط ابن الجوزي: الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ٣٣٩.

ولست أرجى بعد سبعين حجةً حياة^(١) وقد لاقيتُ منها^(٢) الدواهيَا
ولأبْدَ أن ألقى الردى من مصمم وكم^(٣) يتوقى من تخطى الأفاعيَا
وكان أصل ابن عنين من حوران وله النظم البديع الذي لا يجاريه فيه أحد. وبني الملك المعظم
المذكور بالطرف الأعلى من جبل قاسيون مدرسة للسادة الحنفية ثم وقف عليها وقفا جليلة
وكان بنى بدمشق المدرسة الكبيرة للسادة الشافعية المعروفة بالمدرسة العادلية ودُفِن بها والده
الملك العادل (٩٥-١٠٠) ووقف عليها وقفا بدمشق وكان كثيرا ما يُنشد (الكامل)^(٤) :

ومورد الوجنات أغيد خاله بالحسن من فرط الملاحه عمّه
كحل الجفون وكرّ في لحظاتها غنجا، فقلت: سقى الحسام وسمّه
وهذا ينظر إلى قول عبد الجبار بن حمديس الأزدي الصقلي^(٥):

زادت على كحل الجفون تكحلا وتسم^(٦) نَضْلُ السَّهم وهو قتل
وُلِدَ الملك المعظم صاحب دمشق في سنة ثمان وسبعين وخمسمئة، وتوفي الملك عيسى في
هذه السنة من يوم الجمعة سلخ ذي القعدة من هذه السنة وهي سنة أربع وعشرين وستمئة
بالدوزنطاريا [الدوستاريا] بدمشق، ودُفِن في قلعتها، ثم نقل إلى جبل الصالحية^(٧).

(١) وردت [نجا] انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ٣٣٩.

(٢) وردت [فيها] انظر: ابن عنين: ديوان ابن عنين، ص ٩٣.

(٣) وردت [فكم] انظر: ابن عنين: ديوان ابن عنين، ص ٩٣.

(٤) انظر: العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في

ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج ٢٧ ص ٣٦٤-٣٦٥.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٢٥٥، ابن حمديس (ت ٥٢٧هـ / ١١٣٢م): ديوان ابن حمديس، تح:

تح: إحسان عباس، دار صادر - بيروت ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م، ص ٥٥٨.

(٦) وردت [ويسم] انظر: ابن خلكان: وفيات الاعيان ج ٣، ص ٢١٤.

(٧) الصالحية: قرية بسفح قاسيون أنشأها في أواخر القرن الخامس الهجري بنو قدامة المقدسة بعد نزوحهم
عن قرينتهم جماعيل في فلسطين هربا من الصليبيين وسبب تسميتها بهذا الاسم كما ذكر في ترجمة أبو عمر

وَدُفِنَ بالمدرسة المعروفة بالمعظمية التي قدمنا أنه بناها بطرف جبل قاسيون^(١).

وقال الشيخ محمد بن نظيف الحموي ما صيغته^(٢): كان الملك المعظم عيسى بن السلطان الملك العادل جباراً، مقداماً، هجماً، غير مفكر في عاقبة ما يعزم عليه، وكان مُطَرِحاً للملابس وغيرها وكان قد مال إلى الخوارزمي، وترك بيته وأهله وهو الذي أطمع الخوارزمي في البلاد الخلاطية وغيرها، وتوفي في العشر الأخير من ذي القعدة بدمشق، وكان مرضه دوزنطاريا. وقيل كان عمر الملك المعظم على ما ذكر تسعا وأربعين سنة وهذا القول يَدُلُّ على أن مولده قبل التاريخ الذي قدمنا ذكره، وكانت مدة ملكه لدمشق بعد وفاة والده الملك العادل تسع سنين.

وقال صاحب نظم السلوك في تاريخ الملوك كانت مدة مملكته بعد وفاة أبيه ثماني سنين وستة أشهر واثنين وعشرين يوما^(٣).

وخلّف الملك المعظم من الأولاد الذكور أربعة [٩٥-ظ] مات أحدهم صغيراً بعده بقليل، والثلاثة الباقون أحدهم الملك الناصر داود الذي سنذكر سلطنته إن شاء الله تعالى، وثانيهم الملك المغيث شهاب الدين عبد العزيز، وثالثهم الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك، وخلّف عدة

ضمن وفيات سنة ٦٠٧هـ ١٢١٠م أن الذين أقاموها نزلوا قبل ذلك في مسجد أبي صالح انظر: الشهابي:

معجم دمشق، ج ٢ ص ٦٩، النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٥٣٠.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٢٥.

(٢) ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٥٣.

(٣) مجير الدين (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،

تح: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، ج ١، ص ٤٠٥.

بنات إحداهن التي كان تزوجها السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ولم يتفق حملها إليه، ولمّا تُوفي الملك المعظم ^(١) رثاه الشعراء.

فمن ذلك ما رثاه به شرف الدين بن عنين ومدح ولده الملك الناصر داود رحمهما الله تعالى ^(٢):

يا دهر ويحك ما عدا فيما بدا	أرسلت ^(٣) سهم الحادثات فأقصدا
أغمدت سيفاً مرهفاً شفرأته	قد كان في ذات الآلهِ مُجَرِّداً
فأفعل بجهدك ما تشاء فإنني	بعد المعظم لا أبالي بالردى
ما خائته ^(٤) يفنى وأبقى بعده	يا بؤس عيشي ^(٥) ما أمرّ وأنكدا
لهفي على بدر تغيب في ثرى	رمس وبحر في ضريح ألحدا
أبقيت ^(٦) لي يا دهر بعد فراقه	كبداً مقرحة وجفنأً أرمداً
وجوى يُؤجج بين أثناء الحشا	ناراً تزايد بالدموع توقدا
لو كان خلق بالكمارم والتقى	يبقى لكان مدى الزمان مخلداً
أو كان شق الجيب ينقذ ^(٧) من ردى	شقت عليك بنو أبيك الأكبدا
أو كان يُغني عنك دفع بالقنا	الخطي غادرت ^(٨) الوشيح مقصدا
ولقد تمنّت أن تكون فوارس	من آل أيوب الكرام لك الفدا

(١) توفي الملك المعظم في دمشق سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م ودُفن بمدرسته المعظمية بسفح قاسيون في

الصالحية انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٠١.

(٢) انظر: ديوان ابن عنين، ص ٥٩ - ٦٢، وابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٢٠ - ٢٢٢، وديوان الملك الناصر داود، تح: عبد الحنين الخضر، ج ٢، ص ٥٣ - ٥٤.

(٣) وردت [أرشقت] في النسخة (م، مث) و [أزهقت] في النسخة (ب).

(٤) وردت [ما خلت أن يفنى] في النسخة (م، مث).

(٥) وردت [حالي] في النسخة (م، مث) دهري (ظ، ك، ف، ح، ص).

(٦) وردت [ألفيت] في النسخة (ك، ف).

(٧) وردت [بعدك نافعا] في النسخة (ح، ص).

(٨) وردت [عاد بك الوشيح] في النسخة (ك، ف، ح، ص).

أبكِيتَ حتّى نثرَةً وطِمرَةً
كم ليلة قد بت فيها لا ترى
تَحْمِي حمى الإسلام مُنتصراً له
ولرُبّ ملهوفٍ دعاه لحادثٍ
ولطالما شمنا بوارق كفه
[٩٦-و]

يامالكاً^(١) من بعد فقدي وجهه
اعزز عليّ بأن يزورك^(٢) راثياً
كم موردٍ ضنكٍ وردت وطعمه
وعزيز قوم مترفٍ سربلته
أركبته حلقات أدهم قصرت
لولا دفاعك بالصوارم والقنا
وديَار مصر لو وُنت عزمائه
ولامست البيض الحرائر أسهماً
ولأصبحت خيل الفرنج مغيرةً

جَار الزمان عليّ بعدك واعتدى
من كان^(٣) زارك بالمدائح مُنشدا
مرّ وقد عاف الكماة المورد
دُلاً وكان الطاغى المتمرداً
منه^(٤) الخطى من بعد أشقر أجرداً^(٥)
عن حوزة الاسلام عاد كما بدا
عن نصرها^(٦) لتمكنت فيها العدى
فيها سبائاً^(٧) والموالي أعبداً^(٨)
تجتأب ما بين البقيع إلى كدى^(٩)

(١) وردت [يا هالكاً] في النسخة (ظ، م، مث، ب).

(٢) وردت [أزورك] في النسخة (ك، ف).

(٣) وردت [إن كنت زرتك] في النسخة (ك، ف).

(٤) عنه الخطى من كل أشقر أجرداً (ظ، م، مث، ب) وعنه الخطى من كل متن أشقر أجرداً (ح، ص).

(٥) وردت [عنه الخطى من أشقر وأجرداً] في ديوان ابن عيين، ص ٦١.

(٦) وردت [غما بها] في النسخة (م).

(٧) وردت [إماماً] في النسخة (ظ، م، مث، ب، ح، ص).

(٨) وردت [ولألمست البيض الحرائر بينهم. . . فيها إماء والموالي أعبداً] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب،

ج ٤، ص ٢٢١.

(٩) البقيع: مقبرة أهل المدينة وتسمى بقيع الغرقد وهي العوسج تقع داخل المدينة قرب مسجد الرسول ﷺ وفيها

عليه وسلم وفيها يرقد كبار الصحابة والتابعين. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ١٢٠ وكدى:

موضع بأسفل مكة.

وبثغر دميّاط فكم من بيعة
أجليت ليل الكفر عنها بالظبي
ولقد شهدتك يوم قيسارية
والكفر معتصم بسور مشرف
فجعلت عاليها مكان أساسها
قل للأعادي: إن فقدنا سيداً
عبد الصليب بها وصارت مسجداً
وأنت في عرصات فجر الهدى
والشمس قد نسج القتال لها رداً
الأبراج أحكم بالصفيح وشيذاً
وألنت للأخشاب^(١) فيها الجامداً
يحمي الديار فقد وجدنا سيداً

الناصر^(٢) الملك الذي أضحى
أعلى الملوك محلّة وأسدّهم
ماضي العزيمة^(٤) لا يرى في رأيه^(٥)
يقظ يكاد يريه ثاقب فكره^(٦)
بروح القدس في كل الأمور مؤيداً
رأياً وأشجعهم وأطولهم^(٣) يداً
يوم الكريهة حائراً متردداً
في يومه ما سوف يأتيه غداً

ذكر سلطنة الملك الناصر داود بدمشق وبلادها^(٧)

(١) وردت للأخشاب في النص بينما وردت [كالأخشاب] في النسخة (ظ، م، مث، ب) وللأحشاء في النسخة (ح، ص)

(٢) الملك الناصر داود بن الملك المعظم.

(٣) وردت [رأياً وأشجعهم وأطولهم] في النص بينما وردت [رأياً وأشجعهم وأنداهم يداً] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ٢٢٢ ووردت [وأنداهم يداً] انظر: ديوان الملك الناصر داود "الفوائد الجليلة في الفرائد الناصرية، ج ٢، ص ٥٤.

(٤) وردت [ماضي العزيمة] في النص بينما وردت [العزائم] انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ٢٢٢.

(٥) وردت [مضيق] في النسخة (ك، ف).

(٦) وردت [فكره] في النص بينما وردت [رأيه] في النسخة (ظ، م، مث، ب)

(٧) انظر: المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٦٩.

لما توفي الملك المعظم شرف الدين عيسى^(١) بن الملك العادل الأيوبي صاحب دمشق وبلادها وبلادها كما قدمنا شرحه قام في ممالكه بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود، وهو أكبر أولاد المعظم [٩٦-ظ]، وكان عمره لما مات أبوه وولى الملك بعده إحدى وعشرين سنة، وكان يلقب أول ولايته الملك الحاكم ثم تلقب بعد ذلك بالملك الناصر، وقام بأمر الملك الناصر كله استاذ دار أبيه الأمير عز الدين أيبك المعظمي وكانت بيده صرخد وأعمالها واستمر في حماه في خدمة الملك العزيز فخر الدين عثمان صاحب بانياس وبلادها وهو شقيق الملك المعظم صاحب دمشق، والملك الصالح عماد الدين اسماعيل وكانت بيده بصرى والسواد وابن عمه الملك المغيـث شهاب الدين محمود بن الملك المغيـث بن الملك العادل ولما استقر أمر الملك الناصر بدمشق نفذت كتبه ورسله إلى عميـه السلطان الملك الكامل صاحب الديار المصرية والسلطان الملك الأشرف صاحب البلاد الشرقية بالتعزية بأبيه الملك المعظم فقعد كل منهما في عزائه ووصل إلى الملك الناصر داود صاحب دمشق الأمير علاء الدين بن شجاع الدين جلدك المظفري النقوي^(٢) رسولاً من السلطان الملك الكامل ومعه الخلعة وسنـجق السلطنة وكتب إليه بما طيـب قلبه وأقره على ممالك أبيه، فلبس خلعة عمه، وركب بالسـنـجق الواصل إليه ثم توفي للملك المعظم ولـدٌ صغير، فسأل الملك الناصر داود الشيخ شرف الدين بن عـينـين أن يعمل فيه مرثية على لسانه فقال قصيدة مطلعها: ^(٣)

لو أن غير الدهر كان العادي لتبادرت قومي إلى إنجادي

(١) توفي سنة ٦٢٤هـ ١٢٣٦م انظر: أبو شامة: الذيل على الروضتين، ج ٥، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) هو من ممالك الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب. انظر: أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٣٠.

(٣) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤ ص ٢٢٢، ٢٢٣، وابن عـينـين: ديوان ابن عـينـين، ص ٦٢ - ٦٤.

ولدافعت عنك ^(١) المنون فوارس
 قوم بني شاذي وأيوب لهم
 من كل وضاح إذا شهد الوغى
 المبصرون إذا السنايك ^(٢) أطلعت
 لم تنب في يوم الهياج سيوفهم
 قسماً لو أن الموت يقبل فدية
 قد كنت أرجو أن أراك مقاسمي
 وأراك في يومي وغى ومسرة
 خاننتي الأيام فيك ^(٣) فقربت
 ورممتي الأقدار منك بلوعة
 ومنها:

فسقى ضريحك كل دانٍ مسبل ^(٤)
 حتى ترى عرصا قبرك روضة ^(٥)
 وفي هذه السنة أرسل ^(٦) الملك الكامل صاحب الديار المصرية إلى ابن أخيه الملك الناصر
 صلاح الدين داود صاحب دمشق يطلب منه أن يسمح له من بلاده بقلعة الشوبك فقط ليجعلها
 خزانة له، فلم تقع منه الإجابة إلى ذلك، ولو أنه أعطاه الشوبك والتجأ إليه وقلده أمره لاستمر

^(١) وردت [عني] في النسخة [ح، ص].

^(٢) وردت [الأسنة] في النسخة [ح، ص].

^(٣) وردت [خصب] في النسخة [ب] وردت [لذات أنس] في النسخة [م، مث].

^(٤) وردت [حتى قربت] في النسخة [م] ووردت [فقطرت] في النسخة [ك، ف].

^(٥) وردت [مغلق] في النسخة [ب].

^(٦) وردت [متواتر] في النسخة [ح، ص].

^(٧) وردت [زينة] في النسخة [ب].

^(٨) وردت [بوسائع] انظر: ابن عيين: ديوان ابن عيين، ص ٦٤.

^(٩) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٢٥.

ملكه ولم يغير عليه قاعدة، وكان امتناعه من تسليم الشوبك سبباً لوحشة السلطان الكامل منه،
وجرى ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر استيلاء عساكر الملك الأشرف على بعض بلاد السلطان جلال الدين ثم خروجها عنهم^(١)

عنهم^(١)

كنا قدمنا ان السلطان مظفر الدين أوزبك بن البهلوان [٩٧-ظ] صاحب بلاد أذربيجان وأران
كان متزوجاً ابنة السلطان طغرل الأصغر بن السلطان أرسلان بن السلطان طغرل الأكبر بن
السلطان محمد بن السلطان ملكشاه السلجوقي، وكانت متحكمة في بلاده، وليس له ولا لغيره
فيها حكم معها، فلما تزوجها السلطان جلال الدين منكبرتي بن خوارزم شاه كما قدمنا شرحه
أعرض عنها، ولم يلتفت إليها فخافتة مع ما فاتها من الحكم في البلاد وتفرد الكلمة، فأرسلت
هي وأهل خوى^(٢) إلى الأمير حسام الدين علي الحاجب نائب السلطان الملك الأشرف صاحب
البلاد الشرقية بخلاط يستدعونه ليسلموا البلاد إليه، فسار في عساكر خلاط، واستولى على
مدينة خوى_ وسلماس^(٣) ومرند^(٤)، وكاتبه أهل نقجوان^(١) فمضى إليهم فسلموها إليه، وقويت

(١) انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٠٧-٢٠٨

(٢) وردت [فأرسلت والى خوى] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٧١.

(٣) سَلْمَاسُ: بفتح أوله وثانيه وآخره سين أخرى: مدينة مشهورة بأذربيجان، بينها وبين أرمية يومان وبين تبريز
ثلاثة أيام، وهي بينهما وقد خرب الآن معظمها وبين سلماس وخوي مرحلة وطول سلماس ثلاث وسبعون
درجة وسدس عرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣٨-
٢٣٩، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٥٨.

(٤) مَرْنَدُ: بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة ودال: من مشاهير مدن أذربيجان بينها وبين تبريز يومان انظر:
ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥ ص ١١٠ وقيل أنها قرية في الشمال الشرقي من تبريز انظر: القلقشندي:
صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٦٠.

وقويت شوكتهم بتلك البلاد فلو أنهم اقاموا بها لاستمر ملكهم لها لكنهم استصحبوا معهم زوجة السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه بنة السلطان طغرل السلجوقي^(٢) وعادوا إلى خلاط ثم بعد رجوعهم من البلاد استرجعها السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه والله أعلم، وفي هذه السنة وردت الاخبار بأن الحاجب علي بن حماد صاحب الدولة الأشرفية ونائبه بخلاط، وكان قد توجه إلى بلاد العجم فنزلها وإياه فبلغه أن خواجا جهان؛ وهو وزير السلطان الخوارزمي أخذ ثلاثة آلاف فارس ووصل إلى شميران^(٣) ونزل عليها فبلغ ذلك الحاجب علي في أول الليل فجرد عسكرياً أو ساق في ليلته وأصبح عليهم بشميران، وساق عليهم فكسرهم، وأخذ أثقالهم وأحمالهم [٩٨-و] وكوساتهم^(٤)، ولم يفلت منهم الا خواجا جهان بستة نفر، وتسلم الحاجب مدينة خوى، وسار يتسلم غيرها^(٥)، وكان ما قدمنا شرحه والله أعلم.

وفيهما ورد على الملك الأشرف رسول الديوان بهدايا وتحف وفي الجملة أنعام خمسين ألف دينار أتاكبيه، وقال له: أنني قد استخدمت عشرين ألفاً وأنا ملك لا خليفة وأغزوا بنفسي وجميع خزائني أبذلها، وقد عزمت على تسيير الرسل إلى البلاد بأن من لم يكن في طاعتك تركت

(١) نَحْجُوْأُنْ: بالفتح ثم السكون وجيم مضمومة وآخره نون وبعضهم يقول نقجوان والنسبة إليها نشوي على غير أصلها: بلد بأقصى أذربيجان من نواحي أران انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٧٦، ج ٤، ص ٨٠٣.

(٢) هو طغريل شاه بن أرسلان بن طغريل بن محمد بن ملكشاه آخر الملوك السلجوقية، خرج على الخليفة الناصر لدين الله وهزم الجيش الذي أرسله الخليفة إليه لقتاله ثم تمكن خوارزم شاه من قتله والقضاء عليه سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م مقابل أن يعينه الخليفة سلطانا انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤١ ص ٣٧٦-٣٧٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦ ص ١٣٤-١٣٥، أبو الفداء: المختصر، ج ١، ص ٣٧١.

(٣) شميران: إحدى قلاع إرمينية انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٤، ج ٥، ص ٢٩٧.

(٤) الكوسات: صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير يدق بأحدهما على الآخر بإيقاع محصوص يصاحب ذلك طبول وشبابة انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٩، ١٣.

(٥) انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص ١٥٣.

الذمة منه. وفيها شرع الملك الأشرف في عمارة بيمارستان الرقة بظاهرها عند باب الماء بالجانب القبلي، ووقف عليه الوقوف الحسنة^(١) [٩٨-ظ] وحج بالناس في هذه السنة أمير الحاج المصري ليقدم أعلام ملك مصر على أعلام الخليفة التي صحبة أمير الحج العراقي وحج الملك المظفر غازي بن الملك العادل الأيوبي وودعه أخوه الملك الأشرف ثم توجه الأشرف إلى سنجار بعد وداع أخيه إلى الحج وحج الأمير بدر الدين إيدمر الظاهري صاحب قلعة نجم وعمل في الطريق ما لا عمله غيره من الخيرات .

قال قاضي القضاة جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الشافعي الحموي صاحب كتاب مفرج الكروب في أخبار دول بني أيوب كتب^(٢): والذي في سنة أربع وعشرين من هذه السنة استأذن الملك المعظم يعني صاحب دمشق قبل وفاته في الحج فأذن له في ذلك فأحرم عند الصخرة الشريفة وسار إلى مكة المشرفة محرماً وأقامت مكانه بالمدرسة الناصرية يعني التي بالقدس الشريف فحج هذه السنة وأقام مجاور سنة خمس وعشرين ، ثم عاد إلى القدس الشريف في سنة ست وعشرين وستمئة والله اعلم.

ذكر وفاة من توفي من الاعيان في هذا العام وبعض أخبارهم

(١) على الأغلب نقل ابن الفرات الفقرتين من الكشف والبيان عن حوادث الزمان لأنها غير موجودة في التاريخ المنصوري فأسلوب المؤلف واضح فيهما وضوحاً تاماً مع أن ابن الفرات لا يذكر اسم ابن نظيف انظر: ابن نظيف: التاريخ المنصوري ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) انظر: ابن واصل : مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ٢٠٨ .

أحمد بن أبي القاسم القيسي الإسكندري، يَكْنَى أبا العباس^(١). قال الحافظ جمال الدين بن يوسف اليعموري: سمعت منه بالموصل توفي في الثاني عشر من ذي الحجة سنة أربع وعشرين وستمئة هذه السنة ، وجد مخنوقاً بسقاية المدرسة بالموصل رحمه الله تعالى

[٩٩-٩] إسماعيل بن القاضي صدر الدين أبي القاسم^(٢) عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني المصري وفاة، يُكْنَى أبا إبراهيم، ويُلقب عماد الدين الملقب بالشافعي المذهب، سمع بالقاهرة المحروسة من والده ومن أبي القاسم البوصيري، والحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر وغيرهم، وسمع بمدينة سيدنا ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيخ أبي محمد جعفر ابن أمرسان الأصبهاني، وأبي الحسين يحيى بن عبد السعدي، وأجاز له جماعة كثيرة، وحدث بمكة المشرفة وبالقاهرة المحروسة، وناب عن والده في القصائد، وبقي بالمدرسة السيفية بالقاهرة المحروسة، إلى حين وفاته، وكان عارفاً. وُلد لأربع خلون من شوال سنة سبعين وخمسمئة بالقاهرة المحروسة ، وتوفي في سحر الثاني عشر من شهر رمضان سنة أربع وعشرين هذه السنة بالقاهرة، ودُفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى.

اسحاق بن إبراهيم بن يحيى المصري^(٣) الفقيه الإمام العالم الوارق، رأيْتُ بخط بعض الإخوان وأخبرني قد زرت قرافة مصر الصغرى، وشاهدْتُ بسفح المقطم خلف تربة الطواشي كافور الهندي بالقرب من قبر الملك المظفر سيف الدين قطز على حجر بعد البسملة الشريفة {كلُّ

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٤٥، ص ١١٧.

(٢) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٨، ص ٣٩٧.

(٣) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٥٠، ص ٢٩٨، وسبط ابن الجوزي: ذيل مرآة الزمان، ج ٤، ص ١٤، والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ٣٩٧ - ٣٩٨، وابن شاکر الکتبی: عیون التواریخ، ج ٢١، ص ٢٦٦.

نفس ذائقة الموت} إلى آخرها، هذا قبر الفقيه الإمام العالم الورع إسحاق بن إبراهيم بن يحيى، توفي يوم الأحد ودُفن يوم الإثنين الثاني عشر من شهر رجب الفرد سنة أربع وعشرين وستمئة.

[٩٩-ظ]

عبد الرحمن بن عبد العلي بن علي المصري ويعرف باين السكري^(١)، يُكنى أبا القاسم ويلقب عماد الدين الفقيه الشافعي المذهب قاضي قضاة الديار المصرية، سمع الحديث من الفقيهين أبي الحسن علي بن خلف بن مجرور الكومي، وأبي اسحاق ابراهيم بن عمر بن سماقا الأسعدي^(٢) وغيرهما، وحَدَّث وتفقّه على الإمام شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود الطوسي وعلى الفقيه أبي المنصور وظافر بن الحسين الأزدي وولي قضاء القضاة بالديار المصرية والخطابة بالقاهرة المحروسة والتدريس بمدرسة "منازل العز"^(٣) بمصر المحروسة إلى حين وفاته وكان رحمه الله تعالى محباً للصالحين. ولد في سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة بمصر، وتوفي في الثامن عشر من شوال سنة أربع وعشرين هذه السنة بمصر، ودُفن من الغد بسفح المقطم.

(١) انظر: الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٩٣.

(٢) الأسعدي: بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح العين المهملة وسكون الراء ودال مهملة نسبة إلى أسعد من بلاد خلاط بأرمينية انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٤ ص ٩٨.

(٣) منازل العز: دار أنشأتها السيدة تغريد أم العزيز بالله، تشرف على النيل. اتخذها الخلفاء الفاطميون متنزهاً، وسكنها ناصر الدولة بن حمدان إلى أن قتل. انظر: المقرئ: المواظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٨٤ وج ٢، ص ٣٦٤.

عبد الرحمن بن إبراهيم^(١) بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي
الدمشقي، يكنى أبا محمد، ويلقب بهاء الدين الفقيه الحنبلي المذهب، سمع ببغداد من شهادة
وغيرها، وحدث بنابلس ودمشق. قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعموري رحمه الله
تعالى: سمعت منه، ولد سنة ست، ويقال سنة خمس وخمسين وخمسمئة، وتوفي في السابع
من ذي الحجة سنة أربع وعشرين هذه السنة بجبل قاسيون بدمشق، ودفن من يومه.

عمر بن الشيخ الأجل أبي الحارث^(٢) أعز بن الشيخ أبي حفص عمر بن محمد بن عمويه
القرشي التيمي السهروردي الأصل البغدادي المولد والدار والوفاة، يكنى أبا حفص الإمام
الصوفي [١٠٠-و]، سمع الحديث من أبي الوقت، وحدث، وله أخ اسمه محمد وهما من بيت
الحديث والصلاح والتصوف، والدهما أبو الحارث، وسمع من أبي علي محمد بن سعيد بن
نبهان، وحدث، وجدهما أبو حفص، ويقال أبو عبد الله عمر هو بن أخي الشيخ السهروردي،
صحب عمه وأخذ عنه الوعظ والتصوف، وترسل عن الديوان إلى جهات، وصنف تصنيفاً
حسناً في شرح أحوالهم، ولد الإمام عمر صاحب الترجمة في شهر رجب سنة اثنين وأربعين
 وخمسمئة، وتوفي في ليلة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمئة هذه
السنة ببغداد ودفن بمقبرة جامع المدينة أعز بفتح الهمزة وبعدها عين مهملة مفتوحة وزاي
معجمة مشددة، وعمويه بفتح العين المهملة وتشديد الميم وبعدها ياء مثناة من تحتها
مفتوحة.

(١) انظر: الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٩٣، وابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١١٤، وابن تغري بردي:

النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٦٩.

(٢) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ٢٠٢-٢٠٣، وابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، ص ٩٣-٩٤،

والمندري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٢٠٢.

علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن جباره^(١) الهذلي ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب شرف الدين، كان شيخاً أديباً نحويًا معتبراً، خدم في الاعمال الديوانية بالديار المصرية، ثم انه أضر فانقطع في منزله يشتغل بعلم الأدب، واستفاد منه الناس علماً كثيراً .

فمن شعره قولنا: (٢)

يُكفِيكَ أَنْ فَوَّادِي فِي تَلَاقِيكَ	لكل سورة وجد قد تلاقيكا
وَأَنْ قَلْبِي مَنِي مَا رَامَ تَسْلِيَةَ	من الغرام بني عزمي تلبيكا
يَا كَعْبَةَ الْحَسَنِ يَا ذَا الْقَلْبِ مُحْتَجِباً	فإنه نفع إجرامي تلبيكا
كَمْ لَيْلَةٍ غَبَّتْ عَنْ عَيْنِي فَمَا جَعَلْتُ	بالبدر في الأفق لما بات يحكيكا
وَقُلْتُ لِلْغَصَنِ لِمَا أَنْ حَكَكَ هَوَى	فلم أجد فيه شيئاً من يجاريك
أَهْوَى لِأَجْلِ بَنَائِكَ الْعَذَابِ	متى لم الأقاح ومافيها لما فيك
[١٠٠-ظ]	

مَعْلَلاً لَفَوَّادٍ لَمْ يَفِدْهُ سَوَى	هجر بقناص عن دخيل تمنيكاً
لَا حَسَنَ عَلَيْكَ النَّفْسَ مُحْتَسِباً	دمي لعل الذي أخفأت يديكا
إِنْ كُنْتُ أَنْكَرْتُ مَا بِي مِنْ جَوَى	وهوى فانظر لشاهد حالي فهو متمسكا
وَقَوْلُهُ:	

زِدْ يَا غَرَامِي وَإِنْ زَادَ الْحَبِيبُ قَلْبِي	فإن أدنى وصال منه يرضيكاً
وَكَمْ أَمْرٍ بِالصَّبْرِ قَلْبِي رَدَدْتَهُ	وخفت له مالي إليه سبيلا
وَقَوْلُهُ:	

شَفْعَةَ قَلْبِي أَسْكَنُوهَا بَيْتَهُ وَمَا	الصبر عنها يا جميل جميلا
--	--------------------------

(١) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٦ ، ص ١٠٦، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٣ ، ص ٣٩٨، والصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، ص ٢٠٨-٢٠٩، والسيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢ ، ص ١٤٩.

(٢) لم أجد تخريجاً لهذه الأبيات في المصادر المتوفرة بين يدي.

وإذا الصديق علا عليّ تكبراً
حولت وجهي عنه عدوته
وقوله:
ورأيت منه البرّ صار عفويّاً
شيئاً مضى فلم يكن مخلوقاً

شوق تمادى بي ملوك
ما شاب قلبي بالمودّة سلوة
قد طال عهد البين فما يشاء
وتوفي بعده سنة ثلاث وعشرين وستمئة، ولم أقف على سنة وفاته فلذلك أثبت ترجمته في هذه
السنة.
أنني علّلت قلبي باللقاء لذابا
لكن نودي التفرق شابا
إن لم يزر فابعث إليّ كتاباً

الخاتمة

وبعد كل هذا الجهد المتواضع لا أملك إلا أن أقول إنني قد عرضت رأيي وأدليت بأفكاري
لعلي أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه، وأتمنى أن أكون موفقة في سرد العناصر
السابقة بدون تقصير، وأخيراً ما أنا إلا بشر يخطئ وقد يُصيب .
بعد دراسة وتحقيق هذه القطعة بعنوان [تاريخ الدول والملوك] لابن الفرات الذي عاش في
العصر المملوكي الذي شهد نهضة في جميع المجالات .
وغير خافٍ على أحد أن للبحث صعوبات، وقد واجهت هذا العمل صعوبات أبرزها
تمثلت بعدم وجود نسخة ثانية من هذه القطعة، بل كانت هي الوحيدة وبخط المؤلف فلم
تجرِ مقارنات بين النسخ، فتم العمل على مقارنة الأحداث بما ورد عند المؤرخين
الآخرين، وقد سقطت أحداث منها ووفيات سنوات، وحدث تقديم وتأخير فيها
في الختام لا يقدر أحد على إنكار جهد ابن الفرات الذي أودعه في كتابه [تاريخ الدول
والملوك]، فقد ضمنه ابن الفرات أحداثاً ألفت الضوء على التاريخ العربي الإسلامي في
عصر يُعد من أزهى العصور التي عاشتها الأمة، فاستحق بذلك أن يُعد من العلماء
البارزين في علم التاريخ.

ملاحق:

سلاطين المماليك

أ- دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م)

شجرة الدر	٦٤٨هـ / ١٢٥٠م
المعز عز الدين أيك	٦٤٨-٦٥٥هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧م
المنصور نور الدين علي	٦٥٥-٦٥٧هـ / ١٢٥٧-١٢٥٩م
المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٩-١٢٦٠م
ركن الدين بيبرس البندقداري	٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م
السعيد ناصر الدين محمد بركة خان	٦٧٦-٦٧٨هـ / ١٢٧٧-١٢٧٩م
العادل بدر الدين سلامش	٦٧٨هـ / ١٢٧٩م
المنصور سيف الدين قلاوون	٦٧٨-٦٧٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م
الأشرف صلاح الدين خليل	٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣م
الناصر ناصر الدين محمد : المرة	٦٩٣-٦٩٤هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م
العادل زين الدين كتبغا	٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م
المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦-٦٩٨هـ / ١٢٩٦-١٢٩٩م
الناصر ناصر الدين محمد: المرة الثانية	٦٩٨-٧٠٨هـ / ١٢٩٩-١٣٠٩م
المظفر بيبرس الجاشنكير	٧٠٨-٧٠٩هـ / ١٣٠٩-١٣١٠م
الناصر ناصر الدين محمد: المرة الثالثة	٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣١٠-١٣٤٠م
المنصور سيف الدين أبو بكر بن	٧٤١-٧٤٢هـ / ١٣٤٠-١٣٤١م
الأشرف علاء الدين كجك بن	٧٤٢هـ / ١٣٤١م
الناصر شهاب الدين أحمد بن	٧٤٢-٧٤٣هـ / ١٣٤٢م
الصالح عماد الدين إسماعيل بن	٧٤٣-٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥م

الكمال سيف الدين شعبان بن	٧٤٦-٧٤٧هـ / ١٣٤٥-١٣٤٦م
المظفر زين الدين حاجي بن الناصر	٧٤٧-٧٤٨هـ / ١٣٤٦-١٣٤٨م
الناصر أبو المحاسن حسن بن	٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٨-١٣٥١م
الصالح صلاح الدين بن محمد بن	٧٥٢-٧٥٥هـ / ١٣٥١-١٣٥٤م
الناصر أبو المحاسن حسن بن	٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦١م
المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي	٧٦٢-٧٦٤هـ / ١٣٦١-١٣٦٣م
الأشرف أبو المعالي زين الدين	٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٣-١٣٧٧م
المنصور علاء الدين علي بن شعبان	٧٧٨-٧٨٣هـ / ١٣٧٧-١٣٨١م
الصالح صلاح الدين حاجي بن	٧٨٣-٧٨٤هـ / ١٣٨١-١٣٨٢م

أسماء سلاطين المماليك^(١)، وتواريخ حكمهم في مصر

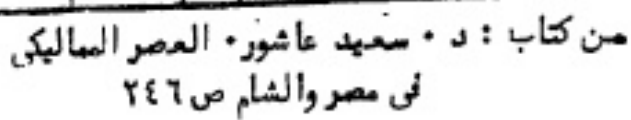
دولة البحرية أو القبحاق

المعز أيبك	٦٤٨-٦٥٥هـ / ١٢٥٠-١٢٥٢م
المنصور علي	٦٥٥-٦٥٧هـ / ١٢٥٧-١٢٥٩م
المظفر قطز	٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٩-١٢٦٠م
الظاهر بيبرس	٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م
السعيد بركة خان	٦٧٦-٦٧٨هـ / ١٢٧٧-١٢٧٩م
العادل سلامش	٦٧٨هـ / ١٢٧٩م
المنصور قلاوون	٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م
الأشرف خليل	٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣م
الرحيم بيدار	٦٩٣هـ / ١٢٩٣م

(١) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر: زكي حسن وحسن محمود، القاهرة

١٩٥٢م، ج ١، ص ٣-٥٢.

الناصر محمد	٦٩٣-٦٩٤هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م
العادل كتبغا	٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م
المنصور لاجين	٦٩٦-٦٩٨هـ / ١٢٩٧-١٢٩٩م
الناصر محمد (مرة ثانية)	٦٩٨-٧٠٨هـ / ١٢٩٩-١٣٠٨م
المظفر بيبرس الجاشنكير	٧٠٨-٧٠٩هـ / ١٣٠٩-١٣١٠م
الناصر محمد (مرة ثالثة)	٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣١٠-١٣٤١م
المنصور أبو بكر	٧٤١-٧٤٢هـ / ١٣٤١م
الأشرف كجك	٧٤٢هـ / ١٣٤١-١٣٤٢م



()

(١) انظر: من كتاب سعيد عاشور - العصر المماليكي في مصر والشام ، ص ٢٤٦ .



من كتاب : د . سعيد عاشور
الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٣

(١)

(١) انظر: كتاب سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١١٣.



امبراطورية المغول
من كتاب د. الصبيح . المغول في التاريخ
الجزء الأول

(١)

(١) انظر: كتاب الصياد- المغول في التاريخ، ج ١، ص ١٣٢.

رقم التصريف ٥٥٥ / ٦٧٠

100-443887-100

ورقم المخطوط فيها ٢١٩

امم الكتاب علیہ السلام وبنوہ (محمدیہ)

اسم المؤلف : محمد بن عبد السلام بن الحسين بن أحمد بن أبي الفرات - ق

تاريخ الامم والقوم

عدد الأوراق ٩٩٥

القواسم

الملاحظات بيننا بغير محاربت سنة ١١٠٠ هـ في طرقات الهند في حدود

1888-1889

باوند و درین خط ایستاده اند و درین خط ایستاده اند
و درین خط ایستاده اند و درین خط ایستاده اند

146

المجلد العاشر

(من تاريخ الدول والملوك لابن الفرات)

(تنبيه قسم كل مجلد من الأصول إلى مجلدين عند التجليد لغلظ الورق فالحول في عدة المجلدات على هذا التقسيم)

(الأرقام الموضوعه بين قوسين هكذا (١) (٢) بعد أرقام الصفحات في الفهرس الذي وضعناه للكتاب هو للدلالة على العمود الأول والثاني في الصفحة)



نقل من خزانة قبة الحكمة

ص ١ (٢) سنة ٦١٦ سقط أول أخبارها

ص ٢٧ سقطت وفيات سنة ٦١٨ وسقطت سنة ٦١٩ وسنة ٦٢٠ وأول أخبار سنة ٦٢١

سنة ٦١٦ وقد نلت اختيار من أولاد

[illegible]

قسم التصوير
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٤٨

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر:

- أحمد شلبي:
 - ١- التاريخ الاسلامي، ج ٥
- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ت ٦٣٠هـ):
 - ٢ - الكامل في التاريخ، ج ١١.
- الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالب المعروف بالشريف (ت: ٥٦٠هـ):
 - ٣ - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق عالم الكتب بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ ، ج ٢ .
- الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن اسحاق بن مهران ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م):
 - ٤ - خريدة القصر وجريدة العصر، تح: عدنان محمد آل الطعمة، مؤسسة الطباعة والنشر، ط ١، طهران، د.ت، ج ٣ .
- الأصفهاني (عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) :
 - ٥ - البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ج ١ .
- ابن أبي أصيبعة، (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) :
 - ٦- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، ط ٤، دار الثقافة بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ج ٣.

٧- الموسوعة التاريخية: إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، ج ٥.

• ابن إياس:

٨- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٣ ص ٤٥

• ابن أبيك الدوداري:

٩- الدرة الزكية في تاريخ الدولة التركية

• بروكلمان، كارل:

١٠- : تاريخ الآداب العربية، تر: عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، ط ٢،

١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م، ج ١.

١١- تاريخ الأدب العربي، ج ٢.

• ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م):

١٢- رحلة ابن بطوطة (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)،

تح: علي المنتصر الكناني، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧، ج ٣

• البغدادي (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٧م):

١٣- هدية العارفين، ج ١ العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، دار الفكر، بيروت

١٩٨٨م، مج ١.

• بهاء الدين زهير (أبو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبى ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م):

١٤- ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر- بيروت، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

• ابن البيبي (ناصر الدين حسين بن محمد ت ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م) :

١٥- الأوامر العلانية في الأمور العلانية.

- ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م):
- ١٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: جمال الدين الشيال وفهيم شلتوت، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ج ٦.
- ١٧- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، نبيل عبد العزيز، تقديم: سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤ / ١٩٩٤م، ج ٥.
- التلمساني (شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ ت ١٠٤١هـ):
- ١٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح: إحسان عباس، دار صادر-بيروت-لبنان ص.ب ١٠، ج ٢، ط ٢، ١٩٩٧م.
- أبو تمام:
- ١٩- ديوانه، ط. بيروت
- تيمور باشا:
- ٢٠- مقدمة المجلد الأول من مخطوط ابن الفرات (صورة فوتوستاتية بدار الكتب المصرية)، أحمد الشامي: دراسة في مخطوطة الدول والملوك، القاهرة.
- الجوهرى (اسماعيل بن حماد):
- ٢١- الصحاح، ج ٦.
- ابن حبيب:
- ٢٢- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تح: أمين، محمد محمد، القاهرة، ١٩٨٦م، ج ٣
- ابن حجر العسقلاني:
- ٢٣- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تح: يوسف المرعشلي، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج ٢

٢٤- مقدمة إنباء الغمر، ج ١

٢٥- ذيل الدرر الكامنة، تح: عدنان درويش، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٦- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تح: علي البجأوي، بيروت، ج ٤.

• حلبي، كامل بن حسين:

٢٧ - نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم ، ط ٢ ، حلب، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ج ٣

• حمدي، حافظ أحمد:

٢٨ - الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربي، دم، د.ت.

• الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم):

٢٩- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر

للتقافة -بيروت -طبع على مطابع دار السراج، ط ٢، ١٩٨٠ م، ج ١.

• ابن الحنبلي (أحمد بن إبراهيم بن نصر الله ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م):

٣٠- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تح: ناظم رشيد ، بغداد، ١٩٧٨م

• الخضر، عبد الحسين:

٣١ - الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية، ط ١ ١٩٩٦م دمشق، مج ١.

• الخطيب البغدادي (أحمد بن علي):

٣٢- هدية العارفين، ج ٢

• الخطيب(مصطفى عبد الكريم) :

٣٣- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ١٤١٧هـ/

١٩٩٦م.

• ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :

٣٤- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن

الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج ٨.

- ٣٥ - مقدمة ابن خلدون ، ، تح: درويش الجويدي، المكتبة المصرية، ط٢ صيدا- بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):
- ٣٦- وفیات الأعيان وأنباء الزمان ، تح: احسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٦٨م، ط٣.
- خليفة، حاجي(مصطفى بن عبد الله ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م):
- ٣٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون تح: محمد شرف الدين يالنتقايا ، رفعت بيلكه الكليسي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت ، ج ١، طبعة طهران ١٩٤٧م.
- ابن الدمياطي(أحمد بن أيك بن عبد الله الحسيني ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):
- ٣٨- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج ١ .
- الدميرى:
- ٣٩- حياة الحيوان الكبرى ، ١٩٦٣م، ج ٢ .
- دهمان(محمد أحمد ت١٣١٧-١٤٠٩هـ/ ١٨٩٩-١٩٨٨م):
- ٤٠- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- الدواداري(أبو بكر بن عبد الله بن أيك ت ٧٣٦هـ/ ١٤٣٢م) :
- ٤١- كنز الدرر وجامع الغرر، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م، ج ٧ .
- الدينوري(محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):
- ٤٢- عيون الأخبار، ج ١ .

- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :
 - ٤٣ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.
 - ٤٤ - العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بليون زغلول - لبنان ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ٣.
 - ٤٥ - المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الديلمي، ج ١.
 - ٤٦ - تذكرة الحفاظ، ج ٤ ص ١٤٩٨.
 - ٤٧ - دول الإسلام، ج ٢.
 - ٤٨ - سير أعلام النبلاء، ج ٢٠.
- رافع السلامي (تقي الدين محمد بن هجرس):
 - ٤٩ - وفيات ابن رافع السلامي، ج ٢.
 - ربيع (حسنين محمد ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) :
 - ٥٠ - النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ابن رجب (عبد الرحمن بن أحمد ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م) :
 - ٥١ - الذيل على طبقات الحنابلة، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكات، ط ١ الرياض، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، ج ٣.
- رنسيما :
 - ٥٢ - تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣ ص ٥٢٢ - ٥٢٣.
- الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) :

- ٥٣ - تاج العروس، دار الهداية، ج ٦.
- الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م):
- ٥٤ - الأعلام، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م، ج ٧.
- زيتون، عادل :
- ٥٥ - تاريخ الممالك، جامعة دمشق، ط ٣، دمشق، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م
- ابن الساعي:
- ٥٦ - تاريخ ابن الساعي، تح: محمد عبد الله القدحات، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م
- ج ٩
- سالم، سحر السيد عبد العزيز:
- ٥٧ - دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب جامعة الاسكندرية، ٢٠٠٩م.
- ابن سباط (حمزة بن أحمد بن عمر ت بعد سنة ٩٢٦هـ / ١٩٢٠م) :
- ٥٨ - صدق الأخبار، ج ١.
- سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزؤغلي بن عبد الله ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م):
- ٥٩ - ذيل مرآة الزمان، ج ٣.
- السبكي (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م) :
- ٦٠ - طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٧٦م، ج ٥.
- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) :

٦١ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٩م.

٦٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجبل ، بيروت، د.ت، ج ٤ .

• السمعاني:

٦٣- الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م، ج ٥.

• السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :

٦٤ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم،

القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ج١، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٦٥- لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، ج١.

• الشاعر (محمد فتحي):

٦٦ - مصر قاهرة المغول في عين جالوت

• أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم المقدسي ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م):

٦٧- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تح: محمد حلمي محمد أحمد،

مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢ القاهرة ١٩٩٨ م، ج ١ .

٦٨- اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال، محمد

حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الاسلامي،

جامعة القاهرة، مصر ج ٢.

• ابن شدّاد (عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي ت:

٦٨٤ هـ).

٦٩- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح: دومنيك سورديل، المعهد

الفرنسي، ١٩٩٨ م، ج ١ .

٧٠- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية.

• ابن الشمان (عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) :

- ٧١ - مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل ، بيروت ط ١ ،
١٤١٢هـ، ج ٢ .
- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت ٥٤٨هـ /
١١٥٣م):
- ٧٢ - الملل والنحل، تح: أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ /
١٩٩٢م مؤسسة الحلبي، ط ٢ .
- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م):
- ٧٣ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ، تح: حسين عبد الله العمري، دار
الفكر المعاصر، ط ١، بيروت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- شيخ الربوة، الدمشقي (شمس الدين أبو عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري) :
٧٤ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار إحياء التراث العربي، ط ٢
بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م):
- ٧٥ - الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي،
ط ١ بيروت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج ٥.
- ٧٦ - المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار، ج ١.
- ابن الصيرفي (أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان التتوخي المصري ت ٥٤٢هـ /
١١٤٧م) :
- ٧٧ - أنباء الهصر بأبناء العصر.
- ابن طاهر البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي
التميمي ت ١٠٣٧م / ٤٢٩هـ):
- ٧٨ - الفرق بين الفرق.
- ابن طباطبا (محمد بن علي):

٧٩- الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م

- ابن طولون (محمد بن علي بن أحمد الصالحي ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) :
٨٠- قضاة دمشق.
- ٨١ - القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، تح: محمد أحمد دهمان، ط٢،
دمشق ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م.
- أبو الطيب المكي (محمد بن أحمد بن علي تقي الدين الفاسي ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م):
٨٢- ذيل التقييد في رواة السند والأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب
العلمية- بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ١.
- ابن عبد الحق :
٨٣- مرآصد الاطلاع، ج ١ ص ٦، ج ٣.
- ابن عبد الظاهر:
٨٤ - الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر.
- ابن العبري:
٨٥ - تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٣٠٨هـ /،
١٨٩٠، ط٢.
- ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة
ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) :
٨٦ - بغية الطلب في تاريخ حلب، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م، مج ١.
٨٧- زبدة الحلب، ج ٣
- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧١هـ):
٨٨ - تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

- ابن العماد (شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحميد بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي
الدمشقي ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) :
- ٨٩ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ .
- العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) :
- ٩٠ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١،
١٤٢٣ هـ، ج ٩ .
- ابن العميد:
- ٩١ - اخبار الايوبيين.
- ابن عنين (شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م):
- ٩٢ - ديوان ابن عنين، تح: خليل مردم بك، دار صادر -بيروت، ١٨٩٥-١٩٥٩م
، ط٢ .
- العيني (أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي
بدر الدين ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) :
- ٩٣ - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ١ .
- ابن الغزي (محمد بن عبد الرحمن الغزي ت ١١٦٧هـ / ١٧٥٣م):
- ٩٤ - ديوان الإسلام، تح: سيد كسروى حسن، بيروت ١٩٩٠م، ج ٣.
- غوثشالك:
- ٩٥ - الملك الكامل.
- الفاسي:
- ٩٦ - ذيل التقييد، ج ١ .
- أبو الفداء (اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب
ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م):
- ٩٧ - المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ج ٣.

٩٨ - تقويم البلدان، تصحيح: ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس

١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م.

• ابن الفرات:

٩٩- تاريخ ابن الفرات، تح: قسطنطين زريق، ج ٨ .

• الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ت ١٧٠هـ):

١٠٠- كتاب العين تح: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،

ج ١

• فروخ، عمر:

١٠١ - تاريخ الأدب العربي

• أبو الفضائل (مفضل بن أبي الفضائل):

١٠٢ - النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، ج ١ .

١٠٣ - الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي الموسوعة الاسلامي

• أبو الفضل (عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي

ت ٥٤٤هـ):

١٠٤ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفحاء - عمان، ط ٢، ١٤٠٧هـ،

ج ٢.

• ابن فهد المكي:

١٠٥- لحظ الألاحظ بذيّل طبقات الحفاظ.

• ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني

ت ٧٢٣هـ) :

١٠٦- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ج ١ .

• الفيروزآبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ / ١٤١٥م) :

- ١٠٧- القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ج ١.
- ابن قاضي شهبة ((أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م):
- ١٠٨- طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، ج ٢.
- القرشي (عبد القادر بن محمد بن نصر الله ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م):
- ١٠٩ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ط ٢، ج ٢.
- القرمانى:
- ١١٠ - أخبار الدول.
- القزويني (أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م):
- ١١١ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر - بيروت، ج ١.
- قلججي (محمد رواس قنبيي و حامد صادق):
- ١١٢ - معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج ١.
- القلقشندي (أحمد بن عبد الله بن أحمد ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
- ١١٣ - صبح الأعشى في صناعة الانشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٤، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.
- ١١٤ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط بغداد ١٩٥٨.
- كبريت (محمد بن عبد الله بن محمد من أحفاد شرف الدين بن يحيى الحمزي الحسيني المولوي ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٠٩ م):
- ١١٥ - رحلة الشتاء والصيف، تح: الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٣٨٥ هـ، ج ١.

- الكتبي، (صلاح الدين محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر ت ٧٦٤هـ):
١١٦ - فوات الوفيات، ط١، دار صادر - بيروت ١٩٧٤ م ج ٤ ، ١٩٧٤م
- ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) :
١١٧ - البداية والنهاية ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر، د.ت، ج١٧.
- كي لسترانج:
١١٨ - بلدان الخلافة الشرقية.
- ١١٩ - بغداد في عهد الخلافة العباسية ، تر: بشير فرنسيس، ص٢٩٢. نقلا عن تاريخ المغول.
- مجير الدين (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م) :
١٢٠ - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس ج ١ .
- محمد بن أحمد ميارة المالكي:
١٢١ - الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، تح: عبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المقرئ (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):
١٢٢ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٢ .
- ١٢٣ - المختار من إغاثة الأمة في كشف الغمة ، تح: زيادة، محمد مصطفى، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ١٣٥٣ - ١٣٧٨هـ/ ١٩٣٤ - ١٩٥٨م

١٢٤ - السلوك، لمعرفة دول الملوك ، تح: محمد عبد القادر عطا، صححه ووضع حواشيه أحمد زيادة ، القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م، ط ٢ ، ج ١ قسم ٢.

١٢٥ - درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح: عدنان درويش، محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

١٢٦ - إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، ج ١٥.

- أبو المعالي (ركن الدين الملقب بإمام الحرمين ت: ٤٧٨هـ):

١٢٧ - نهاية المطلب في دراية المذهب عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تح: عبد العظيم محمود الديب دار المنهاج ط: ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ج ٢.

- ابن المعمار البغدادي (ت ٦٤٢هـ) :

١٢٨ - الفتوة، تح: فؤاد حسنين، سلسلة كتب ثقافية (التراث القديم ٣)، القاهرة بغداد ١٩٥٨.

- ابن مماتي (أسعد بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن نينا شرف الدين، ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م):

١٢٩ - قوانين الدواوين، تح: عزيز سوريال عطية، القاهرة ١٩٤٣م.

- المنجد (صلاح الدين):

١٣٠ - مخطط دمشق القديمة.

- المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدين أبو محمد ت ٩٦٩م) :

١٣١ - التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ، ط ٢، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ / ١٣١١م):
١٣٢ - لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ط ٢، ج ١
- موير ، وليم:
١٣٣ - تاريخ دولة المماليك في مصر ، تر: محمد عابدين وسليم حسن ، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ابن نباتة (عبد الرحيم بن محمد ت ٣٧٤هـ):
١٣٤ - ديوان خطب ابن نباتة، تح: ياسر محمد خير المقداد، مجلة الوعي الإسلامي - الكويت ١٤٣٣ - ٢٠١٢، ط ١.
- ابن النجار (محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م):
١٣٥ - ذيل تاريخ بغداد، ج ٤.
- النسوي:
١٣٦ - سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي.
- ابن نظيف الحموي (محمد بن علي ت بعد سنة ٧٣٧هـ / ١٢٣٩م) :
١٣٧ - التاريخ المنصوري.
- النعيمي (عبد القادر بن محمد ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م):
١٣٨ - الدارس في تاريخ المدارس، تح: ابراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ج ١ ١٤٢١هـ / ١٩٩٠م.
- النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) :
١٣٩ - نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- الهمداني (أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي):
١٤٠ - الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تح: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٤١٥ هـ، ج ١.

- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) :
١٤١ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ال تح: حسنين محمد ربيع -سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية -المطبعة الأميرية- القاهرة -جمهورية مصر العربية ١٣٧٧ هـ -١٩٥٧ م ، ج ٤.
- ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين ابن الوردي المعري ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) :
١٤٢ - تاريخ ابن الوردي الناشر: دار الكتب العلمية -لبنان ، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ج ٢
١٤٣ - تتمة المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٦م، ج ٢.
- اليافعي (أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م):
١٤٤ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧ م، ج ٤.
• ياقوت الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م):
١٤٥ - معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ م ج ٤
• اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) :
١٤٦ - البلدان لليعقوبي، دار صادر، بيروت.
• اليونيني(قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) :
١٤٧ - ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ط ٢، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢ م، ج ١.

ثالثاً: المراجع:

- الأيوبي (خليل): -
١- ديوان السلطان خليل الأيوبي، تح: عبد الحسني الخضر، مج ١.
- حبيبة، علي حسن:
٢- الحروب الصليبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٩م
- حمدي، حافظ أحمد:
٣- الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي.
- حمزة، عبد اللطيف:
٤- الحركة الفكرية في مصر في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط١، دار الفكر العربي.
- رضا زاده شفق:
٥- تاريخ الأدب الفارسي.
- زامباور (إدوارد فون ت ١٨٦٦هـ / ١٩٤٧م):
٦- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر: زكي حسن وحسن محمود، القاهرة ١٩٥٢م، ج ١.
- الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م):
٧- الأعلام، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م، ج ٧
- زريق، قسطنطين:
٨- مقدمة المجلد التاسع من تاريخ ابن الفرات، الشماع، حسن: مقدمة المجلد الرابع من تاريخ ابن الفرات.

- زغروت، فتحي:
- ٩- النوازل الكبرى في التاريخ، الأندلس الجديدة، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط١.
- زگار (سهيل) :
- ١٠- الموسوعة الشامية، ج ٣٣ .
- السرجاني (راغب):
- ١١- التتار من البداية إلى عين جالوت، ج ٢
- سرور، جمال:
- ١٢- دولة الظاهر بيبرس ، القاهرة ١٩٦٠م
- سلام، محمد زغلول:
- ١٣- الأدب في العصر المملوكي، ج ١
- السلاوي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري
ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م):
- ١٤- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري/ محمد الناصري،
دار الكتاب -الدار البيضاء، ج ٥.
- سليم، محمود رزوق:
- ١٥- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية ،
مصر، د.ت.
- سليمان أحمد عبد الكريم:
- ١٦- المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس دار النهضة، ط١، القاهرة،
١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
- السيد أحمد الهاشمي:
- ١٧ - جواهر الأدب، ج ٢.

- السيد، حكيم أمين:
١٨- قيام دولة المماليك الثانية، القاهرة ١٩٦٦م.
- شلبي، أحمد:
١٩- موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة، ط٨، ١٩٩٠م ج ١٥ .
- شلبي، محمود:
٢٠- حياة الملك المظفر قطز بطل عين جالوت، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ط١.
- الشماع، حسن:
٢١- مقدمة تحقيق مخطوط تاريخ ابن الفرات، جامعة البصرة، ١٩٦٧م، ج ٤
- الشهابي (قتيبة ت ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م). :
٢٢- معالم دمشق التاريخية، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦م ج ٢ .
- شيخ أمين، بكري:
٢٣ - مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني.
- الصاوي (محمد الصاوي):
٢٤- هولاكو الامير السفاح.
- الصَّلابي (علي محمد محمد) : -
٢٥- الأيوبيون بعد صلاح الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١ ، ج ١.
- ضيف، شوقي:
٢٦ - تاريخ الأدب العربي، ج ٧ .

• طقوش، محمد سهيل:

٢٧- تاريخ الممالك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس ، ط٢، بيروت، ١٩٩٧م
الأنصاري، ناصر: المجلد في تاريخ مصر، دار الشروق، ط٢، القاهرة، ١٤١٧هـ/
١٩٩٧م.

• الطهطاوي (رفاعة بك):

٢٨- جغرافية ملطبرون، ج٣.

• عاشور عاشور، سعيد عبد الفتاح :

٢٩- العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٧٦م
٣٠- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة،
١٩٩٢م .

• العبادي، أحمد مختار:

٣١- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، بيروت، ١٩٨٦م

• عبد البديع، لطفي:

٣٢- فهرس المخطوطات المصورة، ج٢.

• عبد الرحمن زكي :

٣٣- كتاب السلاح في الاسلام.

• عبد القادر الداري:

٣٤- الطبقات السنية ، تح: عبد الفتاح محمد، القاهرة ١٩٧٠م، ج١.

• عز الدين ، محمد كمال الدين :

٣٥ - التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر.

- علي جواد ت ١٤٠٨هـ:
- ٣٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج١٧.
- العياري، شفيق ابراهيم:
- ٣٧- تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث.
- فاخوري، حنا:
- ٣٨- تاريخ الأدب العربي.
- الفاروقي، محمد علي:
- ٣٩- كشف اصطلاحات الفنون، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣م، ج١
- فروخ، عمر:
- ٤٠- تاريخ الأدب العربي.
- قاسم، عبد قاسم:
- ٤١- أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ج٧.
- ٤٢ - دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي " عصر سلاطين المماليك"، كلية الآداب - جامعة الزقازيق ط٢.
- ٤٣ - عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ط١، ١٩٩٨م.
- ٤٤ - النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك.
- كحالة (عمر رضا):
- ٤٥ - معجم المؤلفين، ج٥
- ٤٦ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج٢

- كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن رضا:
- ٤٧ - العقد الثمين في تاريخ المسلمين، دار الكتاب الحديث، ط ١ ، الكويت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م
- كرد علي (محمد بن عبد الرزاق بن محمد ت ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م):
- ٤٨ - خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ج ٢
- مبارك، علي:
- ٤٩ - الخطط التوفيقية الجديدة، المطبعة الكبرى الأميرية ١٣٠٦هـ / م ، ط ١، ج ٢
- محمود (شفيق جاسر أحمد) :
- ٥٠ - الممالك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١، المحرم - جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ، ج ١.
- مصطفى شاكِر:
- ٥١ - التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت، ج ٣.
- نويهض، عادل:
- ٥٢ - معجم المفسرين، ج ١.

ABSTRACT

A study and investigation of a part of Country and Kingdoms history.
By Author Nasser Alden Muhammad Ibn Abd Raheem Ibn Ali Al
Masrei Al hanafee Ibn Al Fourat was died (٨٠٧ BD|١٤٠٤ AD) from
page {١١ to ١٢٢ }, from year ٦١٥ b.c| ١٢١٨Ac to ٦٢٤ b.c| ١٢٢٧Ac

Out of this unhappy ending of the seventh crusade, the Mamluk Sultans
state was born to rule and defend the Arab region for more than two
hundred and seventy years.

The Mamluk state was a center of great sources of culture and
civilization that deserve extensive study in every scientific aspect.

Mamluk period has left diverse civilization in all fields, and a legacy that
libraries of the world are still full of its creations and results. This was
the result of the religious, scientific and intellectual activity that
Mamluks established . It was one of the decisive periods, and
represented a significant turn in the history of Arab Islamic civilization.

There is no doubt that the manuscript of Ibn al-Furat al-anafi was of
historical importance which made it a major source for European
historians. They took a lot from it in their writings about the Crusades.
This manuscript contains historical events of a period of the Middle
Ages lasted for three centuries (٥١٠-٧٧٩A.H. / ١١٠٧-١٣٩٦A.D.).

His literature is an authentic source of Islamic states history in the
Middle East during the Middle Ages. It contains the events of the period
that he lived in, as he closely observed and recorded them in details. It is
a clear feature in all volumes of the manuscript, which was adopted by
many historians.

All in all, this period was featured with action, activity, victories and expansions. It was especially important for the history of its systems. It started with Shajar al-Durr coming to rule Cairo after Turan Shah Ibn al-Saleh Najmuddin had been killed in ٦٤٨ A.H. / ١٢٥٠ A.D. It lasted for about three centuries, from ٦٤٨ to ٩٢٣ A.H. / ١٢٥٠-١٥١٧ A.D. until the Ottomans came. During the time, the political and social systems significantly developed.

The Mamluk period was divided into:

- The Bahri dynasty, from ٦٤٨ to ٧٨٤ A.H. / ١٢٥١ - ١٢٨٢ A.D. and it lasted for ١٣٦ years.
- The Burji dynasty, from ٧٨٤ to ٩٢٣ A.H. / ١٢٨٢ - ١٥١٧ A.D. and it lasted for ١٣٨ years.

The work has been divided into two distinct chapters:

Chapter One: dedicated to the life of Ibn al-Furat, and talked about him.

- The period of the author.

- The character of the author, his origin, the care of his family and his quest for knowledge.

- His scientific life, "the scientific situation in the Mamluk period", Sheiks who influenced him, his position and literature "History of States and Kings" and his approach to achieve the piece.

- His death.

Chapter Two: dedicated to clear the manuscript. Some pictures of the manuscript have been attached to identify the script in which the manuscript had been written. The method of clarification will be according to the academic standards agreed on at present. This has been mentioned when talking about the approach followed. This chapter is of two sections:

Section One: included a critical analytical study of the manuscript "History of States and Kings" through:

١ - Talk about the importance of the manuscript and the period that it has experienced.

٢ – Description of the manuscript and evidences of its authenticity.

٣ - The style of Ibn al-Furat, its remarkable points and features, and the scientific value of his manuscript.

٤ - The most important sources used by Ibn al-Furat.

٥ - Places where parts of the manuscript of Ibn al-Furat are exist.

- Library of the Vatican.

- National Library of Paris

-The British Museum.

٦-Published volumes of the manuscript of Ibn al-Furat.

Finally, it must be said that Ibn al-Furat is considered to be one of the great Muslim historians, and his manuscript "History of States and Kings", is one of the greatest historical literatures that light up our Arab and Islamic history.

All hope is that the clarification of this piece has been done in the best possible way, and that it will leave an imprint in the world of manuscripts clarification and be a tributary into the river of our Arab and Islamic heritage, which everybody is proud of.

Syrian Arab Republic

Damascus University

Faculty of Arts and Humanities

History Department



A study and investigation of the part of Country and Kingdoms history Book, For the Auther Naser Aldeen mouhamad Ibn Abd Raheem Ibn Ali Al Masrei Al hanafee Ibn Al Fourat was died (٨٠٧ AH | ١٤٠٤ AD) from page {١١ to ١٢٢ }, from year ٦١٥ B.c| ١٢١٨Ac to ٦٢٤ B.c| ١٢٢٧Ac

A Master Dissertation in the History of Arabs and Islam

Prepared by

MAIS IBRAHIM MAKLAD

Supervised by

Prof. Dr. SUHAIL ZAKKAR

AD ٢٠١٨\ ١٤٣٩AH